جامعة النيلين
كلية الدراسات العليا
قسم اللغة العربية

العناصر القصصية في قصة سيدنا موسى عليه السلام في القرآن الكريم

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير

إعداد الطالب / الصّادق أبّو حسن أبّو

إشراف الدكتور / عوض السيد موسى عوض السيد

الخرطوم فبراير 2010م.

شكر وتقدير

لا يكفي مداد الأرض في التعبير عن شكري وامتناني لكل من ساهم في إخراج هذا البحث ولمن قدّم معلومة أو أبدى رأياً أو أسدى نصيحة أو دفعاً معنوياً

والشكر للدكتور عوض السيد موسى عوض السيد الذي لم يضْـنُنْ بنصحٍ أو توجيهٍ أو إرشاد وهذا ديدن العلماء

والشكر للدكتور أبي هدايا ضو البيت حامد الذي قدّم أكثر مما يقدمه صديق وفيّ

والشكر لرفيقة دربي التي هيأت سبل الراحة والدفع المعنوي والمساهمة في طباعة هذا البحث

والشكر لأخوتي الذين لم يبخلوا بنصحٍ أو إرشادٍ أو تشجيع

إهداء

إلى والدتي

إلى روح والدي التي أحسّ بها ترفرف لتظللنا

إلى إخوتي وأخواتي منارات دربي ومعالم طريقي

إلى صنوي التي كابدت المشقة واستقطعت من راحتها لتضع هذا البحث على راحتها

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
الشكر والتقدير	أ
الإهداء	ب
فهرس المحتويات	ج- هـ
المقدمة	و – ط
الفصل الأول: مفهوم القصة ونشأتها	1 – 41
المبحث الأول: ضبط المفاهيم	2
1- تعريف القصة لغة واصطلاحاً	2
ب- عناصر القصة الفنية	5 - 18
ج- القصة الجيدة من منظور النقد الأدبي	18
المبحث الثاني: القصة في الـتراث العربـي القـديم	19 – 34
1- أولية القصة عند العرب	19 - 21
ب- القصة في العصر الجاهلي	21 – 25
ج- القصة في عصر صدر الإسلام	25 – 28
د- القصة من العصر الأموي إلى عصر النهضة وأطوار نموها	28 – 34
المبحث الثالث: القصة في العصر الحديث	35 – 41
أ – نشأة القصة في العصر الحديث	35 – 38
ب-الترجمة وأثرها في القصة الفنية الحديثة	38 – 39
ج-تأصيل الجوانب الفنية للقصة العربية الحديثة	40 – 41
الفصل الثاني: القصة القرآنية مفهومها وعناصرها وخصائصها	42 – 81
المبحث الأول: مفهوم القصة القرآنية	43- 58

1- في رحاب القصة القرآنية 43 – 47
ب- أهداف القصة 47– 50
5- منهج المفسرين في ترتيب القصة القرآنية 50 – 55
د- أثر القصة القرآنية في النفوس 55- 57
هـ- أهمية دراسة القصة في القرآن الكريم 57- 58
المبحث الثاني: عناصر القصة القرآنية 58 - 81
أ- الحدث في القصة القرآنية 59 – 62
ب-الشخصيات القصة القرآنية 63 – 66
ج- الحوار في القصة القرآنية 66 -69
د- المكان والزمان في القصة القرآنية 69 – 70
هـ- المعالجة الفنية في القصة القرآنية 70- 71
ز- المغزى في القصة القرآنية 71
المبحث الثالث: خصائص القصة القرآنية 71 – 79
أ- التفصيل والإجمال في القصة القرآنية 72 - 75
ب- التكرار الهادف المعجز في القصة القرآنية 75 -79
ج- تنوع طرق المفاجأ في القصة القرآنية 79
د- تنوع طرق العرض في القصة القرآنية 79 -80
هـ - الواقعية التاريخية 80
و- الشمولية المطلقة في القصة القرآنية 80- 81
الفصل الثالث: قصة سيدنا موسى عليه السلام 82- 138
المبحث الأول: مفهوم قصة سيدنا موسى عليه السلام 83- 100
مدخل 83
1- التعرف على قصة سيدنا موسى عليه السلام 83
ب- السورة التي وردت فيها قصة سيدنا موسى عليه السلام 83 - 84
ج- ملخص قصة سيدنا موسى عليه السلام 84- 90
د- أهداف قصة سيدنا موسى عليه السلام 90- 94
هـ- منهج المفسرين في تناول قصة سيدنا موسى عليه السلام 94 - 95
أ- الترتيب حسب المصحف الشريف 94 - 96
ب- الترتيب حسب النزول 96- 97
و- أهمية دراسة قصة سيدنا موسى عليه السلام 97 -100
المبحث الثاني: عناصر قصة سيدنا موسى عليه السلام 100- 131
أ- الأحداث في قصة سيدنا موسى عليه السلام 100- 112
ب- الشخصيات قصة سيدنا موسى عليه السلام 113- 119

ج- المغزى قصة سيدنا موسى عليه السلام 119- 121
د- الحوار قصة سيدنا موسى عليه السلام 121- 124
ه- الزمان والمكان قصة سيدنا موسى عليه السلام 124-129
و- الحبكة الفنية قصة سيدنا موسى عليه السلام 129-131
المبحث الثالث: خصائص قصة سيدنا موسى عليه السلام 132- 135
أ- التكرار في قصة سيدنا موسى عليه السلام 132- 135
ب- تنوع طرق عرض قصة سيدنا موسى عليه السلام 135
ج- تنوع طرق المفاجأة قصة سيدنا موسى عليه السلام 135-136
د- الواقعية التاريخية قصة سيدنا موسى عليه السلام 136-137
هـ- الإعجاز القصصي في قصة سيدنا موسى عليه السلام 138
الخاتمة 137 -139
ملخص البحث 141 – 143
ملخص البحث باللغة الإنجليزية 144 - 146
المصادر والمراجع 147 - 151

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيد الخلق رسول الله الأمين وعلى آله وصحبه الغرّ والميامين.

لا ريب أن هناك فرقاً بين القصة القرآنية والقصة التي مصدرها البشر كالفرق بين كلام الله تعالى وكلام البشر، وإنّ كلام الله تعالى لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ [1]. أما كلام البشر فهو عرضة للنقائص التي تعتريه، وكلام البارئ منزّهٌ عن العيوب والنقائص، فلا ينفد إلى القصص القرآني الخيال ولا الأسطورة، ولا يهدف إلاّ لما يصلح الإنسان في دنياه وآخرته، يقول الله تعالى: (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ[2].

وهذا هو الاختلاف الجوهري بين قصص القرآن الكريم الذي تحدّى العرب وفيهم الفصحاء والبلغاء والشعراء فعجزوا أن يأتوا بمثله. والقصص التي من تأليف البشر يعبّرون فيها عن حوادثَ تاريخيةٍ حدثت أو يتخيلون ما يمكن أن يحدث دون أن يلتزموا فيها الصدق والواقعية؛ بل ترجمة ما يكون عليه الأديب في حالة الاستقامة أو الانحراف.

من هذا المنطلق كان هذا البحث "**العناصر القصصية في قصة سيدنا موسى** عليه السلام **في القرآن الكريم**" ولسنا بصدد عقد موازنة بين قصة سيدنا موسى عليه السلام والقصة الفنية الحديثة، إنما لبيان كمالها وإبراز الجانب الإبداعي فيها، وهيهات لبشرٍ أن يلمَّ بكل جوانبها وأن يسبر أغوارها ويغوص في أعماقها ويكشف أسرارها ومكنوناتها، ولكن نحاول جاهدين أن نبرز الجانب الفني ونثبت أنها تسحر اللبّ وتسلب الفؤاد وتجعلك تعيش أحداثها لحظةً بلحظة بتوفيقِ الله ومنّتِهِ.

مشكلة البحث

ترتبط قصة سيدنا موسى عليه السلام بالقرآن الكريم وعلومه وتفاسيره، وعلى الدارس أن يلمَّ بقدر ما يستطيع بما يؤهله لفهم القصة في القرآن وترتيب أحداثها ومراميها، ثم يربطها بكتب الأدب فيقيسها بالقصة الفنية الحديثة ليبرز وجه الكمال من الناحية الفنية.

تتناثر قصة موسى عليه السلام في ثنايا القرآن الكريم، وتحتاج إلى جهد مضنٍ لجمعها وترتيبها لتأخذ شكلها الطبيعي.

أهمية البحث

تكمن أهمية البحث في أن قصة موسى عليه السلام هي من أطول القصص التي وردت في القرآن الكريم وتتميز عن قصص القرآن الكريم بأنها القصة الكاملة من حيث العناصر المكوّنة لها كالأحداث والشخصيات والحوار والحبكة الفنية.

أهداف البحث

1- الهدف الديني الذي قصد منه العبر والعظات.

---

[1]- سورة فصلت، الآية 42.

[2]- سورة يوسف، الآية 111.

2- إبراز القيمة الفنية لقصة سيدنا موسى عليه السلام من حيث اكتمال عناصرها الفنية.
3- التكرار في قصة موسى عليه السلام تكرار هادف لبعض حلقاتها ومعظمه إشارات سريعة لمواضع العبر فيها، أمّا جسم القصّة فلا يكرر إلاّ نادرا ولمناسبات خاصة في السياق.

أسئلة البحث

1-هل حققت قصة سيدنا موسى عليه السلام الغاية الدينية التي وردت من أجلها؟
2- ما هو ترتيب قصة سيدنا موسى عليه السلام ؟
3- كيف بُنيت عناصرها القصصية؟

منهج البحث

التزم البحث المنهج الفني الاستقرائي التحليلي وهو ما يلائم البحث في حالة التقصي والتتبع لاستنباط العناصر القصصية وتحليلها.

أدوات البحث

بما أن المنهج المتبع في هذا البحث هو المنهج الفني الاستقرائي التحليلي فالأدوات تتمثل في القرآن الكريم بالإضافة إلى المصادر والمراجع التي بين أيدينا وصفحات الانترنت.

الدراسات السابقة.

اهتم العلماء بقصة موسى عليه السلام وأولوها اهتماماً واضحاً لما فيها من العبر والعظات ما إن تمسك بها العبد لن يضل، ومن الدراسات السابقة دراسة محمد خير عدوي وعنونها "العبرة من قصة سيدنا موسى في القرآن الكريم" رسالة ماجستير، جامعة الملك عبد العزيز، مكة المكرمة، 1980م، تحدّث عن الجانب الديني والعبر التي ساقها القرآن الكريم في هذه القصة ورجّحه على الجانب الإبداعي وغيرها من الدراسات التي تناولت القصة مثل دراسة سيد قطب "التصوير الفني في القرآن الكريم" وسيف الدين الكاتب " قصص الأنبياء" ومحمد محمود حجازي" الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم" وغيرهم ممن تناول هذا الجانب.

هيكل البحث

قُسم البحث إلى ثلاثة فصول، حوى الفصل الأول القصة الفنية نشأتها ومفهومها حيث تناولنا أقوال الأدباء والنقاد في ثلاثة مباحث، تحدّث المبحث الأول عن القصة معناها اللغوي والاصطلاحي، ثم دلفنا إلى تحليل عناصرها الأولية وفصلناها تفصيلا تمهيداً لتحليل عناصر قصة موسى عليه السلام ، أمّا المبحث الثاني فتناول القصة الفنية منذ نشأتها وتطورها وخطواتها عبر التاريخ القديم بدءاً بقصة صراع الإنسان مع قوى الطبيعة وما نتج عنها من خرافات سيطرت على عقله، مروراً بالقصة في عصر صدر الإسلام، فقد انتقلت القصة فيه نقلة نوعية من حيث الشكل والمضمون وقد انتحت منحى آخر لتنتشل الإنسانية من تلك الخرافات إلى

تفعيل العقل البشري وذلك بفضل القصة القرآنية، ومن ثم توالت التطورات في القصة في عصر بني أمية والعصر العباسي وما بعدهما وغدت في تنامي مطرد تقوى مرة وتضعف مرة أخرى فيأخذ عصر بعنق عصر ويؤثر السابق في اللاحق حتى انتهينا إلى مشارف العصر الحديث فأفردنا للقصة فيه مبحثاً كاملاً لما فيه من ثراء حيث أخذت تتأثر بالآداب الغربية التي وفدت إلينا عن طريق الترجمة والصحافة والطباعة؛ إبّان الحملة الفرنسية على مصر مع الاحتفاظ بالتراث العربي الأصيل، وهما يمثلان اللبنة الأولى في تكوين القصة العربية الحديثة.

أما الفصل الثاني فقد قُسِّم إلى ثلاثة مباحث, تحدّثَ المبحث الأول عن مفهوم القصة القرآنية تعريفها وأهدافها ومنهجيتها وأثرها في النفوس وأهمية دراستها، وتناول المبحث الثاني العناصر الفنية التي تكونت منها القصة القرآنية من الحوادث والشخصيات الحوار الزمان والمكان والمعالجة الفنية لهذه الأحداث. أما المبحث الثالث فتحدّثَ عن خصائص القصة القرآنية من حيث ترتيبها في المصحف الشريف وترتيبها حسب أحداثها وتنوع طريقة عرضها، والتكرار الهادف لعرض بعض أحداثها.

أمّا الفصل الثالث فكان لدراسة قصة سيدنا موسى عليه السلام والجانب التطبيقي فيها, فقد قُسم إلى ثلاثة مباحث تحدّث المبحث الأول عن مفهوم قصة سيدنا موسى عليه السلام والتعرف عليها من خلال القرآن الكريم والسور التي وردت فيها والأهداف التي رمت إليها وأهمية دراستها، ومنهج المفسرين في تناول قصة موسى عليه السلام ، وتحدّث المبحث الثاني عن العناصر التي تكوّنت منها قصة سيدنا موسى عليه السلام من الشخصيات فيها والأحداث التي حددت جسم القصة والحوار والحبكة الفنية وعنصري الزمان والمكان، أمّا المبحث الثالث فقد تحدّث عن خصائص قصة موسى عليه السلام من حيث ترتيبها حسب الأحداث والتكرار وما أفاد في القصة، وتنوع طريقة العرض وتنوع طريقة عرض المفاجأة، ثم الواقعية التاريخية لقصة موسى عليه السلام.

وأخيراً ختمنا البحث بخاتمة تضمنت النتائج والتوصيات وهذا ما هدينا إليه فإن وفقنا فذلك فضل من الله وإن أخطأنا فمن أنفسنا والشيطان.

الفصل الأول

مفهوم القصة ونشأتها

المبحث الأول : ضبط المفاهيم

المطلب الأول : تعريف القصة
المطلب الثاني : عناصر القصة
المطلب الثالث : القصة الجيدة من منظور النقد الأدبي

المبحث الثاني : القصة في التراث العربي القديم

المطلب الأول : أولية القصة عند العرب
المطلب الثاني : القصة في عصر صدر الإسلام
المطلب الثالث : القصة من العصر الأموي حتى بداية العصر الحديث

المبحث الثالث : القصة في العصر الحديث

المطلب الأول : نشوء القصة الحديثة
المطلب الثاني : أثر التراث القصصي العربي على القصة الحديثة
المطلب الثالث : الترجمة وأثرها في القصة الحديثة

الفصل الأول
مفهوم القصة ونشأتها

المبحث الأول: ضبط المفاهيم

القصة بمفهومها العام وصف دقيق للعلاقات البشرية وضبطها في كل حالاتها الخيرة منها والشريرة لتحثّ النـاس علـى الخيـر والجمـال والهـدوء وتدفعهم عن الشرّ والقبح والصخب، وتسـلب ألبـابهم بفـن الكلمـة وسـحر التعبير وجمال الأسلوب.

تعريف القصة:

أولا : معنى القصة لغةً :

القَصُّ - بفتح القاف - يعني تتبع الأثر، ويقولون فلانٌ قصَّ أثرَ فلان، ومنه قوله تعالى: (فارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا[1] أي " رجعا في طريقهما الذي جاءا منه يتتبعان أثرهما الأول لئلا يخرجا عن الطريق"،[2] وكذلك اقتصَّ اتّبع، وتقصّصَ تتبّع الخبر منذ بدايته ورواه على وجهه حتى نهايته، والقصّاص هو الذي يتتبع الأثر.

"والقِّصة تعني السرد والإخبار، وهما يقومان على إتباعِ الخبر بعضَه بعضا وسوقِ الكلام شيئا فشيئا، حتى تكتمل روايته، والقاص هو الذي يروي هذه القصص ويحكيها على وجهها.

الاسم منه (القَصص)- بفتح القاف- وضع موضع المصدر(قصَّ يقصُّ قَصَصًا) حتى صار أغلب عليه ، فسمي به"[3]. قال تعالى:(نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ القَصَصِ[4].

أما القِصص ـ بكسر القاف ـ فهي جمع القِصة التي تكتب وتروى وتحتاج إلى الفن والإبداع.

ثانياً : معنى القصة اصطلاحاً :

القصة فن أدبي قائم بذاته وهي حكاية نثرية تستمد من الخيال أو الواقع أو منهما معاً وتُبنى على قواعد معينة من الفن الكتابي، وتعني " سرد جزء من ماض شخصي سردًا منتظمًا أو غيرَ منتظمٍ لسلوك فردٍ أو جماعةٍ من البشر في عالم الخيال أو الحقيقة والواقع"[5] وذكرت الدكتورة نبيلة إبراهيم أنها " تحليل وتفسير لسلسلةٍ من الأحداث تتعلق بشخصيات إنسانية مختلفة تتباين أساليب عيشها وتصرفها في الحياة بغرض تسلية القارئ والترويح عنه وتزويده بحصيلة من المعرفة والثقافة تتخللها جوانب متعددة من الأحداث التي تستند في بنائها على جوانب مختلفة من الأسطورة والواقع والعاطفة والدين، ويكون لها نصيبها من حيث التأثير والتأثر"[6].

وهي نوع من أنواع الأدب النثري الذي يعتمد على مهارة الابتكار والاختراع والتخيّل من خلال الكلمة المكتوبة والتي بدورها تقوم بتقديم نماذج من حياة البشر سواء أكانت في حالة اعتدالها أم انحرافها، وهي

---

[1]- سورة الكهف من الآية 64.

[2]2- محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير ، ط 1، دار القرآن الكريم، بيروت، 1981م، ج 8 ، ص 22.

[3]3- محمد بن أبي بكر الرازي ،مختار الصحاح، باب (قصص)، دار المعارف، مصر، د.ت، ص 237.

[4] - سورة يوسف ، الآية 3.

[5] - محمد يوسف نجم، القصة في الأدب العربي الحديث، د.ط، دار الثقافة، بيروت، د.ت. ص 9.

[6] - نبيلة إبراهيم، فن القصص في النظرية والتطبيق –دار قباء للطباعة، مصر، دت، ص 34.

تقدم كل الحقائق الضرورية المختلفة في حياة البشر مع اختلاف نوعياتهم محاولةً بذلك إقناع القارئ بهذه الحقائق حتى تصل به إلى إصدار حكم معين. " تعتبر القصة محركا فعالا للوعي الخُلُقي لدى الإنسان فينفر من الشر ويستأنس بالخير، ولها سحرها القوي ما تستحوذ به على اهتمام القارئ وتجعله ينجذب إليها، وهي أكثر الفنون الأدبية مرونةً وقبولاً لتجسيد الأفكار وعرضها بطريقة فنية بحيث يستطيع الإنسان أن يعبّر عن أفكاره بوساطة القصة أكثر من الشعر وأسهل؛ إذ تقوم بإلقاء الضوء على الفترة الزمنية والحضارية التي قد يحتاج إليها عند الرجوع إلى دراسة المجتمع في إظهار أعباء الحياة اليومية المختلفة، وتحديد العلاقات الاجتماعية المتداخلة بين الأفراد، وذلك من خلال الاستخدام الرمزي للأشياء، فتتيح للفرد أن يستوعب ذاكرته شعورا وإدراكا.

وتظهر بقوة ووضوح شديدين مشكلة التنسيق بين العمل الأدبي والحقيقة التي يقوم هذا العمل بمحاكاتها؛ ويعتبر هذا التنسيق الدعامة الجوهرية والأساس في تكوين الخلفية اللازمة لأصول المعرفة والإلمام الكافي والواعي للجوانب المختلفة للحياة، والقصة حكاية حوادث وأعمال وتصوير لشخصيات بأسلوب مشوق، أو عرض فكرة مرَّت بخيال الكاتب، أو تسجيل صورة تأثرت بها مخيلته، أو بسط عاطفة اختلجت في صدره؛ ينتهي كل ذلك إلى غاية مرسومة وغرض مقصود"[1]، وهي بذلك لا تعرض لنا الواقع بحقيقته، إنما تبسط أمامنا صورة مموهة منه، ولا يفرض على القاص أن يعرض علينا من الحوادث ما سبق حدوثه فعلا ولكن عليه أن يقنعنا بإمكان حدوث مثل هذه الحوادث، وهي الأساس التي ترتكز عليه القصة."ومهمة القاص تنحصر في نقل القارئ إلى حياة القصة بحيث يتيح له الاندماج التام في حوادثها، ويحمله على الاعتراف بصدق التفاعل الذي يحدث بين الشخصيات والحوادث".[2]

"فإن القصة سرد قصصي يهدف إلى إحداث تأثير مفرد مهيمن لدى المتلقّي، ويمتلك عناصر الدراما، "وفي أغلب الأحوال ترتكز على شخصية واحدة وفي موقف واحد وفي لحظة واحدة حتى ولو لم تتحقق هذه الشروط فلا بد أن تكون الوحدة بين أجزائها هي المبدأ الموجه لها، والمحور الذي تتشابك أطرفها به. الكثير من القصص يتكون من شخصية أو مجموعة من الشخصيات تقدم في قالب خفي أو وضع تنغمس خلال الفعل الذهني أو الفيزيائي في موقف ما وهذا الصراع الدرامي أي اصطدام قوى متضادة ماثل في قلب الكثير من القصص القصيرة الممتازة، فالتوتر من العناصر البنائية للقصة القصيرة، كما إن تكامل

---

[1] - يوسف الشاروني ، دراسات في القصة القصيرة، دار طلاس ، دمشق ، ط 1 ، 1989م، ص 64.

[2] - محمد يوسف نجم، القصة في الأدب العربي الحديث. ص 7 .

الانطباع من سمات تلقيها بالإضافة إلى أنها كثيرًا ما تعبر عن صوت منفرد لواحد من جماعة مغمورة "[1].
ويُقسمُ الفن القصصي من ناحية القالب والمظهر إلى أربعة أنواع:
"الأقصوصة : تدور حول مشهد صغير، أو لقطة عجلى، أو لمسة فنية، أو مجرد فكاهة، أو لوحة يودعها الكاتب شحنة عاطفية أو انطباعا وقتيا إزاء موقف أو إحدى مفارقات الحياة، وغالبا ما تفتقد دعائم القصة القصيرة ومقوماتها من حدث نامٍ وحبكة فنية وشخصية متطورة وفكرة عميقة، وتتوفر فيها عنصر التشويق التي تعتمد على المفاجأة.
القصة القصيرة : تعالج جانباً من الحياة تقتصر على سرد حادثة أو بضع حوادث قصيرة يتألف منها موضوع مستقل بشخصياته ومقوماته؛ ناضج من وجهة التحليل والمعالجة ويعتمد على براعة القاص، إذ أن المجال ضيق ومحدود، فلذلك يتطلب التركيز الفني، وليس لها بداية أو نهاية، وتدور حول مشهد أو ظاهرة أو بطولة "[2].
القصـة: "تتوسط بين الأقصوصة والرواية، وفيها يعالج القاص جوانب أرحب، ويمكن أن يطول الزمن وتمتد الحوادث، ويتوالى في تطورها شيء من التشابك والتعقيد، وتطلب فيها الناحية الفنية، وقد تبنى على سلسلة أحداث مرتبطة، تتوجه الغاية فيها نحو الشخصيات أكثر من الاهتمام بالوقائع"[3].
"الرواية: تعد أكبر الأنواع الأدبية طولاً واستغراقًا في الزمن وامتدادًا في المكان وكثرةً في الحدث، حيث تتوالى فيها الوقائع وتتداخل الحوادث وتتطور الشخصيات، وفيها يعالج القاص موضوعًا كاملاً أو أكثر زاخراً بالحياة، ولا ينتهي القاص إلا وقد ألمّ بحياة البطل أو الأبطال في مراحلها المختلفة"[4].
"أما الحكاية فهي سَوْق واقعة أو وقائع حقيقية أو خيالية، لا يلتزم القاص بقواعد الفن الدقيقة بل يرسل الكلام كما يواتيه طبعه، وغالباً ما تكون منقولة من أفواه الناس"[5].
"غير أن العرف الجاري قد قسم القصة إلى قسمين رئيسين، القصة القصيرة هي الأقصوصة، والقصة الطويلة هي الرواية "[6].

---

[1]- نبيلة إبراهيم، قصصنا الشعبي من الرومانسية إلى الواقعية، ط 1، دار الثورة، بيروت، د.ت. ص 43
[2] - محمد يوسف نجم، القصة في الأدب العربي الحديث، مرجع سابق، ص 7.
[3] - علي عبد الخالق علي، الفن القصصي طبيعته وعناصره ومصادره الأولى ، ط 1، دار قطري بن الفجاءة،دولة قطر،1987م، ص 28.
[4]2- محمود تيمور، فن القصص دراسات في القصة والمسرح، د.ط، القاهرة، مكتبة الآداب ومطبعتها بالحماميز ، د.ت، ص 99.
[5] - علي عبد الخالق علي، الفن القصصي طبيعته وعناصره ومصادره الأولى ، مرجع سابق، ص 53.

عناصر القصة الفنية:

إن أهم سؤال يطرحه القارئ على نفسه بعد قراءة القصة هو: هل تركت القصة في نفسه أثرا لا ينسى؟ وهذا الأثر هو العنصر السائد في القصة، وهو الطاقة المحركة فيها، وحددت بعض العناصر الأساسية التي يجب على كل كاتب قصة أن يقيم قواعد البناء الفني لقصته من خلالها، فالقصة يجب أن تكون حول الإنسان وجوانب حياته المختلفة، كما إنها تحتوي على العنصر القصصي من خلال محور أساسي تدور حوله الأحداث، وبناء على ذلك حددت بعض العناصر التي يجب أن تراعى في كتابة القصص، وسيادة عنصرٍ ما في القصة تظهر في أحد الأشكال التالية:

* سيادة الحوادث.
* سيادة الشخصيات.
* سيادة المكان والزمان.
* سيادة الفكر.
* سيادة الحبكة الفنية.
* سيادة الأسلوب.

ولا بد أن يخرج القارئ من القصة الناجحة وقد غلب على نفسه عنصر من هذه العناصر، وقد استأثر بإحساسه وتفكيره وأسر لبّه وشغله جو القصة العام، وبذلك يكون القاص قد استطاع أن يرسم لنا صورة حقيقية من الواقع، ولا يتبادر إلى الذهن أن العنصر السائد في القصة هو وحده جدير بالاهتمام، أو وحده مصدر المتعة، ولعل تنوع عقليات القراء، أو تباين تجاربهم في الحياة، أو اختلاف أمزجتهم هي التي تحدد مصدر المتعة، فالقصة مرآة متعددة السطوح وكلٌ يلقي نظرة من حيث يشاء.

الحـوادث في القصة الفنية

مجموعة الوقائع الحقيقية أو المتوقع حدوثها نتيجة ظروف معينة أو سلوك محدد، " وهي المادة التي تتألف منها القصة، يبتدعها الكاتب في خياله أو مما وقع في الحياة أو عرفه بطريقة من الطرق ويسوقها على نحو خاص تبدو فيه مرتبة ومنظمة ومرتبطة بسبب واحد، وكثيرا ما تكون العنصر الأهم في العمل القصصي والركيزة الأساسية في البناء الفني فيه، فتسمى القصة قصة الحدث أو القصة السردية، وتكون الحركة العامل الرئيس"[1]. "وهي أوضح هذه العناصر وأكثرها شيوعا في القصة يستقطب انتباه القارئ حول الوقائع وهو يتابع القراءة في لذة وشغف لينسى نفسه في زحمة الحوادث التي تعرض عليه، ولهذا يتوقع من الكاتب أن يقدم سلسلة من الحوادث الغامضة والمغامرات والمناظرات، وهذه القصص عادة ما تكون قصيرة العمر لا تتسم بسمة الخلود، إلا إن بعضها احتفظ

---

[6] - السباعي بيومي ، تاريخ القصة والنقد في الأدب العربي، ط 1، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة 1956م.ص 15.

[1] - احمد أبو سعد ، فن القصة ، ط 1، دار الشرق الجديد، عمان، 1959م . ص 9.

بسحره وتأثيره على مر السنين"[1] فالواقع بكل أحداثه وتفاصيله ومفارقاته أمر صعب على الأديب أن ينقله إلى عالم القصة، وإن الأديب مهما وصف الواقع والطبيعة في التعبير عن الأحداث الجارية فهو إلى - حدٍ ما – لا يستطيع أن يحاكي الواقع محاكاةً تامةً ومطابقةً لكل الأحداث، والسبب أن الحياة تتعاقب عليها التغيرات المستمرة وعنصر المفاجأة قائم في جميع جوانبها، وهي في حالة اضطراب بسبب تتابع الأحداث عليها بشكل مستمر ومفاجئ، "ولكي يحقق الكاتب السيطرة والبروز للحادثة يعمد إلى طريقة سهلة ومبسطة وهو رسم المشاهد ووصف الموقع التي تدور فيه الأحداث، وفي هذا النوع من القصص لا يأبه الكاتب بتصوير البيئة ورسم الشخصيات وتمثيل الفكرة بطريقة واقعية حقيقية، وكل ما يعنيه في هذا الأمر أن يقدم للقارئ سلسلة من المواقف الحرجة والأحداث المثيرة والعواطف المتأججة التي يأخذ بعضها برقاب بعض حتى تؤدي الأثر المطلوب، ويترك للقارئ مهمة استنتاج هذه الأحداث، ولا يعنيها أن تتقيد بقيود الإنسانية، لأن غايتها الأولى الإمتاع والتسلية، لذا فهي تسير وفق هوى المتلقي ورغباته التلقائية"[2].

تطوير الحوادث :

وهو الدافع المُلِحّ الذي يحمل القارئ على تقليب صفحات القصة بلذة ونهم لكي يكتشف النهاية التي تبلغها الحوادث في سيرها الحثيث، "وتظهر براعة الكاتب في تطوير الحوادث بخفة ونشاط إلى النهاية الحاسمة قاطعة سلسلة من الذرى معتمدة على التشويق إذ لابد لكل قصة أن تبدأ من مكان معين وتنتهي في مكان معين حتى يستطيع القارئ أن يتتبعها بشوق ونهم دون أن يعاني صعوبة في فهمها ورصد أحداثها في وحدة متماسكة منسجمة، بل يجد نفسه متفاعلا معها تفاعلاً حقيقياً، وفي الغالب تتكون هذه الوحدة من ثلاث دعامات أساسية ترتكز عليها وهي:

وحدة الحادثة التي ينظمها العمل القصصي دون أن ترتبط أجزاؤها بعضها ببعض، وقد تقع لشخص واحد، وتتوالى عليه بحيث لا تكون الثانية نتيجة الأولى ولا سبباً في الثالثة ولا ترتبط برابطة السببية، وهنا تكون الحوادث غير متماسكة.

وحدة الحياة وتكون خيوطها متداخلة ومتشابكة في نسيج محكم، وكل عمل أو حادث أو موقف يتأثر بسابقه ويؤثر في لاحقه، مع الاحتفاظ بالترتيب الزمني بينها، مما يضمن الارتباط الوثيق بين كل حادثة.وحدة العمل القصصي أو وحدة التأثير أو الوحدة العضوية وهي حلقات من سلسلة واحدة ترتبط برابطة السببية أو القدرية والقوة الخارجية التي تقنع

---

[1] - محمد يوسف نجم، فن القصة،د.ط. دار الثقافة ، بيروت ، 1955م ، ص 13.

[2] - عمر الدسوقي، نشأة النثر الحديث وتطوره، ط 1، دار الفكر العربي، القاهرة، دت، ص 64.

القارئ بمعقولية تطور القصة لا الصدفة، ولا تجد في القصة دخيلاً لا يؤدي عملاً مُهِمًّا في تطورها"[1].

طريقة عرض الحوادث:

تختلف الأساليب والطرق في عرض الحوادث:

"السرد المباشر : وهي أكثر الطرق شيوعاً، حيث يروي الكاتب أحداث القصة التي تجري حوله كما يفعل المؤرخ الذي يجلس خلف مكتبه ليدون التاريخ الظاهر .

الترجمة الذاتية : وفيها يتحدث الكاتب بضمير المتكلم، ويضع نفسه مكان البطل أو إحدى الشخصيات الثانوية في القصة ليبث على لسانها ترجمة ذاتية متخيلة أو حقيقية.

الوثائقية والرسائل المتبادلة: تتيح التعبير عن الأحاسيس والعواطف الجياشة التي تختلج في نفس الكاتب فيخرجها في شكل رسائل أو مذكرات.

تيار الوعي أو المنولوج الداخلي: تعتبر أحدث التطورات في فن القصة، وهي تسجيل الخواطر والذكريات والتحليل النفسي، وتصوير حياة الإنسان اللاشعورية، "وتكاد تكون خالية من الحوادث، وأساسها عرض الناحية الفكرية من حياة البطل"[2].

الشخصيات في القصة الفنية

البناء الفني لأي قصة يعتمد إلى حدٍ كبير على الشخصيات التي تسند إليها أعباء كثيرة، تعمل على تقوية الجانب والأدبي والخلقي في القصة، فالأحداث تنبع من طبيعة الشخصيات التي تتعرض لها، وإن ثقافة الكاتب ومزاجه تجاه ما يقع أمامه من أحداث تؤثر إلى حدٍ كبيرٍ في نظرته لشخصيات قصصه، ليحبب للمتلقي القراءة والتفاعل مع الشخصيات والالتفات إليها.

ويقصد بالشخصية: " كل من وقع منه أحداث أو صدر منه عبارات أو أفكار أدت دوراً إيجابياً أو شكّلت حضوراً في القصة، يصطفي منهم المؤلف شخصيةً رئيسةً أو أكثرَ، تكون هذه الشخصية مصبَّ اهتمام القارئ أثناء تتبُّعه لحوادث القصة، أو أشخاصاً ثانويين يظهرون ويختفون حسب الخطوط أو حسب ما يؤدون من أدوار تساعد على إبراز الشخصية أو الشخصيات الرئيسة، ولكن ثمة اتساق ورباط بين صراع البطولة والشخصيات الأخرى التي لا ينبغي أن تتحرك بعيدا عن مسرح الحدث والبطولة، بل لكل شخصية دورُ في إثراء الحدث ونمو الفكرة وتدعيمها؛ وذلك بتلاقي الشخصيات في حركتها نحو مصائرها وتجاه الموقف العام في القصة، وإن كانت الشخصية الثانوية أقل تفصيلا وأضعف سردا، وقد يبدو في بعض القصص أن الشخصية تبرز على الحوادث وتسيطر عليها لما لها

---

[1] - محمد يوسف نجم، فن القصة، مرجع سابق، ص 30.

[2] - المرجع نفسه، ص 73.

من قوة وجاذبية"[1]، " ولكن عندما نتفحص القصة جيدا نجد أن الكاتب لا يكتفي بذلك، بل يعمد إلى وسائل فنية أخرى ليوفر لها هذه السيادة، فكثيرا ما تكون الشخصية هي العنصر الأهم في القصة، وبهذا يكون المحور الذي تدور حوله، وكل ما يحدث في القصة من أحداث لابد أن يمسها من قريب أو من بعيد. "أحيانا يعمد المؤلف إلى رسم هذه الشخصيات فيقدمها بإحدى طريقتين:

إما بطريقة الوصف المباشر الذي يحلل عواطفها وأفكارها، ويعطي الكاتب الشخصية صورة واضحة مبينا فيها كل الصفات التي تحملها هذه الشخصية الجسمية منها والاجتماعية والنفسية والفكرية والتاريخية في وصف تفصيلي يحدد كل معالمها ويبين كل جوانبها.

إما بطريقة الوصف غير المباشر وفيها تُمنح الشخصية فرصة التعبير عن نفسها وتتحدث بضمير المتكلم فتفصح هي عن مكنوناتها بأحاديثها وتصرفاتها وانفعالاته، وأحياناً يؤخر الكاتب نقطة الانطلاق في القصة فلا يدلي إلى القارئ بشيء منها حتى تبرز الشخصية وتحسر بيدها اللثام عن الحوادث، وأحيانا يلتفت الكاتب إلى إحدى شخصياته، حيث يعمد إلى تحليلها بدقة مبينا خصائصها ومميزاتها، وواصفاً أخلاقها وتصرفاتها، ولا يدع للقارئ مجالا للمشاركة "[2].

أنواع الشخصيات:

" الشخصية الجاهزة : وهي الثابتة التي تبقى على حالها من البداية حتى النهاية ولا تتغير، لا تؤثر فيها الحوادث ولا تأخذ منها شيئاً، وهذا النوع من الشخصيات في شكله المجرد قد تم بناؤه حول فكرة واحدة أو صفة من الصفات تصبح لازمة لها، ومن مميزاتها إن القارئ يستطيع أن يتعرف عليها متى ظهرت في القصة، فتقدم بطريقة مباشرة وتظل ثابتة في أذهان القراء حتى بعد الانتهاء من القراءة، وترجع أهميتها إلى توضيح فكرة الكاتب نحو موضوع ما، وتعد إحدى الوسائل في إكمال الفكرة التي تدور بذهن الكاتب.

الشخصية النامية المتطورة تتغيّر أفكارها وأعمالها بتغيير الزمان والمكان والسن، وتتسم بالانفعال وتتهيأ للاستثارة في العواطف المختلفة، وغالبا ما تكون في صراع داخلي مع النفس أو في صراع خارجي مع الأحداث، ولا يكتمل تكوينها حتى تكتمل قصتها، لا تظهر دفعة واحدة بل تتكشف تدريجيا مع الأحداث حيث تتبلور ملامحها واتجاهاتها، وتتطور بتطور القصة، ويكون تطورها عادة نتيجة لتفاعلها المستمر مع هذه الحوادث ظاهراً أو خفياً، ومن مميزاتها أن تكون في صراع نفسي داخلي يقوم على النقد

---

[1] - صلاح رزق، القصة القصيرة دراسة نصية لتطور الشكل الفني، ط 3، دار غريب، القاهرة، 2001م، ص 37

[2] - أحمد أبو سعد، فن القصة، مرجع سابق، ص 10.

الذاتي،وهذا النوع تغلب عليه صفة التساؤل المستمر لكل ظاهرة ، وبالتالي يقودها إلى معرفة الإجابة المقنعة"[1].

"وهناك نوع من القصص يُعتمد في بنائها على تحليل الشخصيات، ويسمونه (قصة الشخصية) وتكون فيه الحوادث غير مقصودة لذاتها وإنما لخدمة الشخصيات وتوضيحها وإظهار ما غمض من معالمها، والقصة لا تخلو من الشخصية الحادثة، فالقاص الحقيقي هو الذي يكون صنع الحوادث وتصوير الشخصيات عنده مرتبطين برباط المعية ما دامت الحوادث والأشخاص تتحددان بالتبادل وهي القصة التمثيلية"[2].

الشخصيات الإنسانية في القصة: القارئ لا يهمه أن يعرف حياة الشخصية بدقائقها وتفاصيلها بقدر ما يهمه أن يراها حية أمامه تتحرك في حياتها الخاصة التي يلذّ له أن يلاحظها ويختبرها بنفسه، والحقائق الإنسانية هي المادة الخام التي تتناولها يد القاص ثم يعيد تشكيلها وتنسيقها حتى يخرج منها بتلك الشخصية الإنسانية النابضة بالحياة والتي تتفاعل مع الحوادث تفاعلاً طبيعياً صادقاً. وكثيراً ما يتشبه القارئ ببعض الشخصيات التي يقابلها في القصة دون أن يشعر، ومعناها أن شعاعا ينبعث منها فيؤثر في شخصية أخرى ويجتذبها، ولعل المتعة التي يحس بها القارئ عند تتبع خط سير الشخصية الإنسانية في القصة ناتجة عن تلك الأواصر التي تنعقد بينهما أو بعض الصفات تشترك فيها مع نفر من الشخصيات التي يعرفها ويلتقي بها.

"أول ما يطلب من الكاتب - سواء أستمدّ موضوعه من التجارب العادية أم تعدى نطاق المألوف إلى عالم الخيال والخوارق - أن يتحرك رجاله ونساؤه على صفحات القصة حركة الأحياء الذين نعرفهم أو نعلم بوجودهم، ويجب أن يحافظوا على هذه الحركة طوال القصة، وأن يظلوا أحياء في ذاكرتنا حتى بعد أن ننتهي من قراءتها، ولا بد أن يدرس الكاتب شخصياته دراسة مجردة وأن يكشف عيوبها كما يبرز محاسنها وفضائلها دون أن يقف منها موقف الناقد"[3].

"يعتمد الكاتب في رسم شخصياته على فهمه لهذه الشخصيات وعلى قدرته على تمثيل دور الشخصيات التي يريد رسمها وعلى تصور التصرفات التي قد تصدر منها، فلذلك نراه يعمد إلى وسائل مباشرة (الطريقة التحليلية) وفيها يرسم شخصياته من الخارج، ويشرح عواطفها وبواعثها وأفكارها وأحاسيسها، ويعقّب على بعض تصرفاتها، ويفسر بعضها الآخر، وكثيرا ما يعطينا رأيه فيها بوسائل غير مباشرة (الطريقة التمثيلية) فنجده

---

[1] - سعيد الوراقي، اتجاهات القصة القصيرة في الأدب العربي المعاصر في مصر ، ط 2، دار المعارف، مصر، 1984م، ص 71.

[2] - أحمد أبو سعد، فن القصة،مرجع سابق، ص 90.

[3] - أحمد أبو سعد، فن القصة،مرجع سابق، ص 91.

ينحي نفسه جانبا ليتيح للشخصية أن تعبّر عن نفسها وتكشف الحجب عن جوهرها بوساطة البوح والاعتراف وتداعي الأفكار والمراجعة الداخلية "[1].

تختلف رؤية القاص عن الشخصيات أبطال القصة، فبعضها يقوم على التحليل المباشر للشخصية بحيث يبرز فيها النضج الفكري العميق الذي يهتم بالتفاصيل الدقيقة، والبعض يقوم على التحليل الرمزي الذي يعتمد عمق الفهم لتكتمل الصورة وتصير أكثر قربا لما في الوقع، والرؤية الأدبية للشخصية تعكس ـ إلى حدٍ كبيرٍ ـ الانطباع الذهني للكاتب، كما إنها وليدة حياته وثقافته ومزاجه وحساسيته تجاه ما يقع من أحداث، ويحرص الكاتب على أن تكون قريبة من الواقع حتى لا ينفر منها القارئ، ومنهم من يجعل نظرته لشخصياته واقعية بحتة خالية من أي ظلال رمزية أو رومانسية أو نفسية، فالقصة في الأدب العربي تعجّ بنماذج الشخصيات التي ذُكرتْ.

شخصيات ثانوية:

تلعب الشخصيات الثانوية دوراً مهماً في رفد أحداث القصة، أحياناً تنطلق بلسان الكاتب، فتقدم بعض الإرهاصات أو التمهيد الذي يقود إلى تهيئة ذهن القارئ لاستقبال بعض الحوادث التي تتعرض للشخصيات الرئيسة، وأحيانا تقود إلى التضليل وتجعل القارئ يصب جل اهتمامه عليها وتصرف أنظاره عن الشخصية الرئيسة لتحقق عنصر المفاجأة، وأحياناً تقوم مقام الرابط بين جزيئات القصة لسد الفجوات لتسير القصة سيرها المنطقي.

الشخصية النمطية: "وهي التي تسير على وتيرة واحدة ولا تتغير، يختارها الكاتب لإظهار صفة معينة، فلا يشعر القارئ بالشخصية ذاتها بل يشعر بصفاتها التي يريد الكاتب إظهارها"[2].

الزمان والمكان في القصة الفنية

ترتبط القصة بالبيئة الزمانية والمكانية ارتباطا وثيقا بحيث تستمد منهما نوعاً من الواقعية، وقد تكون العنصر السائد في بعض القصص، وبما أن القصة تسجيل لواقع فإنها تحدث في زمان ومكان معينين، و"هذه البيئة هي مجموعة من العوامل الثابتة والطارئة أو المتغيرة التي تحيط بالفرد وكل ما يتصل بالقصة من ظروف وعادات تؤثر في أخلاق الشخصيات وتصرفاتها وحركتها، وتوجه تيار الحوادث، وتجسد الأفكار. ولكي يرسم الكاتب هذه البيئة ويوفق في إحضارها، عليه أن يفهم قوانينها ويستوعب تفاصيلها الحية المتفاعلة والمتطورة ويلتقطها بالمشاهدة أو بالملاحظة أو من قراءته الخاصة، وينفذ إلى جوانبها المتكاملة ويجهد في رؤيتها من الداخل، ثم ينتخب منها ما له علاقة بموضوعه ويمزجه بالأحداث، ويصفه وصفا جيدا ناطقا ينقلنا بها إلى زمان القصة ومكانها، ويؤكد أثر البيئة في

---

[1]- محمد يوسف نجم، فن القصة، مرجع سابق ، ص 94.

[2] - نبيلة إبراهيم، فن القصص في النظرية والتطبيق، ص 27.

تكييف الحياة الإنسانية حتى لا يترك القارئ إلا وهو على يقين تام ومعرفة تامة بالبيئة التي تدور فيها الأحداث وبكل مظاهرها ومتغيراتها"[1].

"أحيانا يتجه بعض الكتّاب إلى إبراز البيئة المحلية ليعكسوا أثر البيئة الطبيعية التي تحتويها، والفترة الزمنية التي تعيشها، وليس من السهل نقل الحدث لبيئةٍ مخالفةٍ لبيئة وقوعها وزمن حدوثها لارتباطه بها ارتباطا عضويا ومنشأ فكرته فيها، وقد يختص بعضهم ببيئات معينة أو أنواع خاصة من الحياة الاجتماعية ومسرحها بمختلف اتجاهاتها، فعناية الكاتب بها متفاوتة بين اللمحة السريعة والوصف الدقيق المفصل حسب ما يقتضيه الأمر"[2]. " ويبدو تصوير البيئة الاجتماعية في القصص التي تؤرخ العادات والتقاليد لفترة زمنية معينة واضحة، مما يطلق عليها قصص الحقبة ، "[3] أما تصوير البيئة الطبيعية فيبدو أكثر وضوحا لأنها محاكاة للواقع، وكلما كانت البيئة في القصة أشبه بالواقع كانت أكثر أثراً في النفس.

الفكرة في القصة الفنية:

تنبع قيمة الفن القصصي من وظيفته التي يؤديها ومدى حاجة الناس إلى هذا الفن؛ ذلك لأنه يعتمد على مجموعةٍ من الأفكار والقضايا التي يرى الكاتب طرحها من خلال سرده لوقائعَ حقيقيةٍ أو متخيلة تمثل حياة البشر وأنماط سلوكهم ويقوم بتعميقها وتوضيح جوانبها وتجسيد الحقائق والظواهر الإنسانية حتى يصل القارئ لفهم أكثر عمقًا ونضجًا،"وحتى يكون الحكم على مظاهر السلوك الإنساني لبيئةٍ ما دقيقًا وأمينًا، فينبغي أن يشتمل موضوع القصة على فكرة واضحة تنتهي لغاية معينة ومضمون معين، أما سر جودة الموضوع فلا توجد له قاعدة ثابتة فلكل قصة جانب يكشف مواطن عظمتها وعمق فكرتها ولا يتأتى ذلك إلا في إطار قصصي يحقق فكرة أو يبرهن عليها، فالفكرة تنصب على محاولة الكاتب في وصف ظاهرة ما وصفا دقيقا؛ وحبكة القصة وإطارها الفني يبرز الفكرة ويجسدها في عمل فني متكامل"[4].

" ثمة نوع من القصص تكون السيادة فيها لفكرة من الأفكار تطفو على سطح الحوادث وتحجب البيئة والشخصيات خلفها، وكثيرا ما تكون الغاية الأولى لهذا النوع إصلاح المجتمع أو السخرية من بعض النقائص الاجتماعية أو استهجان بعض الأفكار الطارئة، وتجسيد بعض المعايب إلى جنب الفضائل، وأحيانا يسعى القاص إلى اصطناع الشخصية وتسخير الحوادث حتى تصوّر الفكرة التي تصوّر الأخلاق في أجلى مظاهرها "[5]. لا بد لكل قصة جيدة هدف تسعى إلى تحقيقه، وغاية تصنع من أجلها، وهي الفكرة

---

[1] - جميل سلطان، فن القصة والمقالة، ط 1، دار الأنوار، بيروت، 1967م، ص 21.

[2] - أحمد أبو سعد، فن القصة، مرجع سابق، ص 105.

[3] - علي عبد الخالق، الفن القصصي، مرجع سابق، ص 85.

[4] - حسين القباني، فن كتابة القصة، ط 2، مكتبة المحتسب، عمان، الأردن، 1974م، ص 53.

[5]- علي عبد الخالق، الفن القصصي، مرجع سابق ، ص 66.

التي يدير الكاتب قصته كلها حولها، وهي تمثل وجهة نظره في الحياة وتفسيره لها وتفقّده لأنبائها وسير الأحداث التي تجسدها الشخصيات" وقد لا تكون للقصة غاية إلا نفسها، فالكاتب عندما يلتزم بتجلية فكرة من الأفكار فلا بد أن التزامه هذا سيعوده على افتعال الحوادث وفقد الشخصيات حريتها وتتصرف تبعا للفكرة لا تبعا لتكوينها الإنساني وإقحام كل ما من شأنه أن يساعد على إبراز فكرته وتأييدها مما قد يؤثر سلبا في إبداعه الفني"[1].

وهناك معنيان للفكرة، أحدهما الفكرة الرئيسة وهي التي تمثل وجهة نظر القاص التي يريد توصيلها، والآخر المغزى وهو الانفعال الأخير الذي يستشعر القارئ والمعنى الذي يستخلصه من القصة.

الإبداع الفني (الحبكة) في القصة الفنية:

وهي طريقة المعالجة الفنية للحوادث التي تجري في القصة،" ترتبط عادة برابطة السببية في تعليـل أسباب هذه الأحداث ودوافعها، ولا تنفصل عن الشخصيات إلا فصلا صناعيا مؤقتا دون أن تفسد تسلسلها بالحشو والإسهاب أو بالحذف والإيجاز، وإنما يحافظ على التناسق والتناسب دون تلكؤ، ويعتمد فيها السابق على اللاحق أثناء السرد، حتى يستطيع الكاتب بلمساته الفنية أن يحيل الأشياء التي تبدو مموجة إلى روائع"[2]. المواد الأولية التي تستمد منها هي واقع الحياة التي تحيط بالكاتب ومعانيها الإنسانية الأصيلة التي لا تُعنى بما يطفو على سطح الحياة من زبد الحوادث والشخصيات، ولكنها تتعمق إلى مختلف العواطف وتستبطن ألوان المشكلات، وتعكس صور الصراع الحيوي الذي تتصل أواصره بين أعضاء هذه المجموعة الإنسانية الصغيرة التي عزلها الكاتب عن تيار الحياة المتدفق ليصفها لنا في دقة وأمانة دون أن يفصم بينها وبين الحياة الكبيرة الذاخرة . تتشابك أحداث القصة جميعها منذ البداية وتتجمع عند عقدة معينة وهي الذروة حيث يغلفها الغموض وتضطرب عواطف القارئ، وتزداد لذته لوصول الحوادث إلى أبعد مجاريها وأحرج مواقفها، فيدفعه التشوق لمعرفة الحل، فيبدأ الكاتب في كشف النقاب عنه شيئا فشيئا فتتكشف مسبباته التي يتصاعد ويتطور معها سرد الأحداث بحيث تزول عنه ضغط التهييج ليبقى أحسن الوقع وأبقى الأثر في النفس." ويمكن تقسيم الحبكة القصصية من حيث التركيب الفني إلى نوعين أساسيين:

القصة ذات الحبكة المفككة: وهي التي تبنى على سلسلة من الحوادث أو المواقف المنفصلة التي لا تكاد ترتبط برباط، ووحدة العمل القصصي فيها لا تعتمد على تسلسل الأحداث، ولكن على البيئة التي تتحرك فيها، أو على شخصية البطل، أو على النتيجة العامة التي ستنجلي عنها الأحداث أخيراً، أو على الفكرة الشاملة التي تنظم الحوادث والشخصيات جميعا،

---

[1]- علي عبد الخالق، الفن القصصي، مرجع سابق ، ص 66.

[2] - زكي مبارك ، النثر الفني في القرن الرابع الهجري ، ط 1، المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، مصر، 1987م، ص 141 .

تقع على شكل حلقات متتابعة لا تنحدر الواحدة منها من الأخرى، ترتبط برباط خفي تظهر بعد الانتهاء من القصة، ولكنها لا تمنع أن تكون ممتعة .
القصة ذات الحبكة المتماسكة: فهي على عكس القصة ذات الحبكة المفككة، إذ تقوم على حوادث مترابطة، يأخذ بعضها برقاب بعض، وتسير على خط مستقيم حتى تبلغ مستقرها، مما يجعلها تنقلب أحيانا إلى عمل آلي تصل إلى حد الصنعة والافتعال إن لم تتحرك بطريقة طبيعية خالية من الصدفة" [1].
"وقد قُسمت القصة من حيث البناء إلى نوعين:
الحبكة البسيطة : فتبنى القصة فيها على حكاية واحدة لها استقلاليتها في كل مضامينها.
الحبكة المركبة : فتكون مركبة من حكايتين أو أكثر تنبثق من سبب واحد، وهذا يتطلب التوازن وإظهار تأثير إحداهما على الأخرى وترتبط برباط خفي"[2].

إذن الحبكة هي مجموعة من الحوادث مرتبطة بعضها ببعض ارتباطا زمنيا، ومعيار الحبكة الممتازة هو وحدتها، ولفهمها يمكن للقارئ أن يسأل نفسه الأسئلة التالية : ما الصراع الذي تدور حوله الحبكة ؟ أهو داخلي أم خارجي؟ ما أهم الحوادث التي تشكل الحبكة ؟ وهل الحوادث مرتبة على نسق تاريخي أم بيئي أم اجتماعي؟ ما التغيرات الحاصلة بين بداية الحبكة ونهايتها؟ وهل هي مقنعة أم مفتعلة؟ وهل هي سريعة أم بطيئة؟ هل الحبكة متماسكة أم مفككة، بسيطة أم مركبة؟ ويمكن الإجابة عن هذه الأسئلة حسب القصة التي بين أيدينا، فكلّ قصة تختلف عن الأخرى في أحداثها وشخصياتها وحبكتها وفكرتها، كما يمكن شرح الحبكة بالاعتماد على عناصر القصة التي تتألف من " العرض والحدث الصاعد وبؤرة التأزم، والحدث النازل فالنتيجة ثم الحل[3]".

التوقيت والإيقاع في القصة الفنية الحديثة:

يرتبط التوقيت ارتباطا وثيقا بتراخي العمل وتوتره في القصة، فإن طبيعة العمل القصصي الذي يزاوج بين القوة والضعف والتراخي والنشاط والاستجماع والوثوب يجب أن يسير على خطى ملائمة لكل ذلك، فكل قصة تختلف في بدايتها وسير أحداثها وتجسيد أشخاصها، فمعظمها يبدأ بمقدمة هادئة مسترخية إلى أن تبلغ بداية تجمع العاصفة ويتلو ذلك اشتداد وطأتها وتأزمها حتى تبلغ الذروة حيث القمة التي تبلغها أحداث القصة في تعقدها، وعندما يبلغها القارئ ينفعل أشد الانفعال وتتلاحق أنفاسه وتضطرب عواطفه وتختلط أحاسيسه وتزداد متعته ويتضاعف

---

[1] - ينظر محمد يوسف نجم، فن القصة، مرجع سابق، صفحة 69 وما بعدها.
[2] - محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث- ط 3، مطابع الشعب، مصر، 1964م.ص 71.
[3] - عز الدين إسماعيل، الأدب وفنونه، ط 8، دار الفكر العربي، القاهرة، 1983م.،ص 65.

شوقه لمعرفة الحل، فيتحقق بذلك عنصر التشويق. "والذروة نقطة فاصلة في القصة تتدرج الحوادث قبلها صعودا حتى تصل إلى التوتر ثم تبدأ بعدها بالتصفية والتكشف إلى أن تبلغ النتيجة أو الغاية، ثم تنحدر قاطعة الطريق في سرعة متناقصة حتى تصل إلى مستقرها، ومن الطبيعي أن تختلف سرعة السير باختلاف تنامي الأحداث، تختلف القصص من حيث الإيقاع والتوقيت، فبعضها سريعة وعاصفة ولكنها تترك أثرا للقارئ يقوده إلى سد الفجوات بين أحداثها حسب السياق، والبعض بطيئة وهادئة تشرح وتصف كل شاردة في حياة البطل بهدوء وسكينة"[1].

الأسلـوب في القصة الفنية:

"الطريقة التي يستطيع بها الكاتب تسخير الوسائل الأدبية التي بين يديه لتحقيق أهدافه الفنية واختيار الأطر المناسبة والملائمة لإخراج القصة إخراجا فنيا رائعا يمتلك على القارئ لبه ويجذب انتباهه، فيتابع سيره في قراءتها مأخوذا بما فيها من سحر وبساطة وعذوبة وما لديها من حلاوة ليستثير القارئ يفرحه أو يحزنه فيندفع إلى النهاية مقودا بنشوة التشوّق لمعرفة النتيجة والوصول إلى الحل"[2]، فلكل كاتب أسلوبه في طريقة اختيار اللغة التي يستخدمها، وصياغة الكلمات وترتيب الجمل وتنسيق الحوادث وبث المشاعر ووصف مظاهر الطبيعة وأثرها في ملامسة الجوانب النفسية للشخصيات، لذلك تتشكل الأساليب وتتنوع حسب الحالة وفي النهاية تؤدي الهدف المطلوب.

"الأسلوب التعبيري والتحليلي: هو المعنى والإحساس والإيقاع والقصد إلى ما يرمي إليه القاص من موسيقى لفظية يتميز بها كأمارة فنية لخصائص نفسه، فيجب أن تجمع القصة بين الفائدة والروعة البيانية، ويتناوله القاص بالخواطر وحديث النفس والتحليل المنطقي .

الأسلوب التسجيلي: تسجيل ما يريد القاص توصيله للقارئ بدقة عن طريق السرد، متجنبا النبرة الخطابية والتوجيه المباشر الذي يبعد بالقصة عن السرد الفني.

الأسلوب الحواري: يقوم القاص بتوصيل فكرته عن طريق حوار الشخصيات، ولكل أسلوب من هذه الأساليب ما يميزه عن الآخر"[3].

ما هي القصة الجيدة من منظور النقد الأدبي ؟

---

[1] - المصدر نفسه، ص 71.

[2] - محمد يوسف نجم، فن القصة، مرجع سابق، ص 115.

[3] - محمد يوسف نجم، فن القصة، مرجع سابق، ص 117.

هي التي توفر له أكبر قسط من اللذة التي تبعث السرور في نفس القارئ، فلذلك يتطلب من القصة أن تكون زاخرة بالحياة، لكي يجد القارئ في قراءتها مخدّرا ينسيه همومه ومتاعبه، "بعض القصص تعتبر جيدة لأن فيها المرح والرشاقة والسحر في أسلوب الكاتب، وبعضها تتسم بالحيوية لما فيها من فكر عميق يطرحه الكاتب بصورة جادة أو بسخرية هادفة، والبعض الآخر تجد قوتها في روعتها نتيجة لمقدرة كاتبها في رسم الشخصيات الإنسانية، وهناك نوع من القصص تجد فيها براعة الكاتب في تصوير البيئة التي يتحرك فيها العمل القصصي، وأكثر القراء يبحثون عن القصة التي تقدم لهم شخصيات حية، فهم يسعون إلى التعرف إلى شخصيات جديدة وهي تتفاعل مع شخصيات إنسانية يسهل عليهم فهمها لأن في الشخصية القصصية صفاتٍ تمتلك على القارئ لبه وتستأثر بأكبر نصيب من إعجابه وتقديره، أما العظمة الحقيقية في القصة فيعتمد على عظمة الموضوع نفسه أو القيمة الحقيقية لمواده الأولية، ولكن عظمة الموضوع وحدها لا تكفي لجعل القصة عظيمة إذ لا بد لها من يد صناع تستطيع أن تبرز خصائصها وصفاتها وطاقاتها الكامنة على أحسن وجه، ومعنى ذلك أن الأمر يتوقف على عملية الإبداع في القصة وما يرافقها من موهبة طبيعية وبراعة فنية إضافة إلى الصقل بالخبرة الواسعة، فلذلك لا تجد للمواضيع أهمية إن لم تلازمها عملية الإبداع، إذ أن المواضيع ملقاة على الطرقات يلتقطها الكاتب، فالمهم هو طريقة معالجتها"[4].

[4] - محمد يوسف نجم، فن القصة، مرجع سابق ، ص 61.

المبحث الثاني: القصة في التراث العربي القديم

المطلب الأوّل: أولية القصة عند العرب:

"إنّ الحديث عن أوليات القصة يعني الحديث عن العقلية التحليلية التي يمتلكها العرب في القدرة على الإبداع في المزج بين عناصر القصة بقدر ما تستحق، وتهيئ فرصة التقدير في إطار العلاقات المحددة فيها، وتتمكن من تقويم الأداء المناسب الذي يجعل الحوار موافقا لطبيعة الشخصية ومطابقا لمسلكها الذي يتقاطع على امتداد المواقف التي يؤديها، وتملك ساحة التصور التي توظفها لتصب في النهاية المطلوبة أو الغاية التي ترمي إليها لتتكامل الوحدة فيتحقق هذا التكامل، إن هذا الاستيعاب الشامل والاقتدار الكلي الذي يمكن أن يحيط بهذا العمل والتمكن من خلق الجو المناسب، وإضفاء الخيال الذي يحرك الصورة باتجاه الفعل ويلون الموقف الذي يعطي القصة جانبا من التأثير لحمل القارئ على المتابعة أو التشويق لا يمكن أن يتحقق إلا بإرادة قائمة واقتدار فني في نطاق الظرف المحدد لمعنى الفنية"[1]. على هذه الفكرة استند بعض المؤرخين العرب وذهب بعض الباحثين إلى" أن القصة القصيرة قد وجدت طوال التاريخ بأشكال مختلفة مثل قصص العهد القديم، ويعتبرون الأحدوثة وقصص القدوة الخلقية في زعمهم هي أشكال العصر الوسيط للقصة القصيرة. ولكن الكثير من الباحثين يعتبرون أن المسألة أكبر من أشكال مختلفة للقصة القصيرة، فذلك الجنس الأدبي يفترض تحرر الفرد العادي من ربقة التبعات القديمة وظهوره كذات فردية مستقلة تعي حرياتها الباطنة في الشعور والتفكير، ولها خصائصها المميزة لفرديتها على العكس من الأنماط النموذجية الجاهزة التي لعبت دور البطولة في السرد القصصي القديم"[2]، وبين هذا وذاك يمكن أن يعتبر هذا النوع من القصص عند العرب القدماء نثرا فنيا وجد في تلك الحقبة الزمنية بما يناسب طبيعتهم، وليس فنا مستحدثا ومجرد محاكاة لقصص الغرب، وارتباط الفن بالإنسان منذ القدم يعد ضرورة لنمو فكره وتطوره."على الرغم أن القصة لم تكن موجودة قديما بمفهومها الحديث حتى في الأدب الأوروبي قبل منتصف القرن الثامن عشر فإنها كانت معروفة عند العرب وقد مارسوها في وقت مبكر بل وإن الأوربيين أنفسهم مدينون بقصصهم للعرب ولكنهم ساروا بعدئذ في طريق التطور والنهوض، فنهضت قصصهم معهم وتطورت بينما جمدت

---

[1]- نوري حمودي القيسي، تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام، مجلة كلية الآداب – جامعة بغداد، العدد 38 عام 1990م، ، ص 7.

[2]- ينظر المصدر نفسه، ص 33 .

القصة العربية وتقهقرت بجمود العرب وتقهقرهم وظلت كذلك زمنا طويلا إلى أن نهض العرب من جديد فنهضت قصصهم وتطورت، وأخذت تبلغ نضجها وتمامها في القرن الثالث الهجري، فالعرب منذ العصر الجاهلي كانت لهم قصص وأخبار تدور حول الوقائع الحربية خاصة التي تتعرض لأخبار الأبطال والمشاهير، باعتبارها موردا ثرّا من موارد القصص، وما تروى عن أساطير الأولين مثل قصة عنترة وقصة الملك سيف بن ذي يزن وقصة أبي زيد الهلالي وكلها تدور حول الحب وقصص الفرسان، ومن تجسدت في أعمالهم قيم البطولة، وكانت أخبارهم سردا لأحداث الرواة، وبطولاتهم ساحة لتحريك المشاعر التي تشد المتلقين، ولم ينس الرواة أبرز الشخصيات التي كانت نماذج عليا في فصاحة الرأي والاهتداء إلى مواطن الصواب والتعقل في الأحكام"[1] وعندما جاء الإسلام جاءهم (بأحسن القصص)،وعلى منوالها سار القصاصون في تأليف القصص والحكايات مبنية على أساس تعاليم الدين الجديد والمواعظ، فظهرت قصص الأنبياء، وقصة والمعراج، وغيرها من القصص التي استمدت عناصرها من قصص القرآن الكريم ثم نمت هذه القصص وتضخمت حتى أصبحت في العصر الأموي عملا رسميا يعهد به إلى رجال رسميين يتقاضون عليه الأجر، كما يلاحظ أن القصة عند العرب في القديم تذكر شيئا من تاريخ الأمم التي نزل بها العرب أو الأمم المجاورة، فقد كان النضر بن الحارث يقص قصص الفرس وأساطيرهم."[2] "فالقصة في الأدب العربي باتجاهاتها الحديثة والرواية القديمة بكل مضانينها وأحداثها وشخصياتها هي سلسلة قصصية تتوالى فيها الأحداث وتبرز المواقف من خلال الخبر الذي يروى والحكاية التي تمتد عبر السنوات الطويلة والخصائص التي تتراكم في السجل التاريخي ، تروى عبر الأجيال مبثوثةً في كتب الأدب"[3]، "وهي في كل عصورها وسيرها تمثل القناة الفكرية والثقافية التي تعبر عن الحاجة القائمة، وتدل على الواقع الذي كان يفرض عليه هذا النوع الأدبي لتظل تأثيراته في نفوسهم مدعاة للإثارة، وهواجسه سببا من أسباب التمسك بما يروى، والالتزام بما تثيره من خصائص عدة؛ حرصوا عليها وآمنوا بقيمتها ومُثلها، فالفيض الزاخر الذي قدمته الروايات والأخبار وما رافقها من وقائع كانت مادة غزيرة تصرف فيها أصحاب القصص فمدت خيالهم بمادة جديدة، وأغنت ثروتهم الأدبية بوافر من المواقف، وأتاحت لهم الفرصة للحديث، وهيأت لهم المناخ المناسب ليتخذوا من أخبارها ما يلون حكاياتهم ويضيف إليها من النفس الأدبي ما يجعلها مقبولة ومستساغة تمنح السامعين متعة التشوق وتنقلهم إلى

---

[1] - فاروق خورشيد ، فن الرواية العربية ، ط 2، دار الشروق، القاهرة, 1975، ص 71.

[2] - زكي مبارك ، النثر الفني في القرن الرابع الهجري مرجع سابق، ص 28.

[3] - موسى سليمان ، الأدب القصصي عند العرب ، ط 2، دار الكتاب اللبناني،1956’ ص 13.

العالم الذي يجدون فيه آمالهم ومطامحهم، وتعزز في أعماقهم قيم الخير التي عرفوها، ومبادئ المروءة التي عاشوا من أجلها، ومآثر المفاخر التي ألهمتهم كرامة الوفاء لكل عمل خير ومكرمة حميدة . هذه الثروة الهائلة من تراث العرب القصصي من صنع قوم مفطورين بطبيعتهم على القص ولم يكتسبوها صدفة أو عن طريق النقل، فالعقلية العربية كنز لا يستهان بها"[1].

القصة في العصر الجاهلي:

إن العرب في جاهليتهم اهتموا بالنثر الفني اهتماما ظهر أثره وعرفت خواصه في خطبهم ورسائلهم ومفاخراتهم وأسمارهم، "ولكن ما عرف عن العرب من إهمال الكتابة والتدوين بسبب شيوع الأمية مما أضاع معرفة مدى اهتمامهم بالبديع والبيان والتصوير"[2]، يعد القرآن الكريم شاهد من شواهد النثر الفني عند العرب، كيف لا! ولم يكن الإسلام موجودا قبل القرآن حتى يغيّر أوضاع التعبير وأنماط الأساليب، إذن إن القرآن الكريم يؤكد وجود النثر الفني في عصر الجاهلية، وفي القرآن الكريم نص صريح يؤكد أن الرسول لا يرسل إلا بلسان قومه، يقول الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ[3]﴾، وإن الرسول صلى الله عليه وسلم أرسل بلسان قوم خبروا النثر القائم على الفنية، والقصص القرآنية دليل على ذلك، لذا فإن العرب عرفوا القصص في أدبهم منذ أقدم العصور في شكل قصص قصيرة وروايات ووقائع وسرد حكايات ذات دلالات قصصية، الأمر الذي نستشف منه لأول وهلة أن " العرب عرفوا أشكالا قصصية متعددة الخصائص والملامح والأهداف، وإن لم ينصّ نقادهم على اعتبار هذه الأشكال نوعا أدبيا له ملامحه وخصائصه "[4]، ففي العصر الجاهلي نجد أن العربي قد" نسج قصصا وحكاياتٍ تصور البيئة وتعبر عن حياتهم وتدرس نفسياتهم وتسبر في أغوارها وتصور حياتهم بمختلف بيئاتهم وأطوارهم بما فيها أسمارهم وأمجادهم، وترسم في شتى ميادينهم الفكرية والمعيشية والأخلاقية رسما يتجلى فيه وجه مجتمعهم، وتتضح سماتهم، وتظهر نفسيات أهله ظهورا يكشف عن مخابئها وأغوارها، ويبين أثر الطبيعة وتقلبات المجتمع أثناء حالات الرضا والفرح والقهر والعبودية والذل والإقطاع وفترات تعدد الآلهة والإيمان بمجتمع القوى الخفية وتصوير أيام اللهو والمجون وليالي الأنس والأفراح يتفنن فيها القصاصون ما شاء لهم التفنن ويختلفون عليها من أنفسهم ويلونونها بألوان عيشهم ومطمح رغباتهم، ولم يعرفوه عملا مركبا تركيبا فنيا تدخل الحبكة الخيالية عنصرا

---

[1] - نوري حمودي القيسي، تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام، مرجع سابق، ص 24.

[2] - أحمد أبو سعد ، فن القصة ، مرجع سابق ، ص 44.

[3] - سورة إبراهيم الآية (4) .

[4]- سعيد الوراقي، اتجاهات القصة القصيرة في الأدب العربي المعاصر في مصر، ط 2، دار المعارف، مصر، 1984م. ص 25.

أساسا فيها"[1]، "كما شابهت القصة العربية في طور نشأتها بقية القصص العالمية ونشأت عما نشأت عليه ولم تشذ عنها، بل ابتدأت كما ابتدأ غيرها، فروت أحلام الإنسان البدائي وتخيلاته عن الآلهة وعلاقة الفرد بالمجتمع والطبيعة وما وراءها، فإنها نشأت بنشوء الإنسان الأول محاطا بالوحوش الضارية تناصبه العداء صباح مساء وبنواميس الطبيعة التي تنكئ به وهو يجهل ما لها من أسرار، فتملّكه الخوف وتصور أن وراء هذه الظواهر قوى خفية، وكلما قَوِيَ عامل الخوف جدّ في التأليه، وكان بطلها الأول، فأخذ خياله يحيك حولها القصص وينسج الأساطير متصورا أن وراءها قوىً خفية تحيا مثله وتؤثر في حياته فرهبها وألّه مظاهرها، فقدم إليها الذبائح والقرابين تسكينا لغضبها وطلبا لرضاها، ونسب إليها كثيرا من التصرفات والعواطف البشرية "[2]. "إن العالم الفسيح بصحرائه اللامتناهية والليل الطويل بجلاله الذي تلتصق نهاياته بحوافي الهضاب أو الكثبان الرملية وتختفي نجومه بين شعاب المرتفعات التي تحيط بهم كان مثار خيال واسع وخلق تصور متعدد الأبعاد، أما الوديان التي كانت ترتبط متخيلاتها بأساطير رهيبة ومخاوف مرعبة فكانت لهم في أحاديثهم ذكريات لا تخلو من غرائب بعد أن اقترنت بالجن التي أفرد الشعراء لها مساحة من قصائدهم وادعوا بأنهم يرون الغيلان والسعالي ويسمعون عزف الجن، وذكروا من القصص الشيء الكثير، وأصبح للجن جبل ووادي ومواضع ونسبت إليهم أعمال، وصنفوا لهم مراتب، وتجاوزوا ذلك حتى زوجوهم وتزوجوا منهم"[3].

" كانت القصص في الجاهلية تروى على وجوه كثيرة، معظمها من نسج الواقع، حيث إن العرب كانت لا تعرف الخيال ولا المبالغة، وما يأتيهم من أخبار الأمم السابقة والغابرة يؤمنون بوجودها حقا، وتزخر القصة العربية ونشأتها بأساطير الأولين التي تناقلوها غابرا عن غابر؛ كنبأ الزهرة وقصة فتنتها للملكين هاروت وماروت، وما كانوا يتحدثون به عن القمر حينما أراد أن يتزوج الدبران من الثريا، وما كانوا يتحدثون به عن الشعريين وسهيل والجدي وبنات نعش وعن هبل ورب الأرباب وعن خرافة نار الحرتين ونار قزح وأصنام عمرو بن لحي وأساف ونائلة وعوج بن عناق، واللات والعزى وثالثهما ومنات، وحديث الكعبة وبنائها وتطور المعتقدات بشأنها وعن الصفا والمروة، وحديث الحجر الأسود وعام الفيل وعن الغيلان والسعالي وقصص شياطين الشعر والغرام بين الثقلين وعشق الجن للأنس وقصص الكهانة والعرافة والسحر، والقصص التي تتحدث عن إبليس وعبادة العرب للبرق والجن والملائكة، وأخبار العرب الأولين من عاد وثمود وطسم وجديس وجرهم والعمالقة، وما يدور حول عاد ومدينتها إرم ذات العماد، وعن سد مأرب والسيل العرم وغيرها من عجائب المخلوقات

---

[1] - انظر أحمد أبو سعد ، فن القصة ، مرجع سابق ، ص 49.

[2] - السباعي بيومي ، تاريخ القصة والنقد في الأدب العربي، مرجع سابق، ص 16.

[3] - الجاحظ أبو عثمان عمر بن بحر، الحيوان، ج 2، تحقيق عبد السلام هارون – مكتبة البابي الحلبي، مصر 1357هـ .، مج 2، ص 357.

وغرائب الموجودات كلها طرائق وحكايات تزخر بالقصص الأسطوري المتدفق بالخيال، والذي يؤلف في تراثنا مادة غزيرة من أدب الخرافات والأساطير تضاهي أدب الخرافات عند الأمم الأخرى أو تقاربه وتعكس حياة العرب وما مروا به من أطوار ومعتقدات دينية ونظم اجتماعية أشار إليها كلها القرآن الكريم بقصد العظة والعبرة ولم يفصلها تفصيلا دقيقا مما يدل على أنها كانت متداولة ومعروفة في كل جزيرة العرب، هذا التراث الهائل من القصص عند العرب قديما قد فرضته ظروف الصحراء المحدودة، فلما اتسعت آفاق الحياة بدؤوا يستقبلون صنوفا شتى من المعارف والتجارب الإنسانية، عندئذٍ تزحزح عالم الخرافة والأساطير ليفسح المجال لعالم آخر برّاق يرتكز على الواقع، وهذه الأشكال القصصية تعتمد على نقل الخبر وروايته بطريقة مختصرة وملخصة يدخل فيها عنصر الخرافة ولا تخلو من تشويق دون أن تعطي أهمية للشخصية الإنسانية داخل هذا الخبر بقدر ما تهتم بالأحداث، ومن هنا جاءت الشخصيات داخل هذه الأخبار غير واضحة المعالم حيث كانت وسيلة لنقل الخبر، أما أسلوب النقل فقد اعتمد على المباشرة والسرعة "[1]

" تعتبر الأمثال صورة أخرى من صور القصص في العصر الجاهلي بأنها ليست مجرد جملة أو عبارة جرت كالحكمة على ألسنة الموهوبين، إنما هي رمز لقصة حقيقية مطابقة للواقع حدثت بالفعل، فتناقلتها الألسن وتعاقبتها الأجيال، فاندثرت القصة وبقيت الأمثال، فكان الرواة يسوقونها للاعتبار بما تمخضت عنها من كلمة حكيمة، والمثل كلمة تطلق على الحكمة والحكاية القصيرة ذات المغزى وعلى الأساطير حدثت في زمن ما وتكررت في وموقف مشابه"[2]، ومن يتأمل معنى كلمة الأمثال في القرآن الكريم يجدها تحمل معنى القصص والصور التمثيلية التي تساق للعبرة، "ومن الشخصيات التي ضربت لنا فيها أروع الأمثال شخصية لقمان الحكيم التي ورد ذكره في القرآن الكريم"[3]. و كانت الأخبار عن" أيام العرب في الجاهلية وجها من وجوه القنوات الثقافية التي تعوّدَ عليها العرب، وهي من أغزر ينابيع القصص القومي البطولي الذي تتمثل فيه صور من الملاحم العربية التي كانت تحرك أريحيات القوم وتثير العزة والنخوة في جموعهم، وبقيت موردا عذبا للقصص الشعبي والقصص الفني لأنها تجمع الخبر المشوِّق والحدث العزيز والقصة المثيرة والمأثرة الكريمة، وتعبِّر عن الجوِّ الذي ترتاح إليه نفوسهم وتسمو إليه مطامحهم، وتكبر في رحابه آمالهم وهم يتزودون بكل ما يجعل به حياتهم أكثر عطاء، ويستذكرون كل مجد عزَّت عليهم أخبارهم حتى يوشك أن يحسَّ القارئ بأنه يعيش جو أيام العرب قبل الإسلام لما كانوا يولونهم من أهمية، ويعنون به من تفاصيل

---

[1]- سعيد الوراقي، اتجاهات القصة القصيرة في الأدب العربي المعاصر في مصر،مرجع سابق، ص 27.

[2]- أحمد أمين ، فجر الإسلام ، ط 10، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1969م ، ص 6.

[3]- أحمد أبو سعد ، فن القصة ، مرجع سابق، ص 61.

وافية، وما تساورهم من انفعالات حسية وهم يستمعون إلى أخبارها، وما يعتريهم من حماسة وهم يزدادون إعجابا وزهوا بعد استذكارهم لما كانت تؤديه قبائلهم ويسجله أبطالهم من استبسال منقطع النظير حتى تطبق شهرتهم الآفاق، ولما كانت الحروب في الجاهلية أكبر عامل من عوامل التنازع من أجل البقاء، وكانت حوادثها تملأ فراغ حياة الفرد والأمم القديمة، لذلك جاءت صفحاتهم دامية ومفعمة بالفظائع والأهوال، لكن وجدت بجانب ذلك بعض القصص التي تدعو إلى المحبة والسلام صاغها نفر مجّ القتال وحياة الفزع والتشريد، وحن إلى حياة السكينة والطمأنينة والرحمة وكان يمكن لأيام العرب إن تشكل قاعدة قوية لبناء قصصي متطور لو لا إن ما فيها من واقعية تجمع الخيال جعلت العرب ينصرفون عنها إلى فن الشعر الذي أطلقوا فيه العنان لخيالهم"[1] .

القصة في عصر صدر الإسلام:

اختلفت الآراء حول القصة في صدر الإسلام ، ورد في النثر الفني لزكي مبارك "إن العرب لم يكن لديهم وجود أدبي ولا سياسي قبل عصر النبوة، وأن الإسلام هو الذي أحياهم بعد موت، ونبّههم بعد خمول، وما نقله الرواة لا يكفي لتعيين أساليب النثر في العصر الجاهلي وبيان الاتجاهات العقلية التي كان يرمي إليها الكاتبون إذ ذاك، وهو ـ مع قلته ـ مما وضع في العصر الأموي وصدر العصر العباسي لأغراض دينية وسياسية، وهو لهذا لا يعيّن مدرسة نثرية ولا مذهبا اجتماعيا، ولا رأيا عاما، إنما يعيّن أذواق واضعيه ومذاهبهم السياسية واتجاهاتهم الدينية"[2]، يذهب أحمد أبو سعد إلى أنه" كان للعرب قبل الإسلام نثر فني يتناسب مع صفاء أذهانهم وسلامة طباعهم ولكنه ضاع لأسباب أهمها شيوع الأمية وقلة التدوين، وظن الكثيرون أن الدين الإسلامي بتقويضه للمعتقدات الدينية قبل الإسلام والخوارق التي كانت سائدة آنذاك قد قضى على القصة العربية وحرمها من ينبوع ثرّ"[3]، والحق إن الدين الإسلامي قد عوّض القصة الإسلامية بما في كتابه الكريم من القِصص وروائع الأمثال في قوله تعالى :(لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ المَثَلُ الأَعْلَى وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ[4]، القصص والأمثال في القرآن الكريم تُعتبر أول صورة من صور القصص الفني ونقطة البدء في دراسته، وهذا ما أردنا الوصول إليه من خلال تحليل العناصر الفنية في قصص القرآن الكريم وقصة سيدنا موسى عليه السلام.

استخدم القرآن الكريم القصة والمثل كما استخدمتهما سائر الديانات من قبله لما كان لهما من سلطان على قلوب الناس، فخاطب رب العزة بهما النبي صلى الله عليه وسلم قائلا : (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ

---

[1] - محمود تيمور،فن القصة(دراسات في القصة والمسرح)، مرجع سابق، ص 25.
[2] - زكي مبارك ، النثر الفني في القرن الرابع الهجري ،مرجع سابق، ص 10.
[3] - أحمد أبو سعد ، فن القصة ، مرجع سابق، ص 61.
[4] - سورة النحل الآية 60 .

بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ[1]، فاستمال القلوب وسلب العقول بهذا الإعجاز العظيم، جاء في السيرة " إن النضر بن الحارث ـ ابن خالة النبي صلى الله عليه وسلم ـ كان يجلس إلى الناس ويقص عليهم أخبار فارس وقصص رستم وإسفنديار، ولمّا رأى تأثّر الناس بقصص القرآن الكريم، وإعراضهم عن قصصه حدثهم بقوله: (إن محمدا يحدثكم بحديث عاد وثمود وما أحاديثه إلا أساطير الأولين، وأنا والله يا معشر قريش أحسن حديثا منه، أحدثكم بحديث رستم وإسفنديار وأخبار الأكاسرة) ثم إذا فرغ من قصصه قال: بماذا محمدٌ أحسنُ حديثا مني؟"[2]، وهذا يدل على ولع العرب وشغفهم بالقصص، وأن القصص القرآني لم يكن إلا استجابة لهذا الولع، وأن الآية القرآنية التي نزلت تصف قَصص القرآن بأنه هُوَ القَصَصُ الحَقُّ وليس قصص النضر بن الحارث وغيره ممن تصدوا للدعوة المحمدية، ويزعمون أنهم ينافسون قصص القرآن الكريم. وتبقى قصص الأنبياء موضع اهتمام المؤرخين الذين فصّلوا أخبارهم حتى كانت مصدرا خصبا من مصادر التاريخ، وينبوعا صافيا من ينابيع الأدب، وضربا فنيا من ضروب القصص لما اشتملت عليه من الوقائع والأحداث، وما روي فيها من نثر وشعر، وما تضمنته من أخبار بقيت أصداؤها تتجاوب أجيالا لما حملته من مأثور الحكم وبارع القول وأجمل المواعظ وأروع الكلام .

يُعتبر عصر صدر الإسلام امتدادا للعصر الجاهلي خاصة في سلامة اللغة إضافة إلى الحياة الجديدة التى جاء بها الإسلام ودونها القرآن الكريم، ولم يكن الشعر وحده ثروة المجالس، ولم تكن الأيام وحدها خزين الرواة الذين حفظوا وقائعها وتداولوا ذكرياتها، إنما كانت القصص رافدا آخر من روافد الحياة العربية يعطي نبضا جديدا، وتعين الخيال على الامتداد الزمني ليتصل بعوالم غريبة، ويطوق مجاهل إنسانيةً يتصرف فيها الإبداع بشكل أكثر تفصيلا، وبوقائع أوفى تحليلا، وقد وجد فيها العرب سحرا يشدهم إلى أحداثها، وتصويرا يغذي خيالهم، أجناسا من البشر يختلفون عنهم في كثير من مظاهر الحياة، وأنماطا من العيش لم يعرفوا عن أخبارها ما يجعلهم يملّون الاستماع إليها حتى اجتذبتهم الدهشة وانتابتهم عجائب القصص، فبدؤوا يحتشدون لسماعها، وينصرفون لحفظ ما يدور فيها، ورواية ما يقفون عليه من طبائع البشر فأقبلوا عليها إقبالا يثير الدهشة، وأنصتوا إليها إنصات المولعين وقد بهرتهم غرائبها واستهوتهم نماذجها، فلم تنقطع أخبار القاص في العصر الإسلامي بعد أن اتسع دوره وعظمت منزلته وهو يسير مع سرايا المسلمين في الغزوات يحرضهم على القتال ويحبب إليهم الجهاد، ويستثير في أعماقهم أسباب النهوض وعوامل

---

[1]- سورة يوسف ، الآية 3.

[2]- ابن هشام، السيرة النبوية، ط 1، دار الكتب العلمية، مصر، تحقيق مصطفى السقا- إبراهيم الأبياري، 2001م، ج 1، ص،90، وأحمد أمين ، فجر الإسلام ، مرجع سابق، ص 68.

التوثب"[1]، فقد أصبحت المهمة قتالية لا تنحصر في الرواية فقط ولا تقف عند حدود ذكر الخبر، وإنما تجاوزتها إلى الحقيقة التي يصبح فيها القاص مقاتلا ومحرضا ومذكرا بما تفرضه لوازم القتال، وتتطلبه حاجة المواجهة، وتلزمه دواعي النضال القتالي، وهو يستوحي من حماسة المعركة ما يغذي به أوارها لتتأجج في النفوس ويتغلغل في الدواخل ما يجعلها تستمد منها روح الصمود ويعزز فيها قدرة التحمل ويشحذ من ذاكرة التاريخ ما يحمل المقاتلين على الصبر والثبات حين تلتحم الجيوش ويحمى الوطيس، ومن الطبيعي أن يتحرك هؤلاء القصاص على المستوى الفني الذي يعطي القصة قوة التأثير، وحِدّة المواقف لتصل إلى القلوب فتثيرها، فتلامس النفوس فتحرك دواعيها، وتنتقي من المفردات ما تجعلها أكثر توفيقا في الأداء، وأشد وقعا في المخاطبة، وأحدّ دفعا في الإثارة ، فانطلقت ألسنتهم ، وكان من دواعي ذيوع البلاغة حاجتهم إلى الدفاع عن صدق النبوة.

والحديث عن الاهتمام بالقصص الجهادية لا يأتي من باب الاستمتاع أو الاطلاع على أخبار الأمم والملوك فحسب، وإنما يأتي من باب استحياء أخبار القبائل التي ينتمون إليها، وأيام الفخر التي كانت تتأثر في ثناياها، وما قيل من قصائد وذكر مواقف، ومعرفة مشاهير الرجال بأعمالهم، كل ذلك كان يعزز ثقة المسلمين بإسلامهم وفخرهم بأمجادهم وبطولاتهم .

" تتصل أحاديث أيام العرب برواية القصص التي أصبحت ظاهرة ثقافية أخرى بعد أن أخذت شكلا متطورا من حيث المفهوم والهدف في العصر الإسلامي، فقد أضيف إلى كونها وسيلة لنقل الأخبار وروايته هدف آخر هو الهدف الخلقي والتربوي الذي قصد من وراء استخدامها في ميدان الوعظ والوصايا اتخاذها شواهد تتضمن عظات تربوية وأخلاقية، فقد حدّث الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن تميم الداري حديث الجسّاسة والدجال، وروي عن ابن شهاب : إن أول من قص في مسجد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ تميم الداري في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، استأذن عمر أن يذّكر الناس فأبى له، حتى كانت آخر ولايته فأذن له أن يذّكر في يوم الجمعة قبل أن يخرج عمر، فاستأذن تميم عثمان رضي الله عنه في ذلك فأذن له أن يذّكر يومين في الجمعة فكان تميم يفعل، ويبدو أن طريقة القاص كانت قريبة من الطريقة المألوفة؛ حيث يجلس في المسجد ويتحلق الناس حوله ليروي لهم مما ألفوا سماعه وأنسوا أخباره، ولكل مرحلة وعصر أخبار تناسب المقام، ففي مسجد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان التذكير بالله وأخبار الأمم السابقة هما محور حديث المتحدثين"[2].

القصة من العصر الأموي حتى بداية عصر النهضة وأطوار نموها

---

[1]- نوري القيسي، تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام، ص 10.

[2]- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، الإصابة في تمييز الصحابة ، تحقيق حسان عبد المنان، 2002م ج 1 ص 184.

وبما أن العصر الأموي كان امتدادا لعصر صدر الإسلام في معظم سماته في قوة اللغة " فقد شهد هذا العصر حركة واسعة لسماع أخبار الأيام والأمم الماضية والأجيال الغابرة والأحداث التي كان الناس يتشوقون إلى سماعها، وكانت هذه الأحداث أساسا لكثير من الأخبار التي هزّت خيال المؤلفين وأثارت قدراتهم الفنية وحملتهم على وضع المؤلفات الكبيرة التي غذّت العصر بثقافاتها المتنوعة، وملأت عليهم فراغهم، وهيأت لهم فرص الاطلاع التي وسعت مداركهم، وأغنت تجربتهم بما كانوا يتلقونه من أخبار، ولم تنحصر القصص في هذا الجانب فقط، إنما امتدت لتشمل أبوابا أوسع وموضوعات أكثر غرابة لما وجده القاص من إقبال وإعجاب، وقد حفز اهتمام بعض الخلفاء بسماع هذه الأخبار، فقد ورد عن معاوية بن أبي سفيان اهتمامه بالأخبار وحرصه وهو يأذن للخاصة والوزراء والحاشية ويستمر إلى ثلث الليل في أخبار العرب وأيامهم والأمم السابقة وملوكها وسياستها لرعيتها وسيرهم وحروبهم ومكائدهم وغير ذلك من الأخبار، يقرؤها غلمان وُكّلوا بحفظها وقراءتها؛ فتمر بسمعه كل ليلة جُمَل من الأخبار والسِّـيَر والآثار وأنواع السياسات، ثم يدخل فينام ثلث الليل ثم يقوم لتحضير الدفاتر والاستعداد لشؤون الرعية، ثم يخرج فيصلي الصبح"[1].

وتقدم كتب التاريخ في مجال القصة والحكاية والأخبار والأيام رصيدا ضخما، ولعل تاريخ الطبري "يستأثر بأغلب هذه النصوص عن طريق الروايات المختلفة من جميع الكتب التي سبقته، وكما حظيت هذه الكتب بأنواع القصص والأخبار فإن كتب التفاسير والشروح قد أفردت للأخبار والقصص الأسطورية مساحة، وربما يكون بعضها قد ألحق بالجاهليين ـ من باب الوضع ـ ولكن تبقى فائدتها الغزيرة ذات المحتوى الضخم في الرواية المتنوعة والأدب بفروعه والقصة والأسطورة والأثر، هيأت للباحثين مادة خصبة وقاعدة أدبية واسعة، وفتحت أمامهم آفاقا رحبة لمجاراتها حينا والتأثر بها حينا آخر، لما يأتي به القاص من نوادر ومُلَح، ولما يورد من أساطير في البلاغة والبيان"[2].

" انتشر في هذا العصر أنواع من القصص، وهي على الرغم مما فيها من خلط في التاريخ ومغالاة في الوصف ونقص في التأليف فإنها تحتوي على شئ من مقومات القصة الفنية، ويمكن أن تعتبر أحد أركان الفن القصصي العربي مسرحها الجزيرة العربية وبواديها تدور حول الصراع بين العاطفة والتقاليد، ومن أشهر هذه القصص القصص الغرامية قصة مجنون ليلى بطلها قيس بن الملوح، وجميل بثينة وبطلها جميل بن معمر، وقيس لبنى وبطلها قيس بن ذريح، وغيرهم من قصص العشاق العذريين، وهي قصص

---

[1]- أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ، ط 2،ج 3، المكتبة العصرية ، بيروت ، 1988م ص 31.

[2]- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري تاريخ الملوك والرسل ، ص 42.

شعرية منبعها البادية عالجت موضوع الحب العذري، أبطالها بدويون يعيشون على الفطرة ويتحلون بصفات طيبة كالكرم والشهامة والعفة، أما حبهم فحب عنيف وطاهر، محفوف بالمصاعب والتضحيات، تشترك في الأحداث التي بنيت عليها القصة، فهناك حب مبرح بين اثنين، ثم ظروف قاهرة أسبابها العادات والتقاليد العربية تحتم عليهما الفرقة ثم موت أحدهما وبعدها يموت الآخر متأثرا بما حدث، ويحدث كل ذلك في مشهد درامي مؤثر"[1].

"وهناك نوع آخر من القصص الحب هو قصص الحب الخليع رائدها عمر بن أبي ربيعة، والسبب في ظهورها يعود إلى حياة الترف والغنى التي عمت حواضر الحجاز، فقد كانت السبايا من الفارسيات والروميات والتركيات قد ملأن البيوت على أثر الفتوحات الإسلامية.

أما قصص الحرب والبطولات فهي قصص تعتمد في هيكلها على حوادث التاريخ، كقصة عنترة والزير سالم والبطال وقصة الأميرة ذات الهمة وقصة البراق وقصة سيف بن ذي يزن، وغيرها من القصص التي تروي بعض وقائع الحروب التي خاضها العرب قبل الإسلام"[2].

وإذا كان العصر الأموي قد شهد هذا التوجه الكبير" فإن دواعي العصر العباسي قد زادت اهتمام الناس بالقصص بعد أن اتسعت حلقات الدرس وانتشرت مجاميع أهل الفكر والوعظ في المساجد، وأصبحت الطرقات العامة أماكن يجد فيها القاص طريقا لسرد ما وقف عليه من أخبار، وهي ظاهرة أشارت إليها كتب الأدب وعرضت لها كتب التاريخ ولا سيّما حين تشتد أزمات الصراع وتختلف وجهات النظر ويضطر الحكام إلى تشجيع هذا الضرب أو منعه على وفق ما تقتضيه ظروف الحكاية أو القصة، وقد مهّد هذا الجو لظهور الأنواع الأدبية التي بدأت تعرض لألوان الحياة العامة وهي تتحدث بأساليب القصّاص والرواة وأصحاب المقامات"[3].

" فكانت تتناول الأقاصيص والطرائف يتحدث بها قصاصون بارعون في المساجد والمجالس الخاصة والعامة، فكان الراوية ينوع في الكلام ويشحنه بالشعر والمثل والموعظة الحسنة، ويتكلم عن الحرب ومشاهدها، ولا يزال بحديثه يحليه بأكبر قسط من الثقافة العربية والإسلامية حتى تظهر خطبة ممتعة أو قصة رائعة جذابة، وتاريخ القصص في الإسلام يرجع إلى الأيام الأولى، وقد قيل إن القصص وجدت منذ عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، ويرجّح البعض إلى أنها وجدت في أول عهد الخلافة الأموية حيث يجتمع الناس إلى القاص ويستمعون إلى تذكيره ووعظه فيما

---

[1]- إقبال هيكل، المدخل لدراسة الفنون الأدبية، ط 1، دار قطري بن الفجاءة، الدوحة، قطر، 1982م، ص 59.

[2]- حسام الخطيب، سبل المؤثرات الأجنبية وأشكالها في القصة السورية، ط 5، مطابع الإدارة السياسية، دمشق، 1991م.

[3]- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري تاريخ الملوك والرسل ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط 4، ج 1، دار المعارف، مصر ، 1960م ، ص 54.

يضرب من أمثال ويسوق من عبر، وكان الذين يتولون الكلام كل صباح جماعة من القصاص، لأن الغالب على كلامهم القصص ولو تضمن الموعظة والتذكير، وكانوا في بادئ الأمر خطباء متطوعين يتزاحمون على ذلك، ويبدو أن الناس كانت تحب القصاص أكثر من الوعاظ لما يأتي به القاص من نوادر وملح تؤثّر في قلوبهم تأثيرا لا يبلغه غيرهم من المتكلمين والوعاظ والمفسرين، ومردّ ذلك التأثير إلى طرافة القصة وجمالها وما كانت تضم بين دفتيه من حيوية وحركة، وكان ذلك مدعاةً للتعصب للقاص والبعد عن العلماء، فاشتد التزاحم بين القصاص على الرزق والشهرة والنفوذ، كما عظم التنافس بين العلماء والقصاصين، فظهر المذكرون الذين يعقدون المجالس بعد الصلاة للتسبيح والذكر لا للإيغال في العلم ولا للتسلية بالقصص ونافسوا القصاصين، وعملوا على إبعاد القصة عن المساجد وإضعاف نفوذ القصاصين، فاجتمع العلماء والوعاظ والمذكّرون على محاربة القصص في المساجد والمجتمعات الورعة، فكانوا يظفرون تارة ويخيبون مرارا لما للقصة من الأثر البالغ في نفوس الناس، وفاض أمر القصة وامتد أفقها وإذا بها تغادر المساجد ومجالس الأمراء والخلفاء وتمضي إلى طبقات العامة رويدا رويدا، فأصبحت لا تعتمد على الموعظة والقصة، وإنما الهدف الأساسي منها التكسب عن طريق الحيل والاستجداء برع بها جماعة من المشعوذين البارعين أطلق عليهم اسم بني ساسان، فكان هؤلاء يملؤون الأسواق والطرقات ويعملون على نشر الثقافة بين السوقة والرعاع، ولكنهم جاؤوا بأشياء حببتهم إلى الخاصة"[1] ومع تقدم الزمن واتصال العرب بالأجناس الأخرى واختلاطهم بالفرس واليونان اتسع نطاق المعرفة وتعددت الثقافات بالترجمة عن الآداب الأخرى، وإبداع العقل العربي؛ فظهرت كتب أدبية تعنى أيما عناية بأشكال النثر الفني من حكايات وأخبار ونوادر ذات طابع خلقي وتربوي، ولقد تمثلت هذه القيمة التربوية والأخلاقية خير تمثيل في القصة العربية في كتاب كليلة ودمنة الذي يحتوي على عدد من القصص المؤلفة على النمط الهندي على ألسنة الحيوانات، ترجمه إلى العربية عبدالله بن المقفع من اللغة البهلوية في القرن الثالث الهجري، اتخذ من الرمزية وسيلة لنقل ماأراد، بجانب سيطرة الطابع الأخلاقي التعليمي، كانت ترجمة ابن المقفع لهذا الكتاب سببا في ابتداع هذا الجنس الجديد في اللغة العربية، لم يقف حظ هذا الكتاب عند الترجمة، فقد نسج آخرون على منواله، "فألف سهل بن هارون كتابه (ثعلة وعفراء) وحاكاه علي بن داؤود وكتابه (كتاب النمر والثعلب)"[2]، "وممن نسجوا على منوال كليلة ودمنة إخوان الصفا في رسائلهم وقد نقلوا هذا الجنس الأدبي من المغزى الاجتماعي إلى الميدان الفلسفي، فألفوا محاكمة الإنسان والحيوان أمام ملك الجن، ثم توالى النظم في

---

[1] - حسين القباني، فن كتابة القصة، ط 2، مكتبة المحتسب، عمان، الأردن، 1974م ،ص 43.

[2] - حسين القباني، فن كتابة القصة، مرجع سابق ، ص 63.

عصور مختلفة فألف الشريف بن الهبارية (نتائج القطنة في نظم كليلة ودمنة) وكتاب (الصادح الباغم) وكتاب (درر الحكم في أمثال الهنود والعجم)"[1].

وبتتبع الخيط القصصي الذي يقوى أحيانا ويضعف أحيانا أخرى، نلمس عناية الجاحظ بفن رواية الخبر عن (البخلاء) وفن وصف الحِيل عن (الحيوان)، وغالبا ما تقوم هذه الأخبار على حوادث فيها ظرف وفكاهة ونوادر عجيبة مستمدة من حياة المجتمع في طبقاته المختلفة في تصوير مسالبها ومعايبها بأسلوب أقرب إلى السخرية والتندّر، "أما كتاب ألف ليلة وليلة والذي حقق الشكل القصصي فيه تطورا ملحوظا في النسيج والبناء إلى جانب الوظيفة الأخلاقية؛ فقد اهتمت معظم قصصه بالشخصيات المقدمة كنماذج بشرية وحيوانات متنوعة، لها واقعها الانفعالي ومشاعرها الخاصة، كما اعتمدت هذه القصص على الصراع بين الشخصيات والواقع، إضافة إلى الاهتمام بتقديم البيئة الزمانية والمكانية تقديما يعتمد على الوصف والعرض، ويتضمن الكتاب مجموعة من الحكايات الشعبية الأسطورية العجيبة المتداخلة"[2]، "وأحد الأشكال الفنية في النثر العربي (أحاديث ابن دريد الأزدي)، تدور حول حكايات عربية قديمة، للتاريخ فيها نصيب، تصور بعض مظاهر الحياة في القبيلة العربية وأخلاق العرب ومعتقداتهم وعاداتهم وعلاقاتهم الاجتماعية، على طريقة السرد القصصي بأسلوب يميل إلى السجع، والتي أصبحت فيما بعد نواةً لفن المقامة، ونقطة البدء في نشأتها، وإلى جانب الوظيفة الخلقية نجد الإمتاع والتسلية، هذه الوظيفة اعتمدها بديع الزمان الهمذاني والحريري في القرنين الرابع الهجري والخامس في كتابة الشكل القصصي الذي يعرف بالمقامة، والتي تعد أول مظهر للقصة العربية، ويبدو فيها اهتمام أكثر بالشخصية الإنسانية والبيئة الواقعية من خلال شخصية أبي الفتح السكندري وما يرويه عيسى بن هشام في مقامات الهمذاني وشخصية أبي زيد السروجي في مقامات الحريري ، فقد اهتمت المقامة بالتقاليد والعادات والسلوك الإنساني الذي ساد الطبقات الوسطى والدنيا في تلك الحقبة الزمنية، وأغلب الظن أن الغايات الأدبية والاجتماعية كانت أسمى ما رمى إليه بديع الزمان الهمذاني في مقاماته، فقد تناول كثيراً من مشاهد الحياة الواقعية فصورها وأبدع في تصويرها، ثم أوردها مسحة من روحه وفكره؛ فكان كأنما يعالج في قصصه مشاكل الإنسانية في ذلك الزمان،" أما قصصه الخيالية فلم تكن تخلو من حقائق واقعية معروضة في قوالب اجتماعية تعكس الحياة الحاضرة أو الغابرة تتخللها فكرة أو طرفة أو ثقافة، كما أولت اهتماما بالقيمة الأسلوبية في معالجة موضوعاته، فاتخذت الأسلوب وسيلة لاستعراض المهارات اللفظية الشئ الذي دعا النقاد إلى القول بأنها فقدت

---

[1] - محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، مرجع سابق، ص 168.

[2]- عفيف حاطوم (ترجمة وتحقيق) ، ألف ليلة وليلة ، دار صادر ط 1، 2003م.

قيمتها الفنية"[1]، فقد كان من الممكن أن تسهم المقامة العربية في خلق فن قصصي له مقوماته وخصائصه وأسلوبه في الأدب العربي، خاصة عندما أصبحت المقامة العربية مستساغة عذبة على أيدي كثير من الأدباء والمؤلفين تفننوا في إخراجها وأساليبها. ونجد أن هذا الفن القصصي الذي رفع لواءه بديع الزمان الهمذاني والحريري لم يكن ليستأثر بإعجاب العرب وحدهم، وإنما كان من غير العرب من تأثر به أثرا بارزا، ولم تنقطع سلسلة المقامات حتى القرن التاسع عشر، ولعل أبرز من كتب في ذلك من الأدباء المصريين محمد المويلحي في قصته المشهورة (حديث عيسى بن هشام) وحافظ إبراهيم في قصصه(ليالي سطيح) الذي اقتفى فيها طريقة المويلحي في التأثر بالمقامة لنقد المجتمع"[2].

وفي إطار الأشكال القصصية التي عُرفت في تاريخ الأدب العربي القديم وشغلت حيزا في مجال بداية الفن القصصي؛ رسالة الغفران لأبي العلاء المعري في القرن الخامس الهجري، وفيها يتخيل المعري نفسه في الآخرة - متأثرا بفكرة معراج الرسول صلى الله عليه وسلم إلى السماء - فطرح خلالها عددا من المشكلات المتعلقة بالعقاب والثواب في ثوب أدبي خيالي فيها تشوق، وفيها طابع قصص المخاطرات الغيبية والذهنية، مستعرضا آراءه الفكرية ورأيه في عدد من العلماء الشعراء والفلاسفة وغيرهم"[3]، كما ناقش ابن الطفيل - في القرن السادس الهجري - مسألة الإشراق الروحي لدى الفلاسفة المسلمين؛ التي تؤكد عدم وجود خلاف بين الشريعة والعقل البشري في الوصل لمعرفة عالم المحسوس، في ثوب قصصي فلسفي وفكري، قدم من خلاله صورة نفسية لشخصية حي بن يقظان بطل القصة، ويرمز به للإنسان في مسألة البحث عن الحقيقة في قالب قصصي فني متكامل صنفها النقاد نقطة تحول في رقي القصة؛ إذ يتراءى فيها الخيط القصصي والحبكة الفنية وتسلسل الأحداث وتبرير وقوعها، وتطور الشخصيات في مسيرة حياتها، يشبه في تناوله إلى حدٍ كبيرٍ رسالة الغفران للمعري.

وهكذا نرى أن الأدب العربي القديم قد حفل بعدد من الأشكال القصصية التي تمثلت فيها قيم فنية أصيلة متفاوتة التأثير سواء بتقديم الخبر ونقله أم باتخاذه وسيلة خلقية وتربوية أم وسيلة لطرح عدد من المسائل والقضايا الفلسفية والأدبية واللغوية، فلذلك لم تهتم في الغالب الأعم بالحدث أو بالشخصية أو بالحبكة على اعتبارها العناصر الفنية في العمل القصصي، ومع ذلك فإنها تمثل تراثا عربيا أصيلا صنع النواة الأولى التي نبتت منها

---

[1] - أبو الفضل بديع الزمان الهمذاني ، مقامات الهمذاني ، شرح محمد عبده المصري ، ط 2 ، دار المتحدة ، بيروت ، 1983م، ص 9.

[2] - سعيد الوراقي، اتجاهات القصة القصيرة في الأدب العربي المعاصر في مصر ، مرجع سابق، ص 56.

[3] - ينظر أبو العلاء المعري ، رسالة الغفران ، تحقيق الدكتورة: بنت الشاطئ ، ط 8، دار المعارف، مصر 1950م، ص 16.

الأعمال الفنية إلى جانب تيار الحضارة الغربية التي دخلت عن طريق الترجمة.

" لم تصل القصص إلى عصر التدوين عن طريق الرواية باللغة التي تداولتها إنما جاءت متطورة بلغة العصر التي آلت إليه مكتسبة من أسلوبه ومنحاه الفكري الشيءَ الكثيرَ، ولكن ظل عالقا في ذاكرة الرواة عن العصر السابق، أما العبارات والألفاظ فإنها لم تتغير بل احتفظت بأصالة وصفها، وحرص الرواة على إيرادها بنصها دون تغيير، وقد كان لهذه الأنواع الأدبية الفضل بقاء القصة واستمرارها "[1]

المبحث الثالث
القصة في العصر الحديث

نشوء القصة في الأدب العربي الحديث:

"في إرثنا الفكري ذخائر تعبت في صنعها الأجيال، ونفائس غنيت بقيمتها العبقريات، فهي إن هانت على العصور التالية فقد كرمت في صدور الأيام الخالية، وإذا عرض لها ألاّ تحتل من المتأخرين مكان التجلة والتقليد فقد كانت من السابقين في موضع القدوة والتمجيد فلعل أروع مثل يجتلى في هذا المقام تلك الطريقة الفذة التي سيطرت في غابرالزمان، طريقة نبعت من صميم الفن الأصيل واتشحت بثوب القصة الجميل، فجمعت بين صنع الكاتب المدقق وخيال العبقري المحلق، وبدأت تلك الطريقة بأحاديث من جيد الكلام، ثم تجلت بالصنعة البديعة ودار الكلام حول أحداث يتجدد مثلها مع الأيام"[2] لا يمكن لباحث أن يقر بالموطن الذي نشأت فيه القصة القصيرة على وجه التحديد؛ وذلك ببساطة لأن القصة خصيصة إنسانية فهي "حكاية" أو "حدوتة" أو "قصة" كانت دومًا في وجداننا حتى صارت جنسًا أدبيًّا متميزًا، فنظَّر النقاد والأدباء لهذا الفن وأصَّلوه .

---

[1] - محمد يوسف ، فن القصة ، مرجع سابق، ص 54.

[2]- جميل سلطان، فن القصة والمقالة ، ط 1، دار الأنوار، بيروت، 1967م، ص 5.

يتعلم الطفل الكلام كما يتعلم النطق والمشي والتقليد، فيتطور شيئا فشيئا بالاستماع الإنصات إلى حكايات الجدة، فهي أمهر القُصَّاص في حياتنا إلى اليوم، وهي قَصاص ذكي يحكي حسب حالة المتلقي، فتكافئنا بالحكايات الرومانسية الخيِّرة أو ترعبنا بالأسطورة الموحشة، والقصة القصيرة باعتبارها نشاطا إنسانيا، فإننا لا يمكن أن نحدد لها موطنا بدقة، وإن كان أهل كل حضارة يتنازعون بأحقيتهم في القصة ويعتبرون ولادتها من رحمهم، وإذا تجاوزنا الأساطير باعتبارها تمهيدًا للفن القصصي، فإننا نجد أن القصة على ألسنة الحيوان مادة يعتمدون عليها في قصص الأمم السابقة، فكليلة ودمنة الهندية أو الأمثال العربية أو حتى القصص اليونانية والإغريقية كل ذلك مَثَّل الحيوان فيه دورًا مهمًا.

فإذا كانت فنون النثر قد احتلت في أدبنا الحديث المكانة التي كانت تحتله الشعر في الأدب القديم،" فلعل القصة أصبحت بين هذه الفنون أرفعها مكانة وأقواها تعبيرا عن المعاني الفنية، لأنها تطورت عبر مراحل متعاقبة جعلتها ترتكز على ركائز قوية خلال القرن الماضي ابتداءا من الترجمة ثم المحاكاة ثم الإبداع . وعندما أشرقت شمس النهضة العربية ـ التي تعتبر محولا فكريا وثقافيا كبيرا ؛ إذ تحللت من قيود التقليد ـ كان كل ما يعرف من القصص هو القَصص الديني الذي جاءت به الكتب السماوية والقَصَص الذي روي عن السلف وقَصَص التراث الشعبي وحكاياته وأساطيره والقصص العربي القديم، وهو في مجمله نشاط إنساني يلبي حاجات دينية نفسية واجتماعية وخلقية وتعليمية لدى المبدعين والمتلقين على حدٍ سواء، فالقصة القصيرة بمفهومها الفني فن حديث على الأدب العربي، غير أنها كانت موجودة في الأدب العربي القديم على شكل حكايات لا تتفق مع المفهوم الحديث إلا في بعض الملامح التي لم يقصد إليها قصدا، فبالمقارنة بين القصص ذات الطابع الحديث والحكايات الشعبية القديمة التي كانت تروى على ألسن القصاصين بقصد العظة والعبرة أو التذكير التي لا تخلو من الصبغة الفنية، ندرك مدى مقدرة القاص من سحر البيان والقصص الأدبية التي تحمل بين ثناياها القيم الفكرية والاجتماعية وكلها تصب في بوتقة الامتاع والتسلية، ولكنها لا تمنع أن تكون البذرة الأولى للقصة العربية الحديثة باعتبار التطور شئ طبيعي وبدهي"[1] .

"بينما يرى بعض النقاد أن القصة في الأدب العربي الحديث أمر مبتدع لا أصل له في الأدب العربي القديم، وإنما هو تقليد محض ولج إلى أدبنا عن طريق الترجمة فكان لا بدّ أن نحاكيه، ولم يترك لنا العربي الأصيل في القصة تراثا يعتدّ به، لأن فكرته البدوية وحياته في بقاع قاحلة متشابهة قلّت فيها ألوان الطبيعة؛ وكذلك قناعته بالضئيل القليل من أسباب العيش هي من العوامل التي أبعدته عن إطلاق العنان لخياله في تصوير الحياة، فقد أشاروا إلى ميراث العرب من القصص ككليلة ودمنة والمقامات وألف ليلة وليلة، التي يراد بهذه الأعمال التأنق في الصياغة والزخرف في التعبير

[1]- إقبال هيكل ، المدخل لدراسة الفنون الأدبية، مرجع سابق، ص 54.

لا ينبغي لهذه الأنواع من القصص أن تنبع من بينها تلك القصة التي ترقرقت في أدبنا الحديث، ولم تسهم فيها إلا بالنذر اليسير"[1]، ولكنهم لم ينكروا القصص عند العرب إنكارا تاما، فالنزعة القصصية نزعة أصيلة في الإنسان أصالة التعبير الفني عنده، وإن الحضارة العربية أخرجت كغيرها من حضارات الشعوب فنًا قصصيًا يمثلها، وما الأساطير والخرافات وغيرها من ألوان النثر في العصر الجاهلي وما أعقبه إلا أشكالا من البناء القصصي الكامل الذي يتغلغل في أعماق النفس الإنسانية، ومظهرا من مظاهره تغيّر بتغيّر الزمان والمكان، واختلف باختلاف الملابسات الاجتماعية والمذاهب العقلية السائدة، وتطور بتطور الإنسان نفسه." وإذا كان هذا الاتجاه إلى الغرب قد أتاح للفن القصصي أن يأخذ مكانه في الأدب العربي الحديث فإن الاتجاه إلى الماضي وما يزخر به من تراث قد جعل من هذا الفن منذ اليوم الأول فنًا عربيًا أصيلاً وثيق الصلة بينابيع حياتنا"[2].

فقد كانت المقامة هي" الإرهاصة الأولى لفن القصة القصيرة العربية بشكلها المتعارف عليه الآن، وبعد فترة خفت صوت الحضارة العربية ليتلقف الغرب منجزها الفكري والعلمي، فأضاف إليه بعد أن عكف على دراسته وتحليله، وكان لهذا الفكر دور مهم في النهضة الغربية الحديثة، ويجب على الدارس لنشأة القصة في الأدب العربي الحديث أن يقف قليلا عند منابع هذا الفن وأصوله، والتي يرى بعض الباحثين أنها تتمثل في منبعين أساسيين، المحاولات التي قدمت الشكل القصصي في الأدب العربي القديم من ناحية، وتيار النهضة الحديثة من ناحية أخرى؛ لتمثلان تيار إحياء الثقافة القديمة وتيار الأخذ بأساليب الفكر الغربي، وهو بداية الترجمة القصصية وأثرها"[3].غير أن القصة في العصر الحديث قد تطورت شكلا ومضمونا ولا سيما في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وما دخل على أساليبها من تغيير، وعلى موضوعاتها من ثراء، واتساع مدى ورحابة أفق، وارتبطت في تطورها بعوامل كثيرة منها الترجمة والصحافة والطباعة، فلذلك يعتبر النقاد" أن أول محاولة لنقل القصة الغربية إلى اللغة العربية قام بها رفاعة الطهطاوي وكتابه (مواقع الأفلاك في وقائع تليماك) وقد ترجمه عن قصة " تليماك " من أشهر أعمال الأديب الفرنسي فينيلون، حينما كان منفيا في السودان في الفترة 1850 ـ 1853م، ونشره عقب عودته إلى مصر سنة 1867م، فكان بذلك أول من شق طريق التيار الأدبي العربي الذي أخذ منذ ذلك الحين يتدفق على العربية، ويزاحم التيار العربي الأصيل"[4]، ثم بدأ هذا الفن في الانتشار، فأخذت مجلة الجنان التي كانت تصدر في بيروت تنشر سلسلة من

---

[1] - محمود تيمور، فن القصص دراسات في القصة والمسرح، مرجع سابق، ص 64.

[2]- انظر محمد طه الحاجري، نشوء فن القصة، مجلة الثقافة, العدد 21، مصر، ص 13.

[3]- انظر سعيد الوراقي، اتجاهات القصة القصيرة، مرجع سابق، ص 25 .

[4] - انظر عمر الدسوقي، نشأة النثر الحديث وتطوره،مصدر سابق، ص 39.

القصص يكتبها سليم بطرس البستاني، كما نشر سعيد البستاني قصة "ذات الخدر" في جريدة الأهرام استوحاها من البيئة المصرية، وإلى جانب هذين الرجلين من رجال التأليف القصصي في هذه المرحلة من مراحل القصة العربية، نجد كثيرا ممن اتجهوا هذه الوجهة وشاركوا في هذا النوع من النشاط الأدبي، وكانت تغلب عليه غلبة الاتجاه التاريخي.

ومن ثَمّ شهدت القصة الحديثة مظاهر التجديد على أوسع نطاق شملت كل عناصرها، أطلق عليه مصطلح الحداثة، فالنص الأدبي الحديث مزيج من الرؤية الواقعية والرؤية الفنية ولا يتحقق الشكل العام إلا بتضافر الرؤيتين وإبراز القيم الجمالية التي تتراءى للمتلقي من خلال التآلف الذي أحدثه الأديب بين الرؤية والأدوات التعبيرية.

ظهرت القصة كفن أدبي في بداية القرن العشرين، وكان لها ذيوع كبير، وتذهب بعض الآراء إلى أن أول قصة قصيرة عربية بالشكل المتعارف عليه كانت قصة (في القطار) لمحمد تيمور، والتي نشرت في جريدة (السفور) سنة 1917، بينما هناك آراء أخرى تقول بأن أول قصة قصيرة عربية تظهر في العصر الحديث كانت لميخائيل نعيمة، وهي قصة (سنتها الجديدة) التي نشرت في بيروت عام 1914.

الترجمة وأثرها في القصة الحديثة:

لا بد من الإشارة إلى أن" القصة الحديثة قامت على أكتاف الترجمة "[1]. تأخر ظهور القصة في الآداب العالمية عن الملحمة والمسرحية، فالقصة آخر الأجناس الأدبية وجودا في تلك الآداب، وكانت أقلها خضوعا للقواعد وأكثر تحررا من قيود النقد الأدبي، فكانت تلك الحرية سببا في نموها السريع في العصور الحديثة فسبقت الأجناس الأدبية الأخرى"[2].

وجدت في الملاحم اليونانية عناصر قصصية مهدت لظهور النثر القصصي فيما بعد، فكان أول ظهور القصة في الأدب اليوناني في القرن الثاني قبل الميلادي ذات طابع ملحمي حافلة بالمغامرات الغيبية والسحر الأمور الخارقة، ثم ظهرت قصص الفروسية والرعاة التي تصور مثالية الفارس في محاربة قوى الشر، وكان ذلك متأثرا بروح الفروسية في القبائل العربية قبل الإسلام، ومن ثم ظهرت قصص الشطار الأسبانية لتصور العادات والتقاليد وينتقد أوضاع المجتمع، وكانت أقرب إلى معالجة الواقع منه إلى النظر في الغيبات والعجائب؛ حتى سيطرت الكلاسيكية الجديدة على الحياة الأدبية، ومن ثم ظهرت القصص التي تتعرض لمشاكل المجتمع وقضاياه وتصوير الواقع والتحليل النفسي وقصص التاريخ والقصص البوليسية مما لا شك فيه أن هذه القصص قد تأثرت - على حدٍ كبيرٍ في نشأته - بالفروسية العربية وبالمقامات، غير أن الأوربيين طوّروا أعمالهم الأدبية – شأنها شأن كل العلوم العربية في جميع المجالات – ثم بدأت الرحلة العكسية، واستيراد هذه العلوم من بينها ترجمة الأعمال

---

[1]- عز الدين إسماعيل، الأدب وفنونه، مرجع سابق، ص 26.

[2]- محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، مرجع سابق، ص 156.

الأدبية مع " أواخر القرن التاسع عشر حينما أخذ الفن القصصي طريقه نحو الاكتمال والاستواء، محاولة الابتعاد عن تقليد الأشكال النثرية القديمة كالمقامات والأحاديث والخواطر والليالي والمسامرات - التي سبق ذكرها - والتي تخلو من التغيير والتجديد في بناء القصة الحديثة؛ والبحث عن مصدر آخر يصلح في الفن القصصي "[1].

بدأت الترجمة في مراحلها الأولى بقصص تناسب موضوعاتها واتجاهاتها المجتمعَ الشرقي وميوله وأهدافه وبما يلائم فكر المثقفين وطالبي القراءة مع الاحتفاظ بالأصل المترجم عنه، أما التفاصيل والجزئيات والبيئة فأمور يباح فيها التغيير بالحذف والإضافة حسب ما يقتضيه ذوق المجتمع الشرقي المحافظ على عاداته وتقاليده الإسلامية، ولا تخضع لخطى المترجم عنه الذي نشأ في بيئة تختلف شكلا ومضمونا، ولا تلتزم بالإطار الفني له، حتى إن ترجمة الطهطاوي لمواقع الأفلاك لزمت مجاراة العصر وذوق العامة ليوائم البيئة العربية دون اعتبارات فنية، وللفت أذهان النشء إلى أهمية القصة وقيمتها في الحياة الأدبية.

غير أن الترجمة أخذت شكلا أكثر عمقا حينما سيطرت عليها النزعة الرومانسية حين أدرك كثير من الكتّاب أن الجو النفسي تأزم بالصراعات الداخلية ما بين التمسك بالسمات القديمة في الفكرة والأسلوب من جهة، والتطلع للثقافة الأجنبية في الأسس الفنية من جهة أخرى، وبازدياد حركة النشاط الأدبي والثقافي فنهضت ترجمة القصص في دقة وأمانة على نطاق أوسع قام بها عدد من المترجمين أخذوا على عاتقهم ترجمة روائع الأدب العالمي عن فهمٍ أصيلٍ للأصل وتمكّنٍ في النقل وقدرةٍ على عرض الصورة الأصلية إلى العربية في أمانة وصدقٍ"[2].

تأصيل الجوانب الفنية للقصة العربية الحديثة:

منذ بداية القرن العشرين ظهرت محاولات فردية للقصة العربية في وقت كانت فيه القصة مترددة بين التيار الرومانسي الغارق في الأسى والاتجاه التاريخي الباحث عن الماضي، غير أن هذه المحاولات أفقدتها الكثير من مقومات النضج الفني حتى ظهرت رواية (زينب) للكاتب محمد حسين هيكل، والتي يعدها النقاد البداية الحقيقية لفاتحة الفن العربي القصصي وظهور معالمها وقيمتها الإنسانية وعناصر بنائها الفني، وهكذا تم رصد جذورها في الأدب العربي وتكشفت من خلال الأشكال التي تتصل بها، ولا شك أن عبقرية الكتابة بقدر ما هي إبداع فني فإنها تعد ثمرة حياة وإفراز جماعة معينة، لذا فإن ما يصلح في بيئة ما قد لا يلائم في الأخرى، وليس من السهل رسم اتجاهات للقصة لا تحيد عنها في المستقبل، فالفن القصصي ينمو بانطلاق مطرد ومتجدد يستوعب حاجات المجتمع ويعبر عن

[1]- علي عبد الخالق، الفن القصصي، مرجع سابق، ص 105.
[2]- نظر المصدر نفسه، ص 171.

ذاتية صاحبه ويحمل رسالة إنسانية واسعة النطاق تتسم بالوضوح والطرافة أو بالرمز والإيحاء أو بالواقعية، وفي كل ذلك تتسع القصة باستيعاب الإحساس الصادق والتعبير عن مكنون النفس البشرية والوجود الإنساني ومعاني الحياة في شفافية وصدق وفي روحانية تسمو بالنفس لعالم أفضل، وفي منتصف القرن التاسع عشر بدأت موجة من الترجمات عن الغرب، وإن كانت قد بدأت قبل ذلك وتحديدًا في الثلاثينيات، على يد رفاعة الطهطاوي – كما أسلفنا - فحدث تفاعل وتلاقح نتيجة الاطلاع على هذا المنجز الذي أضاف ولا شك للبنية الفكرية العربية التي كانت تعيد تشكيل وعيها بعد فترة طويلة من السكون. لكن النقاد في العصر الحديث يعتقدون أن القصص الفني بشروطه الحديثة لم يعرفه العرب إلا في مطلع العصر الحديث بعد احتكاكهم بالغرب، فهم يعتبرون القصص العربية القديمة لا تصور الواقع ولا تعالج مشاكل الإنسان في واقعه اليومي، بالإضافة إلى اهتمامها المبالغ بالخيال والتنميق اللفظي، فهي ناقصة من حيث الشروط الفنية التي تميز القصة عن باقي الفنون الأدبية الأخرى، لذا تأخر ظهور القصة الفنية في أدبنا العربي إلى مطلع العصر الحديث وقد لقي هذا الفن إقبالا كبيرا من القراء والأدباء على السواء لذلك لتأثر الأدباء بهذا الفن بعد إطلاعهم على القصص الغربي بمواضيعه المتنوعة، واهتمام الصحافة بالقصة خاصة في طور الترجمة، رحابة مجال القصة وسعتها للتعبير عن حياة الشعب وتطلعاته، قدرة القصة على معالجة الظواهر التاريخية والسياسية والاجتماعية التي تعج بها الحياة العربية في مطلع العصر الحديث، كذلك الدور التثقيفي الهام الذي لعبته القصة في توعية الشعوب وتوجيهه.

"ولم تصل القصة العربية إلى مرحلة النضج والكمال وتتوج بجائزة نوبل للآداب إلا بعد أن مرت بالأطوار التالية"[1]:

1/ مرحلة الترجمة حيث استطاع بعض الأدباء العرب ممن تثقفوا باللغة الأجنبية ترجمة بعض القصص الغربية ونشرها في المجلات والصحف اليومية والرائد في هذا المجال هو رفاعة رافع الطهطاوي الذي ترجم مغامرات تلماك للكاتب الفرنسي فينيلون وكان هدفه من ذلك الإصلاح التربوي والسياسي من خلال القصة.

2/ مرحلة الاقتباس والمحاكاة أو مرحلة التهيؤ والاستعداد وذلك في المحاولات التي قام بها الأدباء في مصر والشام وسائر البلاد العربية، منها حديث عيسى بن هشام للمويلحي، وليالي سطيح والبؤساء لحافظ إبراهيم في، في هذه المرحلة أباح الأدباء لأنفسهم التغيير في القصص الغربي مما شوّه النصوص الأصلية كما انصب اهتمامهم على جودة التعبير والصياغة اللغوية الذي لا يصور الفكرة بدقة ويظهر هذا في ترجمة حافظ إبراهيم للبؤساء والمنفلوطي في العبرات ومجدولين.

---

[1]- عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، ط 1، دار العلم للملايين، بيروت، 1982م، ص 73.

3/ مرحلة الإبداع والتأليف تبدأ بقصة زينب لمحمد حسين هيكل التي نشرت في 1914م، ثم تلتها محاولات جادة مثل دعاء الكروان لطه حسين، بداية ونهاية لنجيب محفوظ، وسارة للعقاد، والأرض للشرقاوي، وغادة أم القرى لرضا حوحو، وبحيرة الزيتون لأبي العيد، دودو والأجنحة المتكسرة لجبران خليل جبران، والمصير لزهور ونيسي، ويوميات نائب في الأرياف لتوفيق الحكيم، وقد تعددت اتجاهات القصة العربية الحديثة، فمنها ما يعالج القضايا الاجتماعية، ومنها ما يتناول القضايا النفسية، ومنها ما يعالج المشاكل الوطنية والقومية، وقد تجمع القصة الواحدة بين لونين أو أكثر من هذه الاتجاهات، كقصص نجيب محفوظ اللص والكلاب، والسكرية، وقصر الشوق، وبين القصرين.

فتعددت المدارس في التأليف القصصي وتقسمت إلى مدارس أبداعية الواقعية والاشتراكية والرومانسية وغيرها"[1].

[1]1- عمر فروخ ، تاريخ الادب العربي، مرجع سابق، ص 77.

الفصل الثاني

القصة القرآنية وعـناصرها و خصائصها

المبحث الأول : مفهوم القصة القرآنية

* في رحاب القصة القرآنية
* أهداف القصة القرآنية
* منهج المفسرين في تناول القصة القرآنية
* الترتيب حسب المصحف الشريف
* الترتيب حسب النزول
* أثر القصة القرآنية في النفوس
* أهمية دارسة القصة في القرآن الكريم

المبحث الثاني : عناصر القصة في القرآن الكريم

* الحوادث
* الشخصيات
* المغزى
* الحوار
* المكان والزمان
* الحبكة الفنية

المبحث الثالث : خصائص القصة في القرآن الكريم

* التكرار
* تنوع طريقة العرض
* تنوع عرض المفاجأة
* الواقعية التاريخية
* الشمولية المطلقة
* الإعجاز القصصي

---

[1] 1- عمر فروخ ، تاريخ الأدب العربي، مرجع سابق، ص 77.

القصة القرآنية عناصرها وخصائصها

المبحث الأول : مفهوم القصة القرآنية

للقصة في القرآن الكريم مفهوم يحدده ما ورد فيه من أنباء خاصة سيقت على وجه العبرة للمصدقين والردع والزجر للمكذبين، فهي توجه الأولين إلى الثبات على الحق والاستزادة من عمل البر والخير كما تصرف المتهيئ من المكذبين عن الباطل والشر والشرك بأنواعه بقدر ما فيهم من استعداد وتهيؤ، وهي محدودة في الدائرة التي علم الله سبحانه وتعالى حاجة عباده إلى التعريف بمضمونها.

في رحاب القصة القرآنية

كثير من العلماء والباحثين من نذر نفسه وعلمه في خدمة الإسلام فكثرت الدراسات في علوم القرآن الكريم وتنوعت، فكان للقصة في القرآن الكريم حظ وافر من هذه الدراسات حيث عمد كثير ممن عنوا بدراستها إلى تحليلها وترتيبها بحيث يسهل تناولها للقارئ العادي، فالقرآن الكريم دستور أمتنا الإسلامية والمنبع الأصلي لدينها ومعجزة لنبيها، وإن الدارس والمتأمل فيه يجده مليئا بحقائقَ جمةٍ وشاملا لكل ما سبقه من الكتب والرسالات ومتضمناً قصص الأمم الماضية، فتناول كل موضوع من تلك المواضيع بأسلوب فصيح وشمولية تامة، فأعجز بذلك المخلوقات وأقام الدليل على صدق الرسالة والنبوة المحمدية.

القصص القرآني أحد مناهج القرآن الكريم في الدعوة التي تنوعت وسائلها ما بين حديث في التوحيد وأحكام في التشريع وسرد أحوال الأمم مع أنبيائهم في الماضي ومشاهدات اليوم الآخر والحياة الدنيا، ولكن حِرْصَ القرآن الكريم على سرد أخبار الأمم السابقة لم يكن هدفًا بحد ذاته بل وسيلة لغاية أخرى ولم يكن لمقصد فني ولكن لغرض ديني، ولذلك لا ينبغي أن يطبق على قصص القرآن قواعد هذا الفن وأصوله المستحدثة إلاّ نكن كمن يُخضِع كلام الله لنقد البشر، ومع ذلك من اليسير تلمُّس جوانب جمال الفن القصصي في القران الكريم تلمُّسا يشفُّ عن مدى إيحاء التعبير القرآني ودلالته على قصص الأنبياء أو نماذج معينة من البشر في أحوالها المختلفة عماده الحقائق المطلقة الثابتة المطابقة للواقع والصدق في القول والإخلاص في النقل فضلا على أنه يثير الكوامن ويستولي على الشعور والوجدان .

وقد جاء قصص القرآن الكريم نوعا من الإعجاز القرآني في إثبات حقيقة الكتاب المنزل ومدى صدقه على أنه من عند الله تعالى وليس من صنع البشر، وبما أن القرآن الكريم في المكان الأسمى هو كتاب دعوة دينية ونبع هداية للناس فإن القصة إحدى وسائله التي تهدف إلى تبليغ عقيدة الإيمان بالله وبرسله، ونهج فريد في الإعجاز وأسلوب مقصود على أن القرآن الكريم لم يكن لإنس أو جن ولو اجتمعوا أن يأتوا بمثله.

فالقصة معلم بارز من معالم القرآن الكريم ووسيلة من وسائله المختلفة في التعبير والتأثير لتحقيق أهدافه، ولا تخلو سورة من قصة هادفة، لكنها لا تخضع لمفهومها الحديث لا في طريقة عرضها ولا في تحديد زمانها ومكانها وأحداثها وأشخاصها ولا تستقل في موضوعها ولا في طريقة عرضها ولا إدارة حوادثها عن الغرض الأساسي في القران الكريم، وهي من أهم المواضيع التي شغلت حيزاً كبيراً في القرآن الكريم، وتحدثت كثير من السور والآيات عن قصص الأنبياء والأمم الماضية حيث أولاها القرآن الكريم أهمية خاصة باعتبارها وسيلة من الوسائل الدالة على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وعلى ثبوت العبودية لله وحده بكونه قادراً على أخذ المكذبين الذين كذبوا رسوله كما فعل مع أقوام سابقة لأنهم كذبوا واستكبروا وجحدوا فكان مصيرهم العقاب والهلاك في الدنيا قبل الآخرة، لهذا يقص الله تعالى قصصهم في كتابه ويبين كيف أخذهم بذنوبهم لكفرهم ولأجل العبرة والعظة.

إذن، فالقصة القرآنية بهذا التصوير ليست عملاً فنيا ولا كان وجودها غاية في ذاتها، كما إنها ليست ضرباً من الأساطير والخيال والوهم ولكنها قَصص حقيقي أخبر الله به عن الأنبياء السابقين مع أممهم تأسيا للنبي المصطفى صلى الله عليه وسلم وتثبيتا لقلبه وبيان أن الدعوة إلى الله قد حوربت من قبله وصد عنها البشر ولا يصف القرآن الكريم إلاّ بأحسن القصص والقصص الحق، الموحى به إلى النبي صلى الله عليه وسلم وإن حكايته كانت بعلم لا بغفلة لأشياء حدثت بالفعل في زمن ما؛ لا نستطيع أن نحدده، معنى ذلك إنها مرتبطة بالتاريخ القديم وهي" قصص تاريخية واقعية مقصودة بأماكنها وأشخاصها وحوادثها، تعرض نموذجا لحالات بشرية"[1]ولا تحيد عن الحق لأنه بني على الحقائق الثابتة الخالصة من زخرف القول وباطله، "ثم يجئ القرآن الكريم فيقصها بأحسن القصص أسلوبا محكما وعرضا معجزا وحقا ثابتا وهي لهذا لا تقع من الناس موقع الإنكار، إذ الناس هم الناس والزمان هو الزمان والحياة يوم مكرر وسنة الله لا تختلف ولن تجد لسنة الله تبديلا "[2]، غير أن النقاد قد قسموا القصة القرآنية إلى أنواع منها التاريخية ومنها التمثيلية ومنها الواقعية ولم تسلم من آراء بعض الباحثين الذين ذهبوا إلى أبعد من ذلك حينما قالوا "إن فيها القصة الأسطورية وقصة الخطيئة التي أطلق عليها القصة الرمزية، وقد خلصوا إلى القول إن أنواع القصة في القران الكريم ثلاثة"[3]وهي :

---

[1] - مأمون فريز جرار ، خصائص القصة الإسلامية ، ط 1، دار المنارة ، جدة ، 1985م ، ص 68.

[2] - محمد محمود حجازي، الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، ط 1، دار الكتب الحديثة و مصر، 1970، ص 306.

[3] - انظر مأمون فريز جرار، خصائص القصة الإسلامية، مرجع سابق، ص 68 وما بعدها.

القصة التاريخية: وتشمل ما ورد من قصص الأنبياء أو غيرهم ممن قص الله عز وجل علينا أحوالهم وأخبارهم.
القصة التمثيلية: وهي كل قصة بدئت بما ينبئ أنها مثل مضروب لمشابهة حال المخاطبين لأحداثها أو غير منسوبة إلى أشخاص معينين ودلت أحداثها على أنها وقعت بالفعل مع إمكان وقوعها من بعد أكثر من مرة .
القصة الغيبية: وتشمل ما قصّه القران الكريم من أحداث الغيب كقصة سيدنا أدم عليه السلام وقصة المسيح عليه السلام التي وردت في ختام سورة المائدة وهي قد حدثت بالفعل منذ بدء الخلق وفي أزمان لا ندري عنها.
"وكذلك نجدهم قد قسموا القصة إلى ثلاثة أشكال "[1]:
القصة الطويلة : ليس لها مقياس معين إنما مقياس تقريبي يترتب عليها حجم العظة والعبرة، فتتناول جوانب كثيرة من حياة صاحبها منذ ولادته ونشأته وحياته قبل إرساله ثم حياته نبيا ومن ذلك قصة سيدنا موسى، أو ربما أغفلت ولادته كقصة سيدنا يوسف وقصة سيدنا سليمان عليهم السلام.
القصة المتوسطة : تتناول مواقف ومشاهد من جزء من حياة صاحبها قد يكون الجزء الأول من حياته كقصة سيدنا آدم وعيسى عليهما السلام وقد يكون في جزء متأخر من حياته تبدأ من إرساله وتتناول مشاهد من دعوته لقومه ولكنه مشاهد قليلة إذا قارناها بالقصة الطويلة كقصة سيدنا نوح وقصة سيدنا إبراهيم وقصة سيدنا داوود عليهم السلام.
القصة القصيرة : لا تصل مشاهدها إلى ما وصلت إليها المتوسطة فهي تذكر دعوة الرسل لقومهم والنهاية التي آلوا إليها بعد التكذيب كدعوة سيدنا هود ودعوة سيدنا صالح ودعوة سيدنا شعيب ودعوة سيدنا لوط عليهم السلام، ومن القصص القصيرة ما يشار إليها فقط كقصة سيدنا إدريس وذي الكفل واليسع عليهم السلام، فمنها القصص الوعظية البحتة فتعرض القدر الذي يبلغ العظة ويتفق مع الغرض كقصة أصحاب الكهف وأصحاب الأخدود وابني آدم وصاحب الجنتين وسد مأرب والذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها.
والقصة في القرآن الكريم سيقت لمقتضى الغرض الديني وخدمة له، وخضعت خضوعا تاما، ومع ذلك لم تحجب عنه ملامح الفن في الأداء اللغوي وفي التصوير الحسن السبك بل إن الغرض الفني سُخّر لخدمة الغرض الديني وطوَّع له، "وكان الجمال الفني أداة مقصودة للتأثير الوجداني فيخاطب حاسة الوجدان الدينية بلغة الجمال الفنية وإدراك الجمال الفني الرفيع يشير بحسن الاستعداد لتلقي التأثير الديني حين

[1] - محمد ناجي مشرح الآفاق الفنية في القصة القرآنية، رؤية تربوية لإعداد الدعاة، دراسات في تأصيل الإعلام الإسلامي، ط 1، دار المجتمع، جدة، 1412هـ ص 35 وما بعدها .

يرتفع الفن إلى هذا المستوى الرفيع لمستوى التعبير عن العقيدة وحين تصفو النفس لتلتقي رسالة الجمال التي تبلغ في العقيدة حد الكمال"[1].

ولكن بعض النقاد ينكرون وجود القصة أصلا في القرآن الكريم باعتبارها خاصة بالأدب، أما في القرآن الكريم فنجد القصص – بفتح القاف – والأنباء والنبأ كما ورد في بعض آيات الذكر، ويدل دلالة قاطعة على أن ما ورد فيه من الشخصيات والأحداث إنما هو حق لا زيادة فيه ناشئة عن تخيل أو رغبة في مزيد تأثير أو أن فيه شيئا من الأساطير التي هي أباطيل القول أو هي قصص لها أصل ولكن الخيال يدخل فيها ما ليس منها"[2]، ولا يجوز أن ينسب إلى القرآن ما ليس فيه، وبعضهم لا يرى حرجا في إطلاق لفظ القصة على القصص ويستدلون بما ورد في معاجم اللغة العربية وكتب التفاسير بأن لفظ القِصة والقَصص من مادة واحدة (قصص)، ونافلة القول إن القصص القرآني لا يمت للقصص الأدبية بصلة حيث أن القصص الأدبية تجسيد الواقع بكل ما فيه من سلبيات وإيجابيات بأسلوب فني مبتكر يدخل الخيال عنصرا أساسيا فيه بينما تساق قصص القرآن للعبرة والعظة مما قد يحدث بسبب مواقف حدثت بالفعل في زمان ما ومكان ما .

أهداف القَصَص القرآنيّ

إن الهدف الأول من القصص القرآني لا يتجاوز المحور الأعظم لأهداف القرآن الكريم ألا وهو كونه هداية للناس أجمعين، فالقصة القرآنية تمثل جزءاً كبيراً من القرآن الكريم وهي غاية من غايات المعرفة ووسيلة من وسائل التبليغ فيه، تتحد مع سواها مصدرًا وموضوعًا وغايةً، وللقصة في القرآن الكريم أهداف سامية ومقاصد عالية وحكم متعددة من أهمها بيان أن الرسل جميعا قد أرسلهم الله تعالى برسالة واحدة في أصولها ألا وهي إخلاص العبادة لله الواحد القهار وأداء التكاليف التي كلف سبحانه وتعالى خلقه بها، وقد وردت آيات كثيرة تدل على أن أول كلمة قالها كل رسول لقومه هي أمرهم بعبادة الله تعالى ونهيهم عن عبادة أحد سواه، ولـكـن إذا ما أردنا شيئاً من التـفـصيـل فإننا نستطيع أن نجمل بعض أهداف القصص القرآني على سبيل المثال لا الحصر، وذلك في عدة نقاط من خلال ما أشارت إليه آيات القرآن الكريم متفرقة في معرض حديثها عن قـَصص متعددة :

هدِفَ القرآن الكريم من إيراد القصة في إثبات الوحي والرسالة للنبي صلى الله عليه وسلم، وبيان أن منبع الرسالات واحدة، وأن الرسالات متشابهة ومشتركة في الدعوة إلى عبادة الله تعالى منذ عهد سيدنا آدم عليه السلام، وإثبات صدق النبي صلّى الله عليه وسلم في رسالته لأن دعوة الأنبياء واحدة ومنهجهم واحد، فالقرآن الكريم يصرح برسالتهم ونبوتهم ويصرح بأسمائهم ويشهد لهم بالصدق وتبليغ الدعوة، فليس لأحد

---

[1] - سيد قطب ، في ظلال القرآن، ج 1، ص 60. التصوير الفني في القرآن، ط 1، دار المعارف، مصر ، 1963، ص 119.

[2] - انظر مأمون جرار، خصائص القصة الإسلامية، مرجع سابق ، ص 58.

أن يشك في رسالاتهم وبالتالي فإن النبي صلّى الله عليه وسلم رسول الله إلى البشرية كما أرسل رسل من قبله، كما قال جل شأنه: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ [1].

الإخبار عن الأمم السابقة والقرون الساحقة مما لا يعلمه أحد من كتّاب العرب، فالنبي صلى الله عليه وسلم كان أميا "ولم يُعرف عنه مجالسة أحبار اليهود والنصارى، فورود هذه القصص من مثله عليه الصلاة والسلام دليل على رسالته وتلقيه الوحي"[2]، وهذا ما أشار إليه الحق سبحانه وتعالى حين قال وهو يعرض قصص الأنبياء:(تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ [3].

وأيضاً حين قال سبحانه وتعالى مخاطباً نبيه صلّى الله عليه وسلم، بعد عرض شائق وطويل لنبأ موسى وفرعون .وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ، وَلَكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُوناً فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنتَ ثَاوِياً فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ، وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْماً مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ [4].

بيان عاقبة الإيمان والكفر وإن الله ينصر أنبياءه في النهاية ويهلك المكذبين ويظهر أنعمه على رسله وعباده وبيان قدرة الله تعالى في نجاة أنبيائه وتثبيت قلب النبي صلّى الله عليه وسلم، قال تعالى:(وَكُلّاً نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ[5]، ففي أخبار المرسلين وتكذيب أقوامهم تسلية وتصبير لقلب النبي صلّى الله عليه وسلم ـ وللمؤمنين والدعاة من بعده ـ على ما يلقاه من أذى المشركين وتكذيبهم، وذلك إن صلى الله عليه وسلم حين يخبره الله بما جرى للأنبياء ـ عليهم السلام ـ من قبله مع أقوامهم يسلو قلبه ويتجدد عزمه فيصبر كما صبر أولو العزم من الرسل، كما قال تعالى:(قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ، وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَأِ الْمُرْسَلِينَ [6].

" تنبيه أبناء آدم عليه السلام إلى غواية الشيطان وإبراز مدى عداوة الشيطان للبشر منذ بدء الخلق، وإبراز هذه العداوة عن طريق القصص

---

[1] - سورة النحل، الآية 43.

[2] - فهد عبد الرحمن الرومي، دراسات في القرآن الكريم، ط 13، مؤسسة فهد، بيروت، 2004م، ص 609.

[3] - سورة هود، الآية 46.

[4] - سورة القصص، الآية 46.

[5] - سورة هود، الآية 120.

[6] - سورة الأنعام، الآية 34.

أقوى وأروع وأدعى للحذر من كل هاجس في النفس تدعو إلى الشر وإسنادها إلى هذا العدو الذي لا يريد بالناس الخير"[1].

أضف إلى ذلك الاعتبار والاتعاظ من خلال النظر في سنة الله النافذة في هذا الكون، فالعاقبة دائما للمتقين والبوار والخزي دائماً على الظالمين، وما أكثر الآيات التي تأمرنا بالسير في الأرض للنظر والاعتبار من عواقب الماضين وآثارهم، وفي هذا يقول الله تعالى: (قد كان في قَـصَصِهم عبرةٌ لأولي الألبابِ [2]. ومعنى العبرة: هو التأمل والاتعاظ والاعتبار بأن نقيسَ أنفسنا على السابقين ممن قصَّ الله علينا نبأهم بالحق فـنعلمَ أنَّ سنة الله ماضية فينا كما خلت في الذين من قبلنا، إن خيراً فخير وإن شراً فشر، ومنها تصحيح العقائد الفاسدة وتثبيت العقائد الصحيحة الإيمان بالله وحده والإيمان بالبعث بعد الموت، وهذا ظاهر من خلال دعوات الرسل والأنبياء جميعاً لأقوامهم، وكذلك تحقيق خلافة الإنسان في الأرض في قصة خلق سيدنا آدم عليه السلام ونزوله إلى الأرض بعد أن غواه إبليس .

تقويم الخلق والسلوك الفردي والجماعي وتصحيح ميزان القيم العقدية الاجتماعية والخلقية حتى يصلح الفرد والمجتمع، وهذا من خلال معالجة كل نبي لصفة معينة في قومه ويسعى في إصلاحها، فالقصص تصوِّرُ ـ مثلاً ـ شناعة ما كان عليه قوم لوط وما كان عليه أهل مَدين وقوم نوح وعاد وثمود وما كان عليه الطغاة والمفسدون من ظلم وجور ومنع للفقراء، وتصوِّر أيضاً شناعة الحسد الذي حمل أحد ابني آدم على قتل أخيه وشناعة طبائع اليهود، وفي جانب آخر تصور ما كان عليه الأنبياء والصالحون من صبر وعدل وعطاء وكيف حقق سيدنا سليمان عليه السلام وغيره الخلافة في الأرض على أساس من العدل والخلق والاستقامة، وصبر مريم ابنة عمران على أذى قومها.

وثمة أهداف أخرى كثيرة لمن تأملها من أولي الألباب، مثل التوكل على الله لاسيما بالنسبة للدعاة والمصلحين وانتهاج الأسوة الحسنة في الأنبياء والتجمل بمكارم الأخلاق وتعلم آداب الحوار والجدال بالحسنى وأساليب الدعوة إلى الله تعالى وكيف يدخل الداعية إلى قلوب المدعوين ومعرفة طبائع الناس عامةً عند كفرهم وإيمانهم وطبائع أقوام بعينهم مثل بني إسرائيل وكيفية التعامل معها وتشخيص أمراض المنحرفين والمعاندين وكيفية معالجتها، فإنَّ المتدبر لقصص القرآن الكريم يجد في كل قصة بل في كل آية وفي كل كلمة وفي كل التـفاتة من الأهداف والعبر والإشارات واللطائف ما تعجز عنه الألسن ولا تبلغ مداه الأفهام، وصدق الله العظيم إذ يقول مبيناً تلك الأهداف العظيمة من القصص:(لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ [3].

---

[1] - سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، مرجع سابق، ص 127.

[2] - سورة يوسف، الآية 111.

[3] - سورة يوسف،الآية 111.

ومع عظمة الأداء ودقة العرض للقصة في القرآن الكريم ومع ما فيها من خالص النظر الفني فإن الكتّاب لم يستلهموا منه فكرة يوجهون بها أشكال النثر الفني الذي يفتح مجالات الفن القصصي "ولو أن أدباء الفصحى من العرب القدامى تنبهوا لما في القران الكريم من الجمال القصصي ما يعد أساسا لفن القصة لأصبحنا اليوم أساتذة لهذا الفن الروائي"[1] "ولاستفدنا منه كما استفاد الفرس من قصص القران الكريم وبرعوا في القصص الفلسفية"[2]، ولكننا استبدلنا الذي هو خير بالذي هو أدنى، استبدلنا القصص الحق الذي يرسم المنهج القويم للمسلم في الدين والدنيا بالقصص المستورد من بلاد الكفر ليرسم لنا طريقا مزيفا باسم الفن.

منهج المفسرين في ترتيب القصة القرآنية :

لا يمكن لقارئ القران الكريم أن يغفل وجود القصة في ثنايا الآيات القرآنية وهو يراها متناثرة في أغلب السور القرآنية إذ تحتل القصة في القران الكريم قرابة ثمانية أجزاء كاملة بتناثرها العجيب في السور، ويمكن للقارئ أنْ يتناولها بالترتيب حسب التصنيف التالي:

أولاً: الترتيب حسب المصحف :

اتفق معظم المفسرين والعلماء على منهج واحد في التفسير واعتمدوا طريقة واحدة في دراسة علوم القرآن الكريم وهي إتباع ترتيب السور في المصحف الشريف مما يسهل عملية البحث دون عناء أو مشقة مع تحديد السورة والآية بدقة متناهية، فالباحث في كتب التفاسير يستطيع الوصول إلى مبتغاه بمجرد تحديد السورة والآية، كما أن الدارس في الكتب التي تتناول علوم القرآن الكريم مثل: "الجامع لأحكام القرآن الكريم للقرطبي وفي ظلال القرآن لسيد قطب" يستطيع التنقل من حقل إلى حقل ليقطف ثمار العلم دون عناء، وكذلك شأن القصة في القرآن الكريم، فلا يمكن إنكار ذلك المنهج الحكيم الذي قام على أسس ثابتة ومبررات صحيحة لأن العلاقة بين الآيات والسور كما هي مرتبة في المصحف قائمة على التناسب والتناسق والتواصل شأنها في ذلك شأن تناسب أعضاء الجسد الواحد في تركيبها وتناسقها، إضافة إلى أن الترتيب بين الآيات والسور كما هي في المصحف كان من الرسول الكريم الذي تلقاه من الله عز وجل كما أثبت العلماء ذلك بالقطع بعد نقاش طويل، وهذا الترتيب يشكل السياق القرآني ويؤثر تأثيرا بالغا في المعنى، وتثبت الروايات أن تنظيم الآيات وترتيبها ضمن كل سورة هو تنظيم وترتيب إلهي توقيفي، قال ابن عباس: (كان جبريل إذا نزل على النبي صلى الله عليه وسلم بالوحي يقول له: ضع هذه الآية فيسورة كذا، في موضع كذا. فلما نزل عليه: (واتقوا يوما ترجعون فيه إلى اللّه .قال:ضعها في سورة البقرة،

---

[1] - توفيق الحكيم ، زهرة العمر،ط 1 ، دار الشروق، مصر، 2004م، ص 14.

[2] - محمد غنيمي هلال ، النقد الأدبي الحديث، ص، 538.

وفي مسند الإمام أحمد بسنده عن ابن عباس إنه قال في حديثه عن الخليفة عثمان : إن رسـول اللّه صلى الله عليه وسلم كـان مـما يأتي عليه الزمان ينزل عليه من السور ذوات العدد وكان إذا أنزل عـلـيـه الـشيء يدعو بعض من يكتب عنده ويقول : ضعوا هذا في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، ويـنـزل عـليه الآيات فيقول : ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، وينزل عليه الآية فيقول : ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا "[1].

لا شك أن الترتيب المنزل من الله عز وجل قائم ومراد ليعطي القرآن الكريم إضافة أخرى إلى قائمة أوجه الإعجاز فيه وفي تناسقه وترابطه فلا ترى فيه عوجا، ويتوصل إلى ذلك عن طريق تناول آياته وسوره كما هي مرتبة في المصحف في سياقاتها ومعارضها والعلاقة القائمة بينها.

فكان منهج المفسرين في كتبهم والباحثين في بحوثهم قائما على هذا الأساس ومبنيا على هذا المنطق، فكانت النتيجة كشف كثير من الأسرار القرآنية ووجوه إعجازه، إلا أن هذا كله لا يمنع من تناول مواضيع القرآن انطلاقا من منهجية جديدة قائمة على أسس مختلفة ومقبولة باعتبار أن القرآن الكريم كل وجه فيه جائز وكل فهم صحيح فيه محتمل ولا يتعارض معه فهو مقصود منه لأنه كلام رب العزة الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فلا يمكن لأحد أن يدعي أن فهمه وتفسيره لآياته هو الصحيح قطعا وغيره قد جانب الصواب إلا ما بيّنه الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم فإنه لا ينطق عن الهوى، فكان علماؤنا رحمهم الله يتركون مجالا واسعا للرأي الآخر ويختمون كلامهم بإرجاع العلم لله، فمتابعة الآيات والسور كما هي مرتبة في المصحف أمر عظيم الفائدة شريف الغاية، لكن اعتماده في مجال القصة ربما يكون الأمر مختلفا قليلا من حيث ترتيب أحداث القصة مما يؤدي إلى القول بالتكرار الذي قال به كثير من المفسرين، بيد أن الأمر ليس كذلك إنما هو تصريف وتنويع في الأساليب والخطاب وضروب المواعظ والاعتبار، فالتصريف والتنويع يكونان في الكلام لتزينه والزيادة فيه لأنه إذا زين صرف الأسماع إليه وهذا شأن القرآن الكريم في صرف الوعيد والأمثال وتنويع معارض القصة وكل الآيات التي تتعلق بألوهيته سبحانه وتعالى وبيان قدرته بينما التكرار معناه إعادة الشيء مرة بعد مرة.

الترتيب حسب النزول :

"غير أن الجديد في المنهج المتبع لدى بعض الباحثين ولأجل الوصول إلى حقائق جديدة وكشف وجوه الإعجاز القرآني في القصة تبنّي بعض الباحثين والمتخصصين- ولا سيما الدراسات الحديثة - تبنوا منهجاً جديداً يقوم على دراستها وتناولها انطلاقا من ترتيبها وإعادة تركيبها على أساس ترتيب النزول فيكون ما نزل متأخراً مبنياً على ما نزل متقدماً ومبيّناً له

[1]- **أحمد** بن حنبل، **مسند الإمام أحمد، المجلد الأول**، دار الفكر العربي، بيروت، 1998م ،رقم الحديث 376.

وقائماً عليه في الفهم، فيما يخص قصص القرآن الكريم المتفرقة كقصة سيدنا موسى عليه السلام وقصة سيدنا آدم عليه السلام وقصة سيدنا إبراهيم عليه السلام، حيث يبدأ القرآن الكريم كل قصة في تنزيلها ببيان الأصل الذي قامت عليه جميع الرسالات الماضية وبنيت عليه كل دعوات الرسل والأنبياء وهو الدعوة إلى كلمة الحق لا إله إلا الله وإثبات مقتضياتها في النفس وهو مبدأ وأصل لا يُختلف حوله، لذلك يبدأ القرآن بذكره وبيانه ثم يبنى عليه ما ورد في معارض وسياقات أخرى تبين ردّ كل قوم على رسلهم، ثم بعد ذلك تأتي النتيجة والجزاء موافقا لجنس الجواب"[1] .

"فقصة آدم عليه السلام وردت في سبع معارض من سبع سور كلها في سياق التذكير بنهاية الحياة ومصير العباد فما ورد في سورة البقرة وهو آخر ما نزل من قصة آدم بينما كان أول ما نزل هو ما جاء في سورة ص"[2] حيث يقول الله تعالى : (إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ)[3]، فكان الأصل الذي انطلق منه القرآن الكريم هو تقرير كلمة الحق وإثبات مقتضياتها التي تتجلى في كون الخالق هو الله سبحانه وتعالى وهو بذلك مستحق للعبادة وحده وقد قرر ذلك في آيتين الأوليين ثم بنى عليها ما بعدهما وما ورد في سورة أخرى حيث ترجع كلها إلى هذا الأصل تقريرا وتأكيدا له، فالقرآن الكريم يعرض كل قصة بذكر الأصل الثابت الذي لا يتغير في أول نزولها ثم تبنى عليه معارض أخرى فرعية مبينة له ومقررة.

والنموذج الآخر لذلك قصة نوح عليه السلام "حيث وردت في أحد عشر معرضا كان أولها ما جاء في سورة القمر قال تعالى: (كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ * فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ * فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ * وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُوناً فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ * وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ * تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ)[4]، حيث ذكر في هذا المعرض عقاب الله تعالى لقومه لأنهم كذبوا دعوته وسخروا منها وقد بيّن ما أجمل هنا في مواضع أخرى توضيحا وبيانا للسبب، وأما آخر ما نزل في شأن نوح مع قومه فهو في قوله تعالى: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَاماً * فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ)[5]. فكان هذا خلاصة جامعة لمسيرة حافلة بالأحداث والمواقف

---

[1]- محمد صفوت، كتاب القصص في القرآن الكريم، ضمن سلسلة دليل المسلم، دار مصر للطباعة، ص 30.

[2] - منصور الرفاعي عبيد، أهداف القصة في القرآن الكريم،القاهرة، 1978، ص 12.

[3] - سورة ص، الآية 70.

[4] - سورة القمر الآية 9-14.

[5] - سورة العنكبوت 14 -15.

ذكرت في معارض أخرى بشيء من التفصيل حسب ما يقتضيه الهدف الأسمى دائما وهو المتحكم الأساسي"[1].

أما قصة موسى عليه السلام وفرعون وملئه فكان أول ما نزل في شأنها ما ورد في قوله عز وجل: (ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَإِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ)[2] إلى قوله تعالى:(وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرائيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ)[3]. وكان آخر ما نزل من قصة موسى هو ما ورد في قوله تعالى : (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى * إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوىً * اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى * وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى * فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى * فَكَذَّبَ وَعَصَى * ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى* فَحَشَرَ فَنَادَى * فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى * فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى [4]).

وقد جاء عرضها هنا في سياق تأكيد وقوع البحث وعرض أسبابه ومقدماته من أول السورة فبدأت القصة بالاستفهام (هل) وليس على الاستفهام الحقيقي كما هو شأن الاستفهام في القرآن بل خرج إلى التوكيد والتقرير بمعنى (قد) فيكون هذا المعرض يشير إلى كل ما تقدم من معارض الأخرى وهنا إشارة إلى مختلف تلك الأحداث والمراحل بإيجاز لأنه قد ذكر بتفصيل في سور أخرى وسياقات تناسبه فجاءت هذه الآيات من سورة النازعات تؤذن بنهايتها وتلخصها تلخيصا تاما وشاملا. فجاءت في سياق قصص أنبياء آخرين من آدم ونوح وهود و لوط وشعيب وغيرهم عليهم السلام كلها لتبين الأصل وسنة الله وفطرته الثابتة التي فطر الناس عليها ليريهم معالم الإيمان ويؤيدهم بآيات وجوده.

"وهكذا تعطي لنا هذه النماذج نظرة عامة على المنهج الجديد ودوره في فهم اللمسة الجمالية في القصة وطريقتها بناء ما تأخر منها على ما تقدم في الفهم و البيان والتفصيل والإيجاز"[5].

سبقت الإشارة إلى أن الهدف الأساسي من ورود القصص في القرآن كان هدفا دينيا بحتا وأن الفنية والجمالية في الأسلوب والعرض كان لها أثر بارز على القصة وكان ذلك أداة مقصودة للتأثير الوجداني ومخاطبة الفطرة، لذلك عرض القرآن الكريم قصص الأنبياء وكان آخر ما ينزل في قصة نبي موافقا ومناسبا تماما لقصته حسب ظروفه وخصوصياته، والهدف المشترك والأصل الثابت دلالة على وحدة الرسل ووحدة طرائق الدعوة ووحدة المصير و يبدو أن كل قصة ختمت بتلك الفنية التي تناسب

---

[1] - محمد صفوت، كتاب القصص في القرآن الكريم، ص 142.

[2] - سورة الأعراف الآية 103.

[3] - سورة الأعراف الآية 137.

[4] - سورة النازعات الآية 15 – 26.

[5] - محمد صفوت، كتاب القصص في القرآن الكريم، سبق ذكره صفحة 51.

بطلها كأنه ختام فني لذاته لا شيء آخر وهذا لا يمكن ملاحظته إلا في تناول القصة مرتبة حسب ترتيب نزولها وذلك من ثمرات هذا المنهج.

ومن خلال ما تقدم يتضح أن القصة القرآنية يمكن أن تدرس موضوعا قائما بذاته بإعادة ترتيب أحداثها كما هي منزلة على الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم لأجل كشف جزء من أسرار القرآن وإعجازه الذي لا يبلى ولا تنقضي عجائبه ولا تنتهي حقائقه ومظاهر إعجازه لأنه من خالق الكون العليم الخبير.

أثر القصة القرآنية في النفوس

القصة في القران الكريم نموذج فريد لم تعرفه العرب ولم تألفه، وهي تحكي فترة من تاريخ الإنسانية وتبين الصراع الذي وقع بين دعاة الخير وهداة البشرية وبين دعاة الشر وأتباع الباطل والنتيجة المرتقبة بعد هذا الصراع، ولكن أهل الكتب السابقة أعرف من غيرهم بهذا اللون الحق والقول الصدق والتعبير الدقيق لتلك الحقبة الزمنية، "والقصة في القرآن الكريم حدث يقع لأول مرة على مسامع العرب ولهذا كان له سحره في نفوسهم وتأثيره على قلوبهم من روعة تصويرها وجريان الأحداث المتلاحقة مما جعل الإنسان في ترقب دائم لما ينتج بعد الذي سمعه"[1]ولشدة وقعه في نفوس العرب بما يناسب ذكاءهم كانوا يتواصوا بينهم بألا يسمعوا له حتى لا ينجذبوا له كما أخبر رب العزة في قوله تعالى : (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ [2].

القصة القرآنية قد تكاملت خصائصها الفنية من وحدة الموضوع وتركيزها المكثف على الأحداث المترابطة مع صدق التعبير وإثارة حاسة الانتباه والترقب والتحفز لمعرفة الحدث حتى يصل الإنسان النهاية وتبرز أمامه الغاية التي سيقت من أجلها القصة متلاقية الملامح متحدة القسمات، فإن القارئ يجد المتعة العظيمة التي تشده إلى الاسترسال في القراءة والاستزادة شبعا وريّا من هذا المَعين الصافي الذي هو تنزيل من رب العالمين الذي نزل به الروح الأمين على قلب سيد المرسلين، ولقد جاء القرآن الكريم داعيًا للهداية والرشاد بأساليبَ شتى فتارةً بالوعد والوعيد وتارةً بالإقناع العقلي وتارةً بوخز الضمير والوجدان ورابعةً بتوجيه الفطرة إلى حقيقتها وخامسةً بالإعجاز بشتى ألوانه وأحياناً كثيرة بأسلوب القصص الذي هو أقرب الوسائل التربوية إلى الفطرة الإنسانية وأكثر العوامل النفسية تأثيرًا فيها وذلك لما في هذا الأسلوب من المحاكاة لحالة الإنسان نفسه، فتراه يعيش بكل كيانه في أحداث القصة وكأنه أحد أفرادها بل وكأنـه هو بطل القصة أو الشاهد فيها، فيرى من خلالها كلّ ما في نفسه من أحاسيس وما في خَلَده من أحاديث وما يجري حوله من أحداث وحوار، كل ذلك من خلال تجاوبه مع القصة. فالقصة ـ ولا سيّما إن كانت بأسلوب شائق وبيان رائق ـ لها من التأثير والجاذبية مالا تبلغه أيُّ وسيلة أخرى من

[1] - منصور الرفاعي عبيد،أهداف القصة في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص 12.
[2] - سورة فصلت الآية 26.

الوسائل الدعوية أو التعليمية أو التربوية فكيف إذا كانت بأسلوب ربانيٍّ معجز له من الواقعية والصدق ودقة التصوير ومِن السِمَاتِ ما ليس لغيره، ولو أننا عقدنا مقارنة سريعة بين أحدث المناهج التعليمية والتربوية وأكثرها تطورا اليوم لوجدنا أن أكثر المناهج نجاحا هي عرض الفكرة أو صياغة المادة العلمية بأسلوب قـَصصي جذاب، لأنها تكون حينئذ أحب إلى قلب الطالب وأقرب إلى فطرته وأسهل عليه حفظا وفهما وأدعى لتلقيها بدون مشقة أو ملل، ولذلك كانت القصة ولا تزال مدخلا طبيعيا يدخل منه أصحابُ الرسالاتِ والدعواتِ والهداةُ والقادةُ إلى الناس وإلى عقولهم وقلوبهم ليلقوا فيها بما يريدونه من آراء ومعـتقداتٍ وأعمال، ولقد أصبحت الفنون كلهـا اليوم من وراء القصــة. إن الذي يتدبر القرآن الكريم يرى جانبا كبيرا من آياته وسوره قد اشتمل على قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وعلى قصص غيرهم من الأخيار، كما اشتمل على قصص كثير من الأشرار، يرى ذلك بصورة أكثر تفصيلا في السور المكية لأنها اهتمت بإقامة الأدلة على وحدانية الله تعالى وعلى صدق الرسول صلى الله عليه وسلم فيما يبلغه عن ربه وعلى أن هذا القرآن من عند الله تعالى وعلى أن البعث وما يترتب عليه من ثواب أو عقاب حق وصدق وهذه الأدلة ساقتها السور المكية تارة عن طريق قصص الأنبياء مع أقوامهم وتارة عن غير ذلك من الطرق الأخرى كالنظر في ملكوت السماوات والأرض وفي خلق الإنسان وغيره من سائر المخلوقات، والقصة في كل زمان ومكان لها أثرها العميق في النفوس لما فيها من عنصر التشويق وجوانب الاعتبار والاتعاظ، ولا تزال على رأس الوسائل التي يدخل منها الهداة والمصلحون والقادة إلى قلوب الناس وعقولهم لكي يسلكوا الطريق القويم ويعتنقوا الفضائل ويجتنبوا الرذائل ويسلموا وجوههم لله الواحد القهار، ومن هنا جاء التأكيد على أن قصص القرآن الكريم يمتاز بسمو الغاية وشريف المقصد وصدق الكلمة والموضوع وتحري الحقيقة بحيث لا تشوبه شائبة من الوهم أو الخيال أو مخالفة الواقع.

كما إن من مميزات قصص القرآن اشتماله على طرق شتى في التربية والتهذيب، تارة عن طريق الحوار، وأحيانا عن طريق سلوك طريق الحكمة والاعتبار، وطورا عن طريق التخويف والإنذار نرى ذلك على سبيل المثال في قوله تعالى:(ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ * وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَـكِن ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَاء أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ* وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ *إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ [1].

أهمية دراسة القصة في القرآن الكريم

---

[1] - سورة هود الآية 103.

اهتم الأدباء كثيرا بالقصة الأدبية وتناولوها من عدة جوانب وقتلوها بحثا وتنقيبا ودراسة، فكان من الأجدر والأولى تناول القصة القرآنية ودراستها والاهتمام بها كونها وردت منسوبة إلى رب العزة والجلالة في قوله تعالى: (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ [1].

أمر الله تعالى رسوله صلّى الله عليه وسلم أن يقص على الناس ما أوحي إليه من ربه من أخبار الأمم السابقين، فيجب علينا الانصياع إلى أمر الله ورسوله وحسن الاستماع والتدبر، يقول الله تعالى: (فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ [2].

القصة مَعلم بارز من مَعالم القرآن الكريم لتوضح الحقائق وإزالة الشبهات : (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرائيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ [3].

والقصُّ ـ بالمفهوم العام ـ كان من مهمات الرسل عليهم الصلاة والسلام: (يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ [4].

حياة الأنبياء هي محور القصص، وهم موضع القدوة والأسوة أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْماً لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ [5].

عناصر القصة في القرآن الكريم

لقد سايرت القصة القرآنية مراحل الدعوة الإسلامية وتواءمت مع الأحداث والمواقف وبرزت عناصرها حسب الضرورة الفنية والموضوعية بما يخدم الحدث والمرحلة والموقف في الدعوة " فلذلك إن عناصر القصة القرآنية لا نجدها مجتمعة ولا موزعة توزيعا يجعل لكلٍّ منها دور"[6]، ويمكن تقسيم عناصر القصص القرآني إلى العناصر التي تتألف منها القصة الأدبية والتي تشتمل على الأحداث الشخصيات والمغزى والزمان والمكان والحوار والحبكة الفنية، وكما ذكرنا أن القصص القرآني ليس الهدف منه الإمتاع إنما يهدف في المقام الأول إلى تبليغ الدين بطرق تربوية كما مر بنا في أهداف القصة القرآنية، فلذلك نراه يعتمد على الأحداث أكثر مما يعتمد على الأشخاص، ولا يميل إلى الحكاية وسردها مع الإمعان في الخيال لأن

---

[1] - سورة يوسف الآية 3.
[2] - سورة الأعراف من الآية 176.
[3] - سورة النمل الآية 76.
[4] - سورة الأنعام الآية 130.
[5] - سورة الأنعام الآية 89 - 90 .
[6] - محمد قطب عبد العال ، نظرات في قصص القرآن الكريم، سلسلة دعوة الحق تصدرها رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، العدد 122، صفر 1992، ص 114.

الحكاية تدل على المحاكاة المماثلة للحدث، فالقرآن الكريم لم يتخذ هذا الأسلوب لأنه لم يأت بشي فيه خيال وإنما هو الحق، أما الأشخاص فيكتفي بذكر الصفات الخُلقية، وقد يلمح إلى ذكر بعض الصفات الخَلْقية لخدمة الغرض الأساسي منه. وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ المُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ المَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي العِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ [1]، وبعض الأشخاص من لم يصرح بذكر أسمائهم فيكتفي بصفاتهم ويعمد إلى التنكير مثل:(رجل) في قوله تعالى :

(وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ [2]، و(عبد) في قوله تعالى:

(فَوَجَدَا عَبْداً مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً [3]، و(فتى) في قوله تعالى : (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً[4]. ويمكن تناول كل عنصر من العناصر وتحليله كما ورد في ثنايا آيات الذكر الحكيم بشيء من التفصيل:

الحدث في القصة القرآنية

تصوير الأحداث في القصص القرآني يحيل المواقف البشرية والإنسانية إلى مشاهد حية كاملة حيث تتبدى فيها الحركة الظاهرة والانفعالات المستترة فتمتزجان امتزاجا كاملا بحيث لا نستطيع أن نفصل بينهما ليبدو في النهاية مشهدا حيا معروضا بكل أبعاده أمام عيون المتلقين، كما إن الأحداث في القصص القرآني لا تنقل بطريقة إخبارية لتزودنا بالمعلومات فحسب بل تنقل بطريقة تصويرية يتجلى فيها روعة الأداء التعبيري وليس قصة تروى، ولا نستطيع أن نفصل المواقف والمشاهد عن العواطف والانفعالات بل هي استجابة لهذه المواقف، ولا نملك إلا أن نسوق بعض النماذج لتوضيح ما ذهبنا إليه، فهذه قصة مريم التي تبدأ بداية طبيعية تصور مريم تلك الفتاة العذراء الطاهرة المعتكفة العابدة، وفجأة يظهر أمامها ملك في هيئة رجل مما يحول هدوءها إلى انفعال، ويزداد تعقيدا بعد أن يخبرها بأنه مرسل ليهب لها غلاما وهي التي لم يمسسها رجل قط، فتقبلت حكم الله ولكنها آثرت أن تبتعد عن أعين الناس خوفا من الخوض في سيرتها بطبيعتها البشرية، ثم تنقلنا الأحداث إلى ساعة المخاض متجاوزة فترة الحمل وما يصاحبها من آلام وهي بمفردها، حتى تصل الأحداث إلى ذروتها ساعة الولادة، تمنت الموت دون هذه اللحظة، وهي في غمرة الآلام تفكر في ماذا تقول لأهلها، حتى ناداها وليدها بأن لا تحزن ولا ترد على أحد. مشهد درامي حافل بالصراع بكل

---

[1] - سورة البقرة الآية 247.

[2] - سورة يس الآية 20.

[3] - سورة الكهف الآية 65 .

[4] - سورة الكهف الآية 60.

أنواعه صراع الخوف والقلق والاضطراب النفسي والرغبة، فقد امتزجت كل هذه الصراعات لتعطي المشهد قوته.

ولا أحد ينكر امتزاج الأحداث بالانفعالات في قصة سيدنا يوسف عليه السلام التي بدئت برؤيا وانتهت بتفسير هذه الرؤيا بعد رحلة طويلة مليئة بالمعاناة والمشقة تحفها المخاطر من كل الجهات، نراه وحيدا في غيابات الجب، ثم يتعرض لفتنة قاسية تقوده إلى السجن، حتى انتهى به المطاف مسؤولا عن خزائن مصر، ثم يأتي بأهله من البادية إلى القصر الملكي في نقلة نوعية ومشهد مؤثر تتلاحق فيه الأنفاس وتسد الحلوق فتعبر عنها العيون بزفرات من الدمع.

من الأحداث التي تعرضها علينا القصة القرآنية هي من نوع الأحداث التي تسير وفقاً للتدبير الرباني والإشراف الإلهي المباشرين نحو غاية معينة، ولذلك فلا عجب أن يتدخل الإمداد الغيبي واللطف الإلهي في تسيير الكثير من حوادثها وسوقها باتجاه معين يخدم الرسالة والدعوة الإلهية، وعلى هذا الأساس يمكننا القول إن العنصر الغيبي في القصة القرآنية يؤدي دوراً مصيرياً حاسماً في تشكيل الأحداث وتغييرها وأحياناً قلبها رأساً على عقب، وعادة ما يكون هذا (العامل الغيبي) مصحوباً بعنصر المفاجأة سواء أكان متمثلاً في عذاب الكفار أم إمداد ولطف أم معجزة خارقة، وهذا الطابع الفجائي يكاد يكون ملاصقاً للعامل الغيبي غير منفك عنه، فالعذاب قد يحدث بغتة ـ كما صرحت بذلك الآيات القرآنية ـ كقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ [1]﴾، واللطف الإلهي المنقذ لأنبيائه وأتباعهم لا ينزل إلا عندما تبلغ القلوب الحناجر وعندما يوشك المؤمنون على اليأس، ونريد بالطابع الفجائي للعامل الغيبي دلالة الظروف والملابسات المادية الظاهرية كلها على نتيجة معينة لابد ـ حسب المعادلات المادية ـ من أن تنتهي إليها وفي غمرة هذه التوقعات يتدخل العامل الغيبي ليقلب مجرى الأحداث قلباً جذرياً أو ليغير اتجاهها، وفي قصة موسى عليه السلام يتجسد هذا العامل بتلك المواصفات: ﴿ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ * قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ * فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ [2]﴾، المعادلات المادية ترسمها لنا عبارة (إنا لمدركون)، والعامل الغيبي غير المتوقع يتمثل في نزول الوحي الإلهي بغتة بالنسبة لبني إسرائيل على موسى في تلك الظروف العصيبة حاملاً البشرى بالخلاص . فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر، وهكذا تتغير مجريات الأحداث بتدخل هذا العامل الغيبي بل تسير في اتجاه معاكس، فالشواهد المادية تقتضي أن يُدرك موسى وأتباعه، ومعنى تصفيتهم تصفية كاملة

---

[1] - سورة الأنعام، الآية 44.

[2] - سورة الشعراء، الآية 63 .

وانتصار فرعون وجنوده، ولكن العامل الغيبي جاء ليقلب هذه النتيجة لتسير في اتجاه معاكس تماماً. هذا فيما يتعلق بالإمداد الغيبي، أما فيما يتعلق بالعذاب فالأمثلة والشواهد كثيرة، ويمكن أن تكون صنوف العذاب التي نزلت على الأمم التي كذبت الرسل وآذتهم شاهداً على عنصر المفاجأة في العامل الغيبي، كما جاء في قصة صاحب الجنتين وموقفه مع صاحبه الفقير تجاه نعم الله تعالى فإن هذا الموقف المصور بأبعاده ومناظره وحواره يبين الغرور الذي يصيب أصحاب الثراء والغنى من الكفرة الجاحدين بنعم الله الكثيرة، أما الصاحب الآخر الفقير الذي لا مال له ولا نفر ولا جنة ولا ثمر فهو معتز بعقيدته وإيمانه ثم ينكر على صاحبه الغنى ويذكره بمنشئه المهين من الطين ويوجهه إلى وجوب الحمد والشكر وينذره العاقبة السيئة لجحوده وكبره بزوال النعمة إن لم يحمد الله، بل ستنقلب الأحوال، كل ذلك في حوار ساخن بين الرجلين وتنامي أحداث حتى ينتهي الحوار بينهما بنتيجة مفاجئة وهي زوال النعمة بالفعل بقوله تعالى :(وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَداً [1]. يستطيع المتلقي من خلالها أن يسد الفجوة بين الأحداث بما يتخيلها بعد أن تحقق فيها عنصر التشويق من خلال حذف بعض الجمل. فالقصة إذا نظرنا إليها من منظار مادي لا يدخل في حساباته العوامل الغيبية لابد وأن تنتهي بإثراء صاحب الجنتين ثراءً فاحشاً بعد أن أنتجت الجنتان ذلك المحصول الوافر الذي بلغ من الضخامة حداً دفع صاحبه إلى أن يستشعر في نفسه الغرور والاستغناء عن الله تعالى، ولكن العامل الغيبي يأتي كالعادة ليقلب مجرى الأحداث وليوصلها إلى نتيجة مباغتة عكسية، إنها الفقر المدقع والشعور القاتل بالندم، ولعل هذا العنصر الغيبي المفاجئ الذي تتميز به القصة القرآنية هو من أكثر العناصر جذباً للقارئ وشداً لانتباهه، فالقارئ عندما يتلو مثل هذه الآيات القرآنية التي تفاجئه بدخول العامل الغيبي إلى ساحة الأحداث يستيقظ في نفسه ذلك الشعور الذي يلازمه دائماً وهو يتابع القصص القرني ألا وهو اليقين من واقعية الأحداث وصدقها ووقوعها فعلاً، مثل هذا الشعور من شأنه أن يجذب القارئ إلى أحداث القصة إلى أبعد الحدود، كما من شأنه أيضاً أن يمنح الأحداث حركة عنيفة ويملؤها بالصراع والحركة التي تخرج الأحداث من حالة الرتابة والروتين، والحقيقة أن هذه الميزة التي تنفرد بها القصة القرآنية دون منازع تعد من إعجاز القرآن الكريم التعبيري، فهو يجمع بين الواقعية والإثارة ومثل هذه الميزة لا يمكن أن يصنعها أي قاص دون أن يضطر إلى إضافة بعض المبالغات إلى أحداث عمله القصصي، وقد تصدق على القصة البشرية نتيجة لذلك الشعور الذي يلازم قارئها وهو يتنقل بين صفحاتها ألا وهو الإحساس بأن القصة ليست واقعية تماماً وأن بعض أحداثها من نسج خيال الكاتب ومن ضمنها العناصر

[1] - سورة الكهف، الآية 42 .

الفجائية القالبة لمجرى الأحداث، ولذلك فإن على الكاتب أن يكون حذراً جداً في اختيار نوعية تلك العناصر وإلا حدثت تلك المفارقات التي من الممكن أن تؤدي إلى فشل عمله القصصي،" أما القصة القرآنية فقد جمعت بإعجاز وبراعة بين الواقعية المحضة وبين عامل الشد والإثارة، ومثل هذا الجمع هو من شأن الإعجاز البلاغي القرآني وحسب، ولا يمكن أن نطلق عله مفارقات مطلقاً لأنها تمثل قصصاً حقيقية حدثت بالفعل، ولذلك فإنها لا تتضمن أية مفارقة أساساً لأن المفارقة هي وليدة الاختلاق والافتعال"[1].

النوع الآخر من العناصر الغيبية التي تنفرد بها القصة القرآنية هو عنصر المعجزات والآيات، فهو عنصر واقعي حدث فعلاً وأبرزته القصة القرآنية لعرض الواقع وخدمة أهداف الدعوة الإلهية، وهكذا نرى أن العامل الغيبي يضع القصة القرآنية في مكان متميز متفرد، فهي واقعية لا تنفك عنها في نفس الوقت الذي تتضمن فيه القوى والعوامل الغيبية وتتجسد فيه هذه القوى والعوامل ألطاف أو معجز أو آيات أو عذاباً خلافاً للقصص البشرية التي لا تدخل في تركيبتها وتوظيفها هذا النوع من العناصر، فإننا ننظر إليها دائماً بعين الريبة والشك، ولا تكاد فكرة الأساطير والمبالغات والخرافات تفارقنا ونحن نتابع أحداثها، بل إن مثل هذا التوظيف الذي هو بأمس الحاجة إلى ذكاء ومهارة وبراعة لا يمكن أن يتوفر إلا في البلاغة القرآنية، قد ينقلب وبالاً على العمل القصصي فيكون أشبه بخدع سينمائية يسخر الإنسان منه.

الشخصيات في القصة القرآنية

الشخصية هي المحور الذي تدور حوله الأحداث وتشرك مع غيرها في بناء القصة فتحدد هذا من خلال العرض القصصي وتتحدد الأدوار التي تتوزع على شخصيات العمل سواء أكانت محورية أم ثانوية " يصنعون بمواقفهم أمثلة قصصية يضرب بها المثل في معان كريمة وقيم فاضلة أو أخلاق فاسدة وقيم منحطة "[2].

ومن أهم مميزات البناء القصصي فيما يتصل بالشخصية كعنصر بنائي هو وضعها في مواضع تتجدد مع المسار القصصي ليندفع إلى النمو ليبدو كما لو كان مشهدا مباشرا مما يجعله يتجاوب معها في حالاتها الانفعالية المتعددة من خوف وترقب وشوق ويأس وغيرها، فالمتتبع لقصة سيدنا يوسف عليه السلام يجد كل هذه الأحاسيس، كما تتميز الشخصية في القرآن الكريم بالثبات الدائم فشخصية موسى عليه السلام تحتفظ دائما بالخصائص نفسها، ويمكن القول نفسه بالنسبة لشخصية سيدنا إبراهيم عليه السلام،

---

[1] - سعيد عبد العظيم، عظات وعبر في قصص الأنبياء، ط 1، دار الإيمان، الإسكندرية، 2002م.ص 42.

[2] - محمد قطب عبد العال ، نظرات في قصص القرآن الكريم، مرجع سابق، ص 57 .

فالقرآن الكريم يتحدث عن كل الشخصيات المؤمنة بالطريقة نفسها وكأنها شخص واحد فلا نكاد نشعر بأي فرق بين خصائص الأنبياء مثلا رغم أنه يصف كل واحد منهم بميزاته، ففي سورة الأنبياء حيث يتحدث القرآن عن الأنبياء مخصصا كل منهم بميزاته غير أننا لا نشعر إلا بوحدتهم وكأنهم شخص واحد يصفه القرآن في كل مرة بوصف معين، كما أن الكفار والمنافقين على الرغم من تعددهم في القصص القرآني فإننا أيضا لا نكاد نشعر بأي فرق بينهم وهذا راجع إلى أن القرآن يعطي الأهمية البالغة لميزة أخرى وهي الإيمان والكفر- كما سبق وأشرنا - فهو يصنف الشخصيات على هذا الأساس وحده ولا يميز بينها وفق التفاصيل، ولهذا تجئ الشخصيات المؤمنة كلها وكأنها متشابهة خاصة بثناء القرآن عليها ووضعها في نفس الدرجة مما يجعلها محبوبة لدى القارئ، أما الكفار والمنافقون فلتشنيع القرآن عليهم يستفزنا هذا التشنيع وحده ولا تبقى التفاصيل الأخرى في أذهاننا حتى ولو كانت مذكورة، وهذا من الإعجاز القرآني إذ يبقى كتاب هداية وكل ما فيه موضوع لهذا الغرض والقصة نفسها لا تهدف إلا إلى الهداية.

أنواع الشخصيات التي تدور حولها قصص القرآن الكريم :

وإذا تأملنا دور الشخصيات نجدها موزعة بين شخصيات رئيسة وشخصيات ثانوية وأخرى هامشية، أما الرئيسية فهي التي تسهم في صنع الأحداث أو تدور حولها كالأنبياء صلوات الله عليهم وفرعون وهامان وقارون، أما الشخصيات الثانوية فإنها ذات دور محدد لا يتكرر ظهورها كثيرا كالملائكة الكرام وشيخ مدين وفتى موسى وصاحبي يوسف في السجن ومنها امرأة فرعون والجن في قصة سليمان وإبليس، أما الشخصيات الهامشية فهي التي لا نكاد نتبيّن ملامحها ولا نرى لها دورا بارزا في مجريات القصة ولكنها تمثل خلفية للمشاهد وجزءا من البيئة التي فيها الأحداث، منها الرعاء في مدين في قصة موسى عليه السلام وأصحاب السفينة.

" وإذا نظرنا إلى القصة في القرآن الكريم نظرة مدققة فإننا نجد أنفسنا أمام عدد كبير من الشخصيات منها ما ينتمي إلى عالم الغيب كالملائكة رضوان الله عليهم، لهم حضور ومشاركة في بعض قصص القرآن الكريم وقد يتجسدون في صور بشرية، ومنها ما ينتمي إلى عالم المشاهدة".[1] ومن هذه الشخصيات :

الشخصيات البشرية:

الرسل والأنبياء عليهم السلام

حفل القرآن الكريم بحياة الأنبياء عليهم السلام ما لم يحفل بغيرهم، هم الذين حملوا الرسالة، ولم يكن هذا من قبيل تخليدهم على مرّ الزمن ولا

[1] - محمد قطب عبد العال ، نظرات في قصص القرآن الكريم، مرجع سابق ص 37 .

من أجل السرد القصصي المجرد الذي لا يهدف إلى شيء؛ إنما لتبليغ هذه الرسالة، فجاءت قصصهم عبرة وأخبارهم تنبيه، ومنهم من وردت أسماؤهم في القرآن الكريم وهم خمسة وعشرون نبيّا ورسولا ، ومنهم من لم ترد أسماؤهم ولكن تحدّث عنهم القرآن الكريم .

شخصيات ليسوا بأنبياء

تضمنت القصة القرآنية قصص أشخاصٍ ليسوا بأنبياء ولا رسل وهؤلاء الأشخاص الذين ذكروا في القرآن الكريم هم على أربعة أصناف :

رجال صالحون: وهؤلاء ممن كانت لهم سيرة حسنة تعطرت بهم الأرض وساروا في طريق الأنبياء والمرسلين وصبروا على ما أوذوا في سبيل نصرة الحق، وإيراد قصصهم ليكونوا قدوة لمن يسير في هذا الطريق وأن يثبتوا على الطريق مهما اعترضهم من متاعب ومنهم لقمان الحكيم وذو القرنين العبد الصالح وفتى موسى عليه السلام ومؤمن آل فرعون والرجل الذي كان يحاور صاحب الجنتين وفتية الكهف .

نساء صالحات : عرضت قصص القرآن الكريم نساء مؤمنات مثل امرأة فرعون ومريم بنت عمران التي أحصنت فرجها وأمها التي نذرت ما في بطنها لله وابنتا شعيب وأخت سيدنا موسى عليه السلام، فمثل هؤلاء يذكرون لتبجيل أعمالهم وأقوالهم ليكونوا قدوة للناس.

رجال كفار: تضمنت القصة أيضا بعض الشخصيات الكافرة التي كان لها دور في الإفساد في الأرض وظلم الآخرين وصدهم عن هداية الله التي جاء بها الأنبياء والمرسلون والقصد منها نقد أعمالهم وتصرفاتهم والتحذير مما وقع بهم بسبب سوء تصرفهم، وممن ذكر من هؤلاء الأشخاص فرعون وهامان وآزر أبو سيدنا إبراهيم والذي غرته جنتاه ويأجوج ومأجوج، فمثل هؤلاء يذكرون ليعتبر الناس بهم ويحذروا أن يسيروا في دربهم وينحوا منحاهم

نساء كافرات: يتألف المجتمع من رجال ونساء والنساء شقائق الرجال والله تعالى لن يضيع عمل عامل سواء أكان ذكرا أم أنثى ، فقد نقل لنا القرآن الكريم قصص بعض النساء اللائي كان لهن دور في الإفساد والإضلال، ومن هؤلاء امرأة نوح وامرأة لوط وامرأة أبي لهب.

تنوع شخصيات القصة القرآنية وامتدادها بين عالمي الغيب والشهادة يدل على قدرة الله على تسيير هذا الكون بمن فيه وما فيه من مخلوقات خفية وظاهرة مؤمنة وكافرة، كما يكشف عن بعض الظواهر كذكر بعض الشخصيات وإغفال البعض الآخر مع ملاحظة أن أسماء الأنبياء أكثر ذكرا من أسماء رؤوس الكفر لعل في هذا تكريما لرهط الأنبياء الذين حملوا الدعوة إلى الله، أما ذكر بعض رؤوس الكفر كفرعون وهامان وقارون وغيرهم فلم يكن مقصودا لذاتهم إنما فيه تشهير بهم واستمطار اللعنات عليهم ليكونوا نماذج للسوء، " فلذلك نجد في القرآن الكريم عددا من

الشخصيات التي استُبدِلت أسماؤها صفات لأن ذكرها زيادة لا قيمة لها في البناء القصصي أو الغاية المقصودة "[1].

شخصيات غير بشرية:

الملائكة الكرام

يمكن أن نعتبر الملائكة الكرام ضمن شخصيات القرآن الكريم لما لهم تأثير في سير أحداث القصة القرآنية حيث أوكلت لهم أعمال وأسندت عليهم أفعال وأقوال وكانوا طرفا في حوار مع رب العزة ومع الرسل صلوات الله وسلامه عليهم.

شخصية إبليس

كفى به وصف إنه محور للشر، نموذج للضلال ابتداءا من رفضه لأوامر الله مرورا بغوايته لسيدنا آدم عليه السلام ثمّ أبنائه إلى يوم القيامة.

الحوار في القصة القرآنية

الحوار أسلوب من أساليب القول المتعددة في إحداث الحركة وتلوينها في القصة القرآنية، والمستقرئ آيات القرآن الكريم يجد أن في القرآن أسلوباً متميزاً يسترعي الانتباه ويلفت الأنظار ويترك للعقول المجال الواسع لاستنباط العبر والعظات وهو الأسلوب الحواري، هناك العديدة من المحاورات التي حفل بها القرآن العظيم والتي جاءت في سور عدة في القرآن الكريم، قد يكون الحوار ذاتيا بين الإنسان ونفسه كمحاورة إبراهيم مع نفسه وهو ينظر إلى القمر والشمس والنجوم والكواكب، وقد يكون بين شخصين كحوار إبراهيم مع أبيه، وقد يكون بين الخالق عزّ وجلّ والمخلوق وهذا كثير الورود في القصة القرآنية، وقد يكون بين البشر ونوع آخر من المخلوقات كحوار سيدنا سليمان مع الهدهد، أمّا محاورة الله مع الملائكة فهي طراز يختلف عن سائر المحاورات القرآنية الأخرى، فهي نموذج أعلى للإرشاد والقدوة والتوجيه حيث جعل الله من ذاته معلماً ومثلاً أعلى يقتدى، وليس اعتراضا من الملائكة ومحاجة وجدالا، فذلك لا يليق بالله ولا بملائكته فقد وصفهم الله تعالى بأنهم :(لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ولكن القارئ والسامع لهذه الآيات قد يتبادر إلى ذهنه ثمة معارضة من الملائكة لله تعالى على خلقه وقراراته والواقع ليس كذلك بل هو أسلوب تعليمي ليعطي من خلاله لمخلوقاته دروساً في الشورى التي هي واجب على ولي الأمر" فجعل المولى عز وجل ذاته طرفاً في الحوار في خلق سيدنا آدم عليه السلام"[2]، في حوار تقريري مباشر وذلك ما أخبر الله تعالى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم عن خلق سيدنا آدم عليه السلام فيقول رب العزة:(وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ

---

[1]- مأمون فريز جرّار، خصائص القصّة الإسلامية،دار المنارة للنشر والتوزيع، جدّة، دت.، ص 77 .

[2]- عبد المرضي زكريا، الحوار ورسم الشخصيات في القصص القرآني، ط 1، مكتبة زهراء الشرق، بيروت،1997م، ص 33.

خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ * وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ [1]، فقد نقل الله سبحانه وتعالى الحَوار الذي دار بينه - رب العزة - وبين ملائكته إلى نبيه عليه الصلاة والسلام بشأن خلق سيدنا آدم عليه السلام واستخلاف الإنسان الأرض وتعميرها ليعبدوا الله تعالى فيها مع علم الملائكة – كما علمهم الله تعالى – بطبيعة البشر وميلهم إلى الإفساد وسفك الدماء بجانب الخير، ولكن الله تعالى يعلم ما لا يعلمون، فلك أن تتخيل ما حدث بعد ذلك لسد الفجوة حسبما دلت عليه الآية الكريمة : (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَأٍ مَسْنُونٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ [2]. فلا ريب عن طَريق الحوار تتبادل الشخصيات المواقف وتنمو الأحداث ويحتدم الصراع ويتلون الأسلوب بألوان متعددة وفقا لمقتضى الحال وداعي المقام، فالحوار عن طريق كلماته وجمله يحكي مقولات المتحاورين والمتجادلين من أصحاب الحجة الدامغة مع أصحاب الحجة الواهية لإبراز القوة العقلية الإقناعية المدججة بالحجة الدامغة، فقد تلاقى الرسل والأنبياء جميعا واتفقوا في الدعوة إلى التوحيد الخالص وإخلاص العبادة لله الواحد الأحد الإيمان باليوم الآخر والحث على التحلي بالأخلاق الحميدة والتحذير من العادات الخبيثة والدنيئة والأخلاق السيئة، ويكشف الحوار عن المغزى الديني العميق، ويتضح ذلك من اتفاق الأنبياء عليهم السلام في مخاطبة أقوامهم بعبارة يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ [3]. "محاولين الاستفادة من كل المؤثرات النفسية لكسب مشاعر من يخاطبهم واستمالة قلوبهم مع عدم قطع الصلة بين الأنبياء وأقوامهم" [4]. نموذج آخر للحوار في قصص القرآن الكريم ما دار بين سيدنا إبراهيم عليه السلام وبين أبيه وقومه الذين يتمسكون بعبادة ما كان عليه آباؤهم وذلك في قوله تعالى: (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ * قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَاماً فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ * قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَشْكُرُونَ * قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ * قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ * أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ * فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا

---

[1] - سورة البقرة الآية (30 -33).

[2] - سورة الحجر الآية (28 -29).

[3] - سورة هود الآية(84،61،50) وسورة الأعراف الآية(85، 73، 65، 59) والمؤمنون الآية 23 .

[4] - عبد المرضي زكريا، الحوار ورسم الشخصيات في القصص القرآني،مرجع سابق، ص 38.

رَبَّ الْعَالَمِينَ * الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ * وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ * وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ * وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ[1]، الذي قارعهم الحجة الدامغة من موقف ثابت معتمدا على منطق العقل مما جعلهم يتراجعون ولكنهم معاندون ومكابرون ولم يقبلوا البرهان والحجة وأصروا على تعنتهم وحكموا على سيدنا إبراهيم بالموت حرقا، وفي موضع آخر يستعمل سيدنا إبراهيم عليه السلام الحجة والعقل في قوله تعالى :(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ[2]، وهكذا منطق سيدنا إبراهيم عليه السلام في دعوته إلى الله تعالى فيه" منطق الحوار والبرهان والحجة وإنها الشرائط الأساسية لبنية الصراع مع الكفر حيث لا يبقى مجال للنصيحة والموعظة والدعوة "[3].

إن الحوار أسلوب من الأساليب التي تُظهر الحق واضحا للناس الذين لا يعتمدون على حجج ثابتة معقولة على ما يذهبون إليه وعلى مل يدينون به ويرغمون غيرهم على ذلك لا بالحجة ولكن بالعصا واستعمال القوة"[4].

الزمان والمكان في القصة القرآنية

من المعلوم أن القرآن الكريم لا يحده مكان ولا زمان، وللأهداف التي سقناها آنفا ندرك أن القرآن لا يهتم بالمكان والزمان إلا بالقدر الذي يخدم المغزى كملتقى البحرين في قصة سيدنا موسى ، حيث أنه يصلح لكل أوان، والقصص القرآني كله إنما هو تعبير واضح عن أحداث ظهرت في الأفق منذ زمن بعيد موغل في القدم ولم يكن يُعنى بتحديد ذلك الزمن بقدر ما يُعنى بتحديد الحدث تحديدا تاما في ميدان العظة والعبرة إذ ليس القرآن الكريم كتاب تاريخ، غير أن لكل قصة زمنا خاصا يتحرك دائما للأمام حسب التدرج الطبيعي للأحداث فيظهر الزمن حيث يتطلبه الموقف، ففي قصة سيدنا نوح عليه السلام - مثلا - لم يحدد بدء البعثة ولكن حدد مدتها بـ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عَاماً فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ[5]. وهو يدعو قومه إذ لا يهم متى كانت هذه الدعوة ولكننا يهمنا أن نعرف كم من الزمن استغرقت لنحدد مدى صبر الأنبياء في الدعوة إلى الله تعالى، وفي قصة أهل الكهف حدد الزمن الذي استغرقه الفتية وهم نائمون، وكذلك في قصة سيدنا يوسف عليه السلام عنيت

---

[1] - سورة الشعراء الآية (69 – 82).

[2] - سورة البقرة الآية 258

[3] - محمد حسن يزبك، مجلة المعا رج، المجلد الثاني، العددان الثالث عشر والرابع عشر، 1992، بيروت، المعهد الثقافي للتخصص والدراسات القرآنية، ص 46.

[4] - محمد ناجي مشرح، الآفاق الفنية في القصة القرآنية، مرجع سابق ، ص 80.

[5] - سورة العنكبوت ، الآية 14.

بالترتيب الزمني الدقيق منذ الرؤية التي قصّها على والده، ثم بدأت الغَيرة تنشأ في صدور إخوته وتحركت فيهم نوازع الشر وابتدؤوا ينفذون خطتهم إلى آخر القصة، غير أنها تتعرض لتحديد الزمن أحيانا كما في قوله تعالى . وَجَاؤوْا أَبَاهُم عِشَاءً يَبْكُون .وقوله تعالى: (فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِين ، وفي قصة سيدنا عيسى عليه السلام نرى تسلسل الزمن إلى الأمام ابتداء من الاصطفاء الأول إلى ولادة مريم عليها السلام إلى خدمتها في المحراب إلى بشارتها بعيسى عليه السلام ثم ولادته ، وغير ذلك من قصص القرآن الكريم، .

أما المكان في القصة القرآنية فهو وعاء للحدث لا يظهر إلا إذا كان له كبير الأثر في استصحاب الحدث كما في قصة الإسراء والمعراج حيث حدد المكان صراحة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى لان لهما وضع خاص كما ذكر الزمن ليلا حيث ينام جميع الخلائق، وكذلك ذكر مكة والمدينة ومدين ومصر والأحقاف والطور الأيمن وطور سينين وغيرها من الأماكن لما لها من خاصية، أما إذا لم يكن للمكان خاصية تجعل له وضعا منفردا فلا يُعبأ به، كقوله تعالى:(وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ[1]. وقوله تعالى:(وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى ، فلم يحدد القرية ولا المدينة لعدم أهميتهما حيث لا يتعلق غرض بذكر مكانهما إنما المهم هو الحدث.

فسوف يأتي تفصيل تام لعنصر الزمان والمكان في قصة سينا موسى عليه السلام في الفصل الثالث .

المعالجة الفنية (الحبكة) في القصة القرآنية

اختلف الباحثون والدارسون وتباينت آراؤهم حول اشتمال القصة القرآنية على المنهج الفني، "بعضهم يرى أنها تبتعد عن المنهج الفني للقصة الأدبية وتقوم على أسس مغايرة تماما عما تعورف عليه وإنها أخبار وأنباء تصب كلها في خدمة الغرض الديني ، والبعض الآخر يقرر اشتمالها على عناصر القصة الفنية وتأسيسها على أعلى مقوماتها حتى تؤدي غرضها المقصود، والبعض يتحفظ في أحكامه فيتخذون منهجا وسطا ويرون أن في القرآن قصةً لكنها شيء مختلف عن القصة الأدبية ولا يقصد بها العمل الفني المجرد على اعتبار أن الفن محاكاة للواقع "[2]،إذ لا يجوز أن نسمي شيئا من القرآن محاكاةً كما نسمي أعمال البشر إلاّ نكن كمن يخضع كلام الله سبحانه وتعالى لنقد البشر لأن القصة القرآنية لها طبيعتها الخاصة وبناؤها المتميز الذي يفرقها عن غيرها حيث لا نستطيع أن نعقد مجرد مقارنة بينها وبين القصة الأدبية التي في وادٍ آخرَ انطلاقا من أن القرآن

---

[1] - سورة النحل، الآية 112.

[2] - محمد بن إسحاق، المبتدأ في قصص الأنبياء ’ مرجع سابق ، ص 24.

الكريم في المقام الأول كتاب دعوة دينية ودستور كامل متكامل للحياة البشرية في مختلف جوانبها الروحية والمادية .

الذي يتلو القرآن الكريم بتمعن ويتدبر آياته بقلبه وفكره ويتتبع قَصصه يجد التناسق التام بين أحداثه فلن تجد اختلالا في بنية القصة من حيث التقديم والتأخير والزيادة والنقصان وتنامي الأحداث والترتيب الزمني إلا ما يفيد الناحية الفنية في القصة القرآنية ، يكفي أنك ما أن تقرأ القرآن وتتدبر آياته جيدا حتى تجد نفسك سابحا في بحر من الأحداث تشدك إلى الأعماق لتستزيد، وكلما انجلى حدث تعلق بغيره وأنت تتابع ، نجد ذلك جليا في سورة يوسف وسورة إبراهيم وقصة مريم وقصة سيدنا موسى عليهم السلام.

المغزى في قصص القرآن الكريم

لم تكن القصة في القرآن الكريم هدفا في حد ذاتها يقصد بها إمتاع القارئ، حاشا لله أن يكون قاصا، ولكن كل قصة أقصيرة كانت أم طويلة تحمل في ثناياها من العظات والعبر أخذ إنْ بها كلّ مسلم لنجا من عذاب جهنم، فكل قصة لها مغزى يحتاجه الفرد في حياته في العبادات والمعاملات تنطلق منه القصة لتوصل الهدف أو الغاية منها "معظم القصص في القرآن الكريم تبدأ بإشارة مقتضبة ثم تطول شيئا فشيئا لتعرض حلقات كثيرة في مجموعها جسم القصة حتى إذا استوفت حلقاتها عادت الإشارات "[1]فيما يؤدي الغرض المقصود، فلذلك نجد أن مغزى القصة ديني بحت .

* ولما كانت القصة في القرآن تهدف إلى مقاصد دينية وإيمانية كانت طريقة القص في القرآن متميزة عن المألوف في هذا الفن لكي يتلاءم أسلوب القصة مع الوفاء بحق الغرض الذي سيقت لأجله ومن أبرز سمات المنهج القرآني ما يلي:

استخراج التوجيهات والعظات والدروس التي تأتي بها القصة كما جاء في قصة لقمان في قوله تعالى :(وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيم ."[2].

المبحث الثالث:خصائص القَصَص القرآنيّ :

للقصة في القرآن الكريم خصائص ومميزات فريدة يعلو بها جلالةً وقداسةً، ويزداد بها بلاغة وإعجازًا، ويعظم بها أهمية وتأثيرًا فتمكنها من الاستحواذ على ذهن القارئ بسهولة شديدة وتمنحه إحساسا خالصا بها فيلج إليها دون عوائق ويقع في أسرها بسرعة وهي لا تزال مسيطرة عليه حتى يبدو الأمر أشبه بتجربة ذهنية أكثر منه تلاوة عادية، ونحن بصدد محاولة لاستخلاص بعض هذه الخصائص، فمن الصعوبة التعرف على أسرار القرآن لأنه كلام الله المعجز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا

[1]- سيد قطب ، التصوير الفني في القرآن ، مرجع سابق ، ص 156.

[2]- سورة لقمان ، الآية 13.

من خلفه، وبهذه الخصائص استحق أن يُوسَم بأحسن القصص كما في قوله تعالى: (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ [1].
فمن تلك الخصائص:

1/ التفصيل والإجمال في قصص القرآن الكريم:

لمّا كان للقصة في القرآن الكريم ذلك الدور الأسمى فقد اعتنى بها كثير من العلماء والمفسرين فكتبوا فيها كتبا ففاضت أقلامهم ووسعوا خيالهم في تفسيرها وزادوا أشياء لم يدرجها القرآن بين ثناياه لاعتبارها لا تخدم ذلك الهدف بشيء،" فأطلق عليه البلاغيون مصطلح الحذف بغرض التشويق وإثارة خيال السامع وملء الفراغات بما يناسب"[2]، فالقرآن يفصّل إذا اقتضى الأمر نجده يفرد سورة كاملة لقصة واحدة مثل قصة يوسف عليه السلام لأن نهايتها مبنية على بدايتها وبتتبع مختلف لتلك المراحل والأحداث التي مر عبرها وذلك لبيان قدرة الله تعالى وعنايته ونفاذ إرادته، وقصة موسى عليه السلام مع فرعون من أكثر القصص المذكورة في القرآن الكريم في سياقات متعددة وسور مختلفة، هاتان القصتان تعتبران نموذجين للصراع القائم بين الخير والشر، فموسى عليه السلام قمة الخير بينما يمثل فرعون في الجهة المقابلة قمة الشر، فجعل القرآن الكريم ذلك مثالا واضحا يذكر به في كل مناسبة يقتضيها السياق بأسلوب متنوع وتصوير مختلف لتذكير الناس بالصراع الدائم بين الخير والشر وضرورة الثبات والتضحية والتمسك بالحق كما كان شأن موسى ويوسف عليهما السلام.

بينما نجد القرآن الكريم في بعض الأحيان يكتفي بآيتين للقصة كلها طاويا المراحل الطويلة بين الأحداث، كقوله تعالى في سورة العنكبوت وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَاماً فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ[3]، وكذلك مع إبراهيم في قوله تعالى:(وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَاناً وَتَخْلُقُونَ إِفْكاً إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ [4]، غير أن قصة نوح وإبراهيم ذكرتا بنوع من التفصيل في سياقات تقتضي ذلك، وأحيانا أخرى يكتفي القرآن بالإشارة إلى عاقبة القوم الذين كذبوا أنبياء الله ورسله إليهم كقوله تعالى:(أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ[5] و كذلك في قوله:(كَذَّبَتْ

---

[1]- سورة يوسف، الآية 3.
[2] - مأخوذ من كتاب البلاغة المقرر في وزارة التربية والتعليم .
[3] - سورة العنكبوت الآية 14.
[4] - سورة العنكبوت الآية 17.
[5] - سورة الفجر الآية 8.

ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ * فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ * وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ * سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ * فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ [1]، إلى قوله تعالى: (وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ * فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً [2]، من هنا يتبين لنا أن القرآن الكريم اتخذ القصة وسيلة لإثبات النبوة وخدمة الأهداف الدينية التي ترتكز على إفراد الله تعالى وحده بالعبادة والتوحيد وللعبرة والاتعاظ من أولئك الذين قص الله علينا قصصهم ولذلك اكتفى بذكر الجوانب التي تصلح لتأدية تلك الأغراض حسب السياقات والمعارض التي تعرض فيها بأسلوب في غاية الفصاحة ولمسة فنية وجمالية يقصدها القرآن قصدا باعتبار أنه يخاطب الوجدان والعاطفة والعقول فيكون التأثير العاطفي سببا وطريقا للتأثير في العقل والقلب، وهذه من أهم الميزات التي يتميز بها القصص القرآني ونادرا ما نجد القصص القرآني ينزل بالوصف إلى الدقائق والتفاصيل، بل يرتقي بالوصف دائما إلى ما هو عام ومجرد، ففي مثل قوله تعالى:(قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي [3]نجد وصفا دقيقا لحال الغضب التي سيطرت على سيدنا موسى عليه السلام نادرا ما يكرره القرآن في قصصه، وهذا يمنح الوصف قدرة فائقة على احتواء التفاصيل والدقائق الكثيرة وهو يتعالى عنها دوما ويضمها إليه فلا تخرج عن إطاره وهذا هو مفهوم الهيمنة الذي يتميز به القرآن الكريم، فلو تأملنا قصة سيدنا يوسف عليه السلام لوجدنها تحتوي مقدارا عظيما من هذه التفاصيل التي لا بد منها، فنجد مثلا حياة سيدنا يوسف والظروف السياسية والاقتصادية التي أحاطت بالحضارة الفرعونية القديمة، وأهم المعايير الاجتماعية والثقافية التي سادت فيها بالإضافة إلى حوادث تاريخية مهمة كالمجاعة والوصف النفسي والاجتماعي لإنسان ذلك العصر، زيادة على كون يوسف حلقة في مسار النبوة وانفراده بتأويل الأحاديث وغير ذلك من التفاصيل الكثيرة التي أفردتها القصة في وصف بليغ ومعجز وموجز.

فالوصف القرآني يتجه دائما إلى الإيجاز ليهيمن على التفصيل والزمن والحدث، فيكون الحادث نفسه أو القصة نفسها واقعة ضمنه لا يمكنها أن تخرج عنه ومن المستحيل أن تنقلب هذه الظاهرة فيسيطر التفصيل على الوصف، ولذلك يجيء الخطاب حاملا لنفس الميزة وهي المسافة التي يتركها القرآن بين آيتين أو حدث يتلوه حدث، حيث نجد مثلا أن القرآن ينتقل من حدث الرؤية في قصة سيدنا يوسف إلى المكر من طرف إخوته إلى وصوله إلى مصر في أربعة عشرة آية فقط [4]، بينما لو

---

[1] - سورة الحاقة الآية (5 – 8).
[2] - سورة الحاقة الآية (9 – 10).
[3] - سورة طه الآية 94.
[4] - سورة يوسف الآيات (8-21)

كان لكاتب أن يفعل ذلك لما تمكن إلا في صفحات كثيرة، وهذا يرجع إلى تلك المسافة التي يتركها القرآن بين الأحداث فهو لا يذكرها بالتفصيل بل يهيمن عليها بصورة شاملة حيث يؤدي ذلك إلى تحقيق خاصية الإيجاز السابقة، فالفراغ بين الآيات والأحداث هي التي تؤدي إلى تحقيق الهيمنة في القصص القرآني، وهذه الميزة لها أهميتها الخاصة إذ تسمح لذهن القارئ بالتفاعل مع القصة بملء هذه الفراغات بين الآيات والحوادث بتفصيلات عدة وبحث مستمر فيمكنه أن يتخيل الأحداث بين الحدثين المهمين مما يؤدي به إلى تكوين قصة في ذهنه يفهمها ويحسها، ومجمل التفاسير لوجود خصيصة الإيجاز في القرآن لا تفعل شيئا سوى أنها تؤدي إلى توضيح تلك الصورة أكثر فأكثر وملء الفراغات بما هو مناسب.

والفراغ يؤدي إلى أمر آخر وخاصية أخرى مهمة وهي الحرية التي تتميز بها القصة القرآنية وتمنحها للذهن كي يتفاعل مع القصة أو الموضوع بصورة إيجابية، ولو تأملنا القرآن نجد أن هذه الخاصية مبثوثة فيه، فالفراغات في آيات الأحكام مثلا هي التي تمنح للمجتهد والفقيه الحرية والقدرة على استنباط الأحكام منها فالفراغات هنا ذات طبيعة معرفية تحث الذهن على البحث والمناقشة والاستنتاج لاستصدار حكم معين في المواريث أو الغسل أو الفرائض أو غيرها من الأحكام، أما في القصة فهي ذات طبيعة تخيلية ومعرفية في الوقت نفسه تتيح للذهن المشاركة في بناء القصة عن طريق التخيل والبناء خاصة وأن القصة القرآنية لا تفرض نمطا معينا أو تفصيلات معينة فهي تنأى بنفسها عن ذلك إذ لا نجد مثلا شكل اللباس الذي كان عليه في العصر الذي تحدث فيه القصة أو اللغة التي يتحدث بها أناسها أو طريقة تصرفهم أو غير ذلك من التفاصيل التي نجدها في القصة الإنسانية مما يجعل الذهن في حركة دائمة وفاعلة لاستنتاج القصة الكاملة، وبهذا فالذهن الذي تخاطبه القصة القرآنية ليس هو الذهن العاجز المكتفي بما يقال له والقنوع بما هو مطروح عليه، ولكنه الذهن الفاعل المبتكر الذي لا يقنع بما يعطى له بل يغامر في المجهول بحثا عن الهدف والحقيقة.

2/ التكرار الهادف والمعجز في القصة القرآنية:

إن القصة تمثل جزءًا كبيرًا من القرآن الكريم وتحمل كل خصائصه وسِماته العامة منها الإعجاز، فوجوه الإعجاز التي تجدها في سائر القرآن الكريم تجدها في القصص، لكن القصص يزيد على ذلك بوجوه أخرى تميزه عن غيره فمن تلك الوجوه التكرار الهادف حيث تجـد في كل موطن من العبر واللطائف والإشارات ما لا تجده في نفس القصة في موطن آخر، فإذا نظرنا في القصة القرآنية من حيث عدد المرّات التي وردت فيها وظهور العناصر الفنية فإننا نجد أنّ هناك قصصاً وردت مرةً واحدة وفيها عناصر القصة الفنية من شخصية وحدث وزمان ومكان وحوار مكتملة ومستوفية كقصة يوسف عليه السلام وقصة ابني آدم وقصة أصحاب الكهف وقصة صاحب الجنتين وقصة ذي القرنين وقصة أصحاب القرية

وقصة أصحاب الجنة. كما نجد قصصاً تكرر ورودها في مواضع مطوّلة وأخرى أقلّ طولاً كقصة سيدنا آدم عليه السلام التي وردت مفصّلة في سورة البقرة[1] وسورة الأعراف[2] ووردت حلقات مطولة تكشف عن بعض جوانبها في سورة الحجر[3] الإسراء[4] وطه[5] وص[6] كما وردت إشارات عنها في سورتي آل عمران[7]والكهف[8].

والتكرار بمعنى ذكر الشيء مرة بعد مرة وأكثر ما يتحقق في ذلك المفهوم أن يعاد ذكر الشيء بلفظه أو مرادفه من غير أن يكون هناك جديد في الإفادة، وهذا المعنى لا يتحقق في القصص القرآني الكريم.

فالتكرار نوعان: صوري وحقيقي فالأول هو الواقع في القرآن الكريم لأن ظاهره التكرار وحقيقته ليس فيه أيُّ تكرار، والثاني يستحيل وقوعه في القرآن الكريم. ونفي التكرار عن القرآن للإيمان المطلق بأنه كلام الله عزّ وجلّ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وليس هذا فحسب بل لا وجود للتكرار أصلا وهذا ما يمليه الإنصاف العلمي. وما لهذه الخصيصة من تميز وظهور فقد أفردنا الحديث عنها لبيان المراد بإطلاق التكرار في القرآن وبيان مغازيه وأهدافه التي تزيده سموا ورفعةً وبيان تلك الروعة القرآنية ومن العلماء من يقرّ بوجود التكرار في القصة " فقد تتكرر القصة الواحدة في القران الكريم ولكن في تكرارها فوائد في كل واحد منها لا توجد في الأخرى من غير تعارض لأنها لما كانت منزلة لأجل العبرة والموعظة والتأثير في العقول والقلوب فلذلك اختلفت أساليبها بين إيجاز وإطناب وذكر في بعضها من المعاني ما ليس في البعض الآخر حتى لا تمل للفظها ولا لمعانيها"[9]."تعرض القصة ما يلائم موضوع السورة، فإن هذا يقتضي تكرار عرض القصة في أكثر من سورة سواء أكان عرضا كاملا مختلفا عن العرض الأول أم عرضا جزئيا "[10]. ومن العلماء من ينكر وجود التكرار في القصة القرآنية " ويحسب أناس أن هناك تكرارا في القصص القرآني لأن القصة الواحدة قد يتكرر عرضها في سور شتى ولكن النظرة الفاحصة تؤكد ما من قصة أو حلقة من قصة قد تكررت في صورة واحدة من ناحية القدر الذي يساق وأنه حيثما تكررت

---

[1] - سورة البقرة الآية 30-39.
[2] - سورة الأعراف الآية 10-25.
[3] - سورة الحجر الآية 26-44.
[4] - سورة الإسراء الآية 61-65.
[5] - سورة طه الآية 115-127.
[6] - سورة ص الآية 67-85.
[7] - سورة آل عمران الآية 59.
[8] - سورة الكهف الآية 50-51.
[9] - عبد الكريم زيدان، المستفاد من قصص القرآن الكريم للدعوة والدعاة ، مؤسسة الرسالة ،بيروت،ط 1، 1998، ج 1 ص 6.
[10] - فهد عبد الرحمن الرومي، دراسات في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص 611.

حلقة كان هناك جديد تؤديه ينفي حقيقة التكرار"[1]. ومن هنا يمكننا أن نفهم أهداف التكرار في ضوء الحِـكَـم والأسرار التالية:

* إذا تكررت القصة الواحدة فإنما هو لفائدة اشـتمل عليهـا كـل موضع خلت منها المواضع الأخرى، فعصا موسى عليه السلام في سـورة طه وصـفَـها الحقُ سبحانه بأنـها: (حيةٌ تسـعى) وفـي سـورة الأعـراف: (ثعبانٌ مبينٌ) وفي سورة النمـل:(تهـتز كأنهـا جـان) فهـي حيـة باعتبـار خفتها ونشاطها وسرعة حركتها، وثعبان من حيث ضخامتها، و كأنها جـان لكونها مرعبة.

* أن القصة المكررة تكون متجهة إلى هدف غير الهدف الذي تتجـهُ إليه القصة فـي مواضـع أخـرى أو تـتحــدث مـن جهـةٍ غيـر الجهـة الـتي تعرضت إليها فـي مواضـع أخـرى وذلـك نظـرا لأن القـرآن كتـاب هدايـة وعبرة وليس كتاب سرد تاريخي ولا متعـة أدبيـة فارغـة فتكـون القصـة وسيلة لتحقيق تلك الأهداف المتعددة متجهة نحو الغـرض الـذي سـيقت من أجله.

* المعالجة الحكيمة للنفوس بترسيخ العقيدة والمفاهيم الصحيحة في عقول المدعوِّين عن طريق التكرار في قالب القصص الواقعي الجذاب، فقد قرر علـم النفـس الحـديث أن الشـيء يرسـخ فـي النفـس بتكـراره مرارًا مالا يرسخ بعرضه مرة واحدة أو مرتين لاسيما إن كان جديدا تنفر منه طبائع المشركين، وتشذ عنه عادات الجاهلين.

* إن عرض الحادثة الواحدة في أساليب كثيرة متلونـة وصـور بيانيـة متـنـوعة دون أن يختـل نظامه أو يضطرب معناه أو تتفكك روعته أو يضعف مستواه لهو مما يعجز عنه أبلغ الفصـحاء، وفـي هـذا المعنـى يقـول الإمـام الباقلاني رحمه اللـه تعـالى فـي كتـابه إعجـاز القـرآن: " إن إعـادة القصـة الواحدة بألفاظ مخـتـلفة لتؤدي معنى واحدًا هي مـن الأمـور الصـعبة الـتي تظهر فيها الفصاحةُ وتَتبيّنُ فيها البلاغةُ "[2].

* إن القرآن الكريم كما تحدَّى فصحاء العرب بتنـوع أسـاليبه الكـثيرة تحدّاهم كذلك بمحاكاة أسلوب واحد من أسـاليبه الكـثيرة ولـون واحـد مـن ألوانه العجيبة فعجزوا خاسـئين وفـي هـذا المعنـى يقـول الإمـام البـاقلاني رحمه الله تعالى في كتابه إعجاز القرآن : " ونبهوا بذلك على عجزهم عن الإتيان بمثله مبتدأ ومكررً وكـم مـن سـرٍ بلاغـي وحكمـةٍ ومغـزًى ودلالـةٍ تكمن وراء ظاهرة التكرار يحسبه الفارغون فراغًا وما هو بفراغ "[3].

* من أهداف التكـرار مـا هـو تعليمـي حينمـا يكـون لحِكَـم دَعْوِيَّـة وإرشادية وعِلْمية بأسلوب التنويـع فـي ضـروب البلاغـة وأسـاليب البيـان

---

[1] - سيد قطب : في ظلال القران الكريم ، ج 1 ص 55

[2] - أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، إعجاز القرآن، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، ط 1،
ج 1، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، 1406هـ، ج 1، ص 94 .

[3] - المصدر نفسه، الصفحة نفسها .

فإنّ التكرار مع هذا الإعجاز بالتنويع قائم وحاصل وهو أبلغ في الإعجاز مما لو كان لمجرد إظهار البراعة المعجزة في التنويع ولو اشتملت بعد ذلك على حِكم ولطائف فالإعجاز في القرآن قائم كيفما توجهت الأهداف، ومهما تنوعت الأساليب وضروب البلاغة في القرآن تبعاً للمعاني حيثما حلَّقت، وإن كان كلٌ من المعاني الإرشادية والضروب البلاغية في القرآن الكريم لا ينفكُّ عن الآخر، لكنَّ عرض الحكمة والمقصد من التكرار يختلف من أسلوب لآخر وهذا مما يزيد في إظهار جلالة القرآن وقداسته، ويفصح عن دقة بلاغته، وبديع بيانه، وجديد روعته، ويكونُ أدحضَ لشبهِ المستشرقين، وافتراءاتِ المدَّعين.

ففي القرآن الكريم نجد أن القصة الواحدة قد تتكرر في مواضع كثيرة، وهي الحرية التي يمنحها القرآن للذهن في القصة الواحدة أو الموضوع الواحد ليقودنا إلى إدراك المعنى الكلي للقرآن، فكما أن الفراغ بين الآيتين يتيح للذهن ملأه بمعرفة ثالثة كذلك القصص والموضوعات المتكررة تتيح للذهن أن يفعل ذلك ليس في الموضوع الواحد أو القصة الواحدة إنما في القرآن ككل، فيكون بإمكان الذهن عند ملء الفراغ بين الآيات سواء أكانت بالمقارنة أم بغيرها من الأساليب أن ينشئ الربط المناسب بين الآيات وهذا يؤدي بالذهن إلى التطور عبر القرآن الكريم كاملاً وليس التطور عبر قصة واحدة أو موضوع واحد، حيث تكون في نفس المعنى الذي تهدف إليه السورة بشكل عام، فلا تخرج عنه على اعتبار الوحدة مفهوما أساسيا في القرآن الكريم مصداقا لقوله تعالى :(أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً[1]. كذلك يؤدي هذا التعدد في زوايا القص إلى جعل السورة ميدانا للتدبر وليس التسلية لأن الذهن عندئذ يكون منفعلا ومصدوما ومتسائلا، فالقصة ليست معطاة مرة واحدة وهي مبثوثة في كامل القرآن وعلى الذهن أن يبحث عنها ويوظف قدراته لأجل ذلك لئلا يركن إلى الدعة والراحة والاستسلام.

3/ تنوع طرق العرض في القصة القرآنية :

تتنوع الطرائق لعرض القصة في القرآن الكريم حيث يعجز الإنسان مهما أوتي من البيان عن التنويع في قصة واحدة بضروب من الفصاحة دون أن تظهر عليه علامات الضعف أو الركاكة أو التفكك أو التكلف، منها :

الطريقة الأولى : ذكر ملخص القصة ثم الدخول في التفاصيل يسرد القصة من أولها إلى آخرها كما جاء في قصة أهل الكهف وسورة يوسف.

الطريقة الثانية : ذكر عاقبة القصة ومغزاها ثم الدخول والابتداء بالقصة مثل قصة يوسف عليه السلام بدأت بالرؤيا ثم تبدأ القصة بعد ذلك حتى النهاية.

---

[1]- سورة النساء الآية 82.

الطريقة الثالثة : ذكر القصة مباشرة وبدون مقدمة أو تلخيص ومثال ذلك قصة مريم عند مولد عيسى عليه السلام وقصة سليمان مع النمل والهدهد وبلقيس.

الطريقة الرابعة : تحويل القصة إلى تمثيلية تبدأ بالعرض ثم يدع القصة تتحدث عن نفسها بواسطة أبطالها ومثال ذلك قصة إبراهيم وإسماعيل في بنائهما للكعبة.

4/ تنوع طرق المفاجأة في القصة القرآنية:

أحيانا تكتم القصة سر المفاجأة عن البطل والقارئ حتى تكشف لهم معاً في آن واحد مثال ذلك قصة موسى عليه السلام مع العبد الصالح في سورة الكهف.

ومرةً تكشف السر للقارئ وتترك أبطال القصة في عمى وغالبا ما يكون هذا في موضع السخرية يقول تعالى في قصة أصحاب الجنة .إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ* وَلا يَسْتَثْنُونَ * فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ * فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ [1].

مرةً تكشف السر للقارئ فهو خافٍ على البطل في موضع وخافٍ على القارئ والبطل في موضع آخر في القصة الواحدة مثال ذلك قصة عرش بلقيس الذي أحضر في غمضة عين حيث عرفنا نحن أنه بين يدي سليمان في حين ظلت بلقيس تجهل ما نعلم ولكن مفاجأة الصرح الممرّد من قوارير ظلت خافية علينا وعليها حتى فوجئنا بسرها معا.

قد لا يكون هناك سر بل تواجه المفاجأة البطل والقارئ في آن واحد مثل قصة المخاض لمريم العذراء.

5/ الواقعية التاريخية للقصة في القرآن الكريم:

وهي أن كل ما في قَـصص القرآن الكريم من أخبار الأولين هي حقائق تاريخية صادقة لا يرفضها عقل ولا يخالفها نقل سواء أكان من أخبار الأنبياء مع أقوامهم أم ما كان من قبيل المعجزات وخوارق العادات كانفلاق البحر وكلام الهدهد والنملة وليس فيها أي نوع من التناقض أو الاختراع ولا أي شكل من أشكال الخيال أو التصوير المجرد عن الحقيقة ولا أي صورة من صور الرمز أو الإشارة وغير ذلك، كما في قوله تبارك وتعالى : (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُون [2].

6/ الشمولية المطلقة للقصة في القرآن الكريم،

قصص القرآن الكريم شاملة من عدة جهات:

أ - شملت القصة في شخصياتها جميع المخلوقات البشرية كالرسل والأنبياء وهم الشخصيات الرئيسة ومحاور معظم القصص، وغير البشرية

---

[1] - سورة القلم الآية 20.

[2] - سورة يوسف الآية 111.

كالملائكة في قصة خلق آدم عليه السلام، كما شملت القصة شخصية إبليس، وذلك كلٌ حسب خصائصها وطِباعِها ووجهاتها ومكامن شعورها .
ب - الشمولية في تـنـويع الأساليب والوسائل الملائمة لكل جنس وطبقة ولون فأحيانا تتخذ الخطاب المباشر كما في بعض أجزاء قصة موسى عليه السلام وقصة يوسف عليه السلام حيث روى ربّ العزّة قصتهما مباشرة، وأحيانا تتخذ الحوار أسلوبا ووسيلة كما في قصة موسى عليه السلام مع الرجل الصالح، وقصة خلق آدم عليه السلام في أساليب تربوية وتعليمية وتقريرية.
ج – الشمولية من حيث الزمن، فالقصة القرآنية تخبر عن قصص ماضية دارسة صـدَّقـهـا أهل الكتاب ومنها إخبارها عن قصص مستقبلية غيبية لا ندري عنها شيئا، ومنها ما صدقتها الأيام وحدثت في وقت متأخر.
د – الشمولية من حيث موضوعاتها، فالقرآن الكريم يشمل كل الموضوعات كذلك يوجد في قصص القرآن الكريم شمولاً لكل تلك الموضوعات من عقائد وعبادات وأخلاق وآداب اجتماعية واقتصادية وسياسية .

وهكذا نرى أن من يقرأ القرآن الكريم لابد أن يتذوق حلاوته وأن يستمتع بأسلوبه المعجز الذي أذهل العرب فلو اجتمع كُتّاب القصة من المشرق إلى المغرب لما استطاعوا أن يأتوا بما جاء به القرآن الكريم من رسم للشخصيات ومن أحداث، "لذلك بقي القرآن الكريم منذ نزوله وحتى الآن مصدر إلهام الكثير من الكُتّاب والشعراء في إثراء أفكارهم الأدبية"[1].

[1]- محمد ناجي مشرّح ، الآفاق الفنية في القصة القرآنية، مرجع سابق، ص 48.

الفصل الثالث

عناصر قصة سيدنا موسى عليه السلام

المبحث الأول : مفهوم قصة سيدنا موسى عليه السلام

المطلب الأوّل : التعرف على قصة سيدنا موسى عليه السلام

المطلب الثاني : السور التي وردت فيها قصة سيدنا موسى عليه السلام

المطلب الثالث : ملخص قصة سيدنا موسى عليه السلام

المطلب الرابع : أهداف قصة سيدنا موسى عليه السلام

المطلب الخامس : منهج المفسرين في تناول قصة سيدنا موسى عليه السلام

أ- الترتيب حسب المصحف الشريف

ب- الترتيب حسب النزول

المطلب السادس : أهمية دارسة قصة سيدنا موسى عليه السلام

المبحث الثاني : عناصر قصة سيدنا موسى عليه السلام

المطلب الأوّل : الحوادث في قصة سيدنا موسى عليه السلام

المطلب الثاني : الشخصيات في قصة سيدنا موسى عليه السلام

المطلب الثالث : المغزى في قصة سيدنا موسى عليه السلام

المطلب الرابع : الحوار في قصة سيدنا موسى عليه السلام

المطلب الخامس: المكان والزمان في قصة سيدنا موسى عليه السلام

المطلب السادس: الحبكة الفنية في قصة موسى عليه السلام

المبحث الثالث : خصائص قصة سيدنا موسى عليه السلام

المطلب الأوّل : التكرار في قصة سيدنا موسى عليه السلام

المطلب الثاني : تنوع طريقة العرض في قصة سيدنا موسى

المطلب الثالث : تنوع عرض المفاجأة في قصة سيدنا موسى عليه السلام

المطلب الرابع : الواقعية التاريخية في قصة سيدنا موسى عليه السلام

المطلب الخامس : الإعجاز القصصي في قصة سيدنا موسى عليه السلام

المبحث الأول: مفهوم قصة سيدنا موسى عليه السلام

مدخل:

أرسل الله تعالى سيدنا موسى عليه السلام وأخاه هارون إلى فرعون وقومه وأيده بمعجزتين إحداهما هي العصا التي تلقف الثعابين، أما الأخرى فكانت يده التي يُدخِلُها في جيبه فتخرج بيضاء من غير سوء، دعا موسى إلى وحدانية الله فحاربه فرعون وجمع له السحرة ليكيدوا له ولكنه هزمهم بإذن الله تعالى، ثم أمره الله أن يخرج من مصر مع من اتبعه من بني إسرائيل فطاردهم فرعون بجيش عظيم، ووقتَ أن ظنّ أتباعُه بأنهم مُدرَكون أمره الله أن يضرب البحر بعصاه لتكون نجاتُه وهلاكُ فرعونَ الذي جعله الله عبرة للآخرين.

التعرف على قصة سيدنا موسى عليه السلام

ما ذكره القرآن الكريم من أخبار إنما هي وثيقة تاريخية لا تشوبها شائبة في صدقها وانطباقها على الواقع الصحيح، لأننا مسلمون ومسلّمون بأن كلام الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. وإنّ القصة في الأسلوب الأدبي الفني لا بدّ أن تشتمل على خيال رائع ومؤثر بحيث يتحقق فيها عنصر الإثارة والتشويق والتأثير، فقصّة سيدنا موسى عليه السلام قصة حقيقية هادفة وذات غاية سامية ملتزمة وفعّالة حيث ارتقى بها القرآن الكريم إلى الآفاق العليا في فضاء القصة والإبداع واعتمدها وسيلةً إلى الدعوة إلى الله وسلاحاً لمناهضة أعداء الإسلام وأداةً للتوجيه والإرشاد ومطيةً للتربية والتعليم، لذا فإن خصائصها تخضع لخصائصَ غير التي تخضعُ إليها القصة البشرية ومقاييسها المعروفة في إنتاج الأدب البشري، من حيث التكرار وطريقة تنوع العرض وطريقة عرض المفاجأة .

السور التي وردت فيها قصة سيدنا موسى عليه السلام

وردت قصة سيدنا موسى عليه السلام في عدد من سور القرآن الكريم موزعة في غير ترتيب تطول أحيانا وتقصر أحيانا أخرى وأحياناً تقتصر على الإشارة فقط، على قدر المغزى الديني الذي تؤديه، ففي سورة القصص وصفٌ مفصّلٌ لما قبل ولادته عليه السلام حتى هروبه ورجوعه وتلقّي الرسالة ثم نتيجة الحوار مع فرعون وانتهت بغرقه، وفي سورة طه نجد إجمالاً وفيها لمحة لبداية الرسالة، وفي سورتي البقرة والأعراف النجاة من آل فرعون مع التركيز على سنوات التيه، وفي سورة الكهف القصة الكاملة مع العبد الصالح، وهكذا نجد القصة متناثرة في سور القرآن الكريم في سورة المائدة وص ويونس وهود وإبراهيم والإسراء والمؤمنون والشعراء والنمل والنازعات والصافات والزخرف وغافر والدخان, فقد اختصّت كل سورة بجزئية معينة تحمل مجموعة من العبر والعظات. فقصة موسى هي القصّة التي أخذت حيزا واسعا بين قصص القرآن الكريم

حيث اعتبرها المفسرون" أطول قصة وردت بكمالها وتمامهـا فـي القـرآن الكريم"[1].

ملخص قصة سيدنا موسى عليه السلام

في أول سورة القصص التي تبدأ بقوله تبارك وتعالى:(طسم * تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ * نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ [2]. وصفٌ للمسرح الذي تجري فيه أحداث القصة مُهِّد لها بظلم فرعون وصلفه وتعاليه على أهل مصر وجعل الناس شيعا يستضعف طائفة منهم يذبّح أبناءهم الذكور منهم ويستحي نساءهم ويستبيح أعراضهم، " وفي هذا الجو الكئيب الذي وصفه رب العزة بالبلاء العظيم كان مولد سيدنا موسى عليه السلام أول نبي من بني إسرائيل إبان اضطهاد فرعون بني إسرائيل"[3] " الذين هم من سلالة نبي الله يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الله وكانوا إذاك خيار أهل الأرض، أثناء حياة يوسف عليه السلام بمصر، تحولت مصر إلى توحيد الله سبحانه وتعالى وهي الرسالة التي كان يحملها جميع الرسل إلى أقوامهم لكن بعد وفاته عاد أهل مصر إلى ضلالهم وشركهم، أما أبناء يعقوب أو أبناء إسرائيل فقد اختلطوا بالمجتمع المصري فضلّ منهم من ضلّ، وبقي على التوحيد من بقي وتكاثر أبناء إسرائيل وتزايد عددهم واشتغلوا في العديد من الحرف ثم حكم مصر ملك جبار كان المصريون يعبدونه ورأى هذا الملك بني إسرائيل يتكاثرون ويزيدون ويملكون وسمعهم يتحدثون عن من سيأتي ويخلصهم من جبروته"[4]، وقيل: "إن فرعون رأى يوما في منامه كأن نارا قد أقبلت من نحو بيت المقدس فأحرقت دور مصر وجميع القبط ولم تضر بني إسرائيل، فلما استيقظ هاله ذلك فجمع الكهنة والجزأة والسحرة والعرافين وسألهم عن ذلك، فقالوا له: بأن زوال ملكه وهلاك أهل مصر على يد مولود من بني إسرائيل، لذلك عمد إلى قتل أولادهم خشية أن يكثر عددهم وتقوى شوكتهم فينتزعوا ملكه، فشكا القبط إلى فرعون قلة ولدان بني إسرائيل الذين كانوا يستعملونهم كأيدي عاملة، وحفاظا على ملكه أمر بقتل المواليد في عام وتركهم في عام، فكان مولد سيدنا موسى في عام القتل ومولد سيدنا هارون في عام السماح فنجا من القتل، أما سيدنا موسى فقد أوحى الله

---

[1] - محمد بن إسحاق، المبتدأ في قصص الأنبياء، ط 1، مؤسسة الانتشار العربي،بيروت 2006م ص 201.

[2] - سورة القصص، الآيات 1-6.

[3] - ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ط 2، دار المعرفة، بيروت، 1987م ج 1 ص 599.

[4] - فضل حسن عباس، قصص القرآن الكريم، مرجع سابق، ص 128.

تعالى إلى أمه بعد أن خافت عليه أن تلقيه في اليم "[1]، في قوله تعالى : (إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى * أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي [2]، وبعد أن رمته أمه في النيل أرسلت أخته لتتبع أثره وهي تراقبه حتى التقطه آل فرعون وأدخِلَ القصرَ، وما أن رأته امرأة فرعون حتى ألقى الله تعالى محبته في قلبها فقالت لا تقتلوه قرة عين لي و لك، في قوله تبارك وتعالى: (وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ [3]، قال البعض : "إن زوجة فرعون لم تنجب ولدا ذكرا، فلذلك قالت : كما جاء في قوله تعالى: (عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً "[4]. ولكن قلب الأم الحقيقية أصبح فارغا " من كل أمور الدنيا إلا من موسى وهي مشغولة بابنها" [5]، وكادت أن تبوح بأمره وتسأل عنه جهرةً لولا أن أنزل الله سكينته عليها أن لا تخافَ ولا تحزنَ فسوف يرده إليها سالما، وكان من تقدير الله تعالى لسيدنا موسى الرضيع أن لا يقبلَ أيَّ ثدي " مما جعل أهل القصر في حَيرة تمهيدا لقبول أي مرضعة تقدُم عليهم، هنا تتقدم أخته التي كانت ترقبه لتدلهم على أهل بيت يكفلونه، فقالوا لها فما يدريك بنصحهم له ؟ قالت: رغبة في صهر الملك ورجاء منفعته، وما كان أهل هذا البيت إلا أمه الحقيقية تنفيذا لما وعد الله تبارك وتعالى أن يرده إليها سالما، فأخذته أمه فلما أرضعته التقم ثديها وأخذ يمتصه ففرحت آسيا زوجة فرعون بذلك فرحا شديدا وعرضت عليها أن تبقى عندها وتحسن إليه فأبت وقالت إن لها بعلا وأولادا ولا تقدر على ذلك إلا أن ترسله معها، فجُعلت له رواتب ونفقات وكساوي وهبات، فرجع موسى إلى أمه لترضعه تحت سمع فرعون وبصره بعد أن نجا من الذبح "[6].

وهكذا نشأ موسى في قصر فرعون" نشأة أبناء الملوك والأمراء فتىً قوياً وآتاه الله حكماً وعلماً، وكان على خُلُقٍ كريم ليس كأبناء الأغنياء المُترَفين، ولم يغب عن باله إنه من بني إسرائيل دخيل على قصر فرعون فلذلك كان ظهيرا لهم"[7]، لم يُشِر القرآن الكريم إلى تلك الحقبة من حياة موسى عليه السلام وكيف كانت طفولته وصباه إلى أن تعارك أحدُ الفراعنة المصريين مع أحد الإسرائيليين فوكز موسى المصريَّ فمات على

---

[1] - أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير، صحيح قصص الأنبياء، ط 2، غراس للنشر والتوزيع، الكويت، 2002م،ج 2 ص 268.

[2] - سورة طه الآيات 38 – 39.

[3] - سورة طه القصص الآية 9.

[4] - سيف الدين الكاتب ، قصص الأنبياء،مرجع سابق، ص 12.

[5] - ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم،ج 3، مرجع سابق ، ص 393.

[6] - أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير، صحيح قصص الأنبياء،مرجع سابق، ص 272.

[7] - فضل حسن عباس، قصص القرآن الكريم، مرجع سابق، ص 135

أثرها فندم على فعله وأصبح في المدينة في اليوم التالي خائفا يترقب، بينما هو كذلك فإذا بالرجل الإسرائيلي الذي استنصره بالأمس يستغيثه على مصريٍّ آخرَ فعنّفه موسى ولامه على كثرة شرِّه ولمّا أقبل عليه وأراد أن يبطشَ بالمصري ذكّره بما فعله بالأمس وقال له لا تريد إلا أن تكون جبارا في الأرض، وقال بعضهم: " إنما قال هذا الكلام الإسرائيلي وذلك لمّا رأى موسى مقبلا عليه معنِّفا اعتقد أنه جاء إليه، فسمع القبطيُّ المصريُّ ما قاله موسى فذهب وحرَّض فرعون على موسى"[1]. ثم فرّ إلى مدين خوفا من فرعون أن يبطشَ به بعد أن جاءه رجل ونصحه بالخروج من المدينة وألاّ يرجع إلى القصر ، لم يذكر القرآن الكريم اسم الرجل الذي جاء يحذر موسى "ومن المرجّح أنه كان رجلا مصريا من ذوي الأهمية ومن مستويات عليا، فقد اطلع على مؤامرةٍ تُحاكُ ضد موسى ، ولو كان شخصية عادية لما عرف الرجل أن موسى لم يكن يستحق القتل على ذنبه بالأمس لقد قتل الرجل خطأ فيجب أن تكون عقوبته السجن على أقصى تقدير"[2]، فلما وصل إلى ماء مدين وكان الرعاة يسقون مواشيهم وجد فتاتين تقفان بعيدا بأغنامهما حتى يفرغ المكان ثم تسقيان" وذلك إن الرعاة كانوا إذا فرغوا من ورودهم وضعوا على فم البئر صخرة عظيمة فتجئ هاتان المرأتان فيشرعان غنمهما في فضل أغنام الناس، فلما كان ذلك اليوم جاء موسى عليه السلام فرفع تلك الصخرة وحده فسقى لهما ثم رد الصخرة كما كانت " ثم آوى إلى الظل ليستريح قليلا وهو في قمة الضغط النفسي فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ[3]لم يُشِرِ القرآن الكريم إلى الفجوة بين ذهاب الفتاتين إلى أبيهما والحوار الذي دار بينهم ورجوع إحداهما، ويمكن أن نتخيل أن الفتاتين عادتا إلى أبيهما الشيخ سأل الأب: عدتما اليوم سريعا على غير العادة، قالتا تقابلنا مع رجل كريم سقى لنا الغنم، وإلاّ لما قال الأب لابنته اذهبي إليه، في قوله تعالى: (فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ القَصَصَ قَالَ لاَ تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ القَوْمِ الظَّالِمِينَ [4].فذهبت إحدى الفتاتين إلى موسى عليه السلام ووقفت أمامه في حياء وأبلغته رسالة أبيها،" فنهض موسى وبصره في الأرض، فإنه لم يسق لهما ليأخذ منهن أجرا وإنما ساعدهما لوجه الله، ربّما أحسَّ في داخله أن الله هو الذي يوجه قدميه فنهض فسارت البنت أمامه فهَبَّتِ الرياحُ فضربت ثوبَها فخفض موسى بصره حياءً وقال لها سأسير أنا أمامَكِ ووجهيني أنتِ إلى الطريق حتى وصلا إلى الشيخ"[5] قال بعض المفسرين "إن هذا الشيخ هو النبي شعيب

---

[1] - ابن كثير الدمشقي،صحيح قصص الأنبياء، مرجع سابق،ج 2 ص 275.
[2] - إدريس وهنا، مجلة منار الإسلام، العدد 24، المدينة المنورة، 1424هـ، ص 34.
[3] - سورة القصص الآية 24.
[4] - سورة القصص، الآية 25.
[5] - ابن كثير، قصص الأنبياء،مرجع سابق، ص 278.

عمّر طويلا بعد موت قومه وقيل إنه ابن أخي شعيب وقيل ابـن عمـه وقيـل رجل مؤمن من قوم شعيب الذين آمنوا به"[1] لا نعرف أكثر من كـونه شـيخا صالحا ولم يكشف القرآن الكريم عن شخصية الشيخ والأرجحُ إنه ليس نبيَّ الله شعيب وإلاّ لأشار القرآن إلى ذلك فـي قصـة سـيدنا شـعيب. قـدَّم لـه الشيخ الطعام وسأله من أين قـدم وإلـى أيـن سـيذهب حـدّثه موسـى عـن قصته فطمأنه الشيخ فهذه البلاد لا تتبع لمصر ولن يصلوا إليك. هنـا اطمـأن موسى ونهض لينصرف، قالت ابنة الشيخ لأبيها همسا في قوله تعـالى :(يَـا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِيـنُ[2]، قـال البعـض "إنّ الأب سأل ابنته : كيف عرفت أنه قويٌّ أمين، قالت: رفع صخرة وحده لا يرفعهـا غير عدد من الرجال، وأمين لأنه رفض أن يسير خلفي وسار أمامي حـتى لا ينظر إليّ وأنا أمشي وطوال الوقت الذي كنت أكلمه فيـه كـان يضـع عينيـه في الأرض حياءً وأدبا"[3]، وعاد الشيخ لموسى وقال لـه: أريـد يـا موسـى أن أُزَوِّجَكَ إحدى ابنتي على أن تعمل في رعي الغنم عندي ثماني سنوات فـإن أتممتَ عشـراً فمـن كرمـك لا أريـد أن أتعبَـك سَـتَجِدُنِي إِن شَـاء اللَّـهُ مِـنَ الصَّالِحِينَ، قال موسى هذا اتفاق بيني وبينك والله شاهد على اتفاقنا سـواء أقضيت السنوات الثماني أم العشـر فأنـا حـرٌّ بعـدها فـي الـذهاب، يخـوض الكثيرون في تيهٍ من الأقاصيص والروايات حول أي ابنتي الشيخ تــزوج وأي المدتين قضى؟ والثابت أن موسى تزوج إحدى ابنـتي الشـيخ لا نعـرف مـن كانت ولا ماذا كان اسمها وهذه الأمور سكت عنهـا السـياق القرآنـي إلا أنـه استنادا إلى طبيعة موسى وكرمه ونبوّتِهِ وكونه من أولي العزم من الرسـل فمن المؤكد إنه قضى الأجل الأكبر وهذا ما ورد في حديث ابن عباس رضي الله عنهما " جاء في حديثٍ رواه الطـبري ورواه أيضـاً أبـو يعلـى عـن ابـن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم: سألت جبريل: (أي الأجليـن قضـى موسى؟ قال: أكملهما وأتمهما) أي: أن ثمـاني سـنوات هـي مـدة الإجـارة، وزاد موسى سنتين تفضلاً منه، فقد مكـث موسـى عشـر سـنوات. وهكـذا عاش موسى يخدم الشيخ عشر سـنوات كاملـة يرعـى الغنـم، وربمـا كـان عمل موسى ينحصر في الخروج مع الفجر كل يوم لرعي الأغنـام وسـقايتها "[4]. خرج موسى مع أهله بعد انقضاء المدة وتلقي تكليف النبوة فأوحى الله له ما أوحى وكلّفه أن يحمـل الرسـالة إلـى الطـاغي فرعـون وأعطـاه اللـه الآيات وطلب موسى من ربه أن يرسل معـه أخـاه هـارون ليكـون لـه ردءاً وأثنى موسى على أخيه بين يدي ربه بأنه أفصح منه لساناً وقـال موسـى: (رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِي* وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِي رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِي * سَنَشُـدُّ عَضُـدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَـلُ لَكُمَـا سُـلْطَانًا فَلا يَصِـلُونَ إِلَيْكُمَـا بِآيَاتِنَـا أَنْتُمَـا وَمَـنْ اتَّبَعَكُمَـا

---

[1] - سيف الدين الكاتب ، قصص الأنبياء، مرجع سابق، ص 20.
[2] - سورة القصص، الآية 26.
[3] - ابن كثير،صحيح قصص الأنبياء، مرجع سابق، ص 271.
[4] - سيف الدين الكاتب ، قصص الأنبياء، مرجع سابق، ص 21.

الْغَالِبُونَ [1]، حمل موسى الرسالة ومعه المعجزات ودخل مصر وقابل فرعون ودعاه إلى الإيمان بالله فرفض بأن لا إله غيره واتهم موسى وهارون بالسحر فجمع سحرته ليغلبوا سحر موسى- على حدّ زعمه- ولكن الله أبطل سحرهم فآمنوا مع موسى فتوعدهم بالقتل والذبح والصلب، فأصابهم الله بالطوفان والجراد والقُمّل والضفادع والدم "وكان فرعون في كل مصيبة يلجأ إلى موسى ليطلب من الله رب العالمين يكشف عنهم العذاب"[2]، فطلب موسى منهم أن يصبروا، ثم عرض على فرعون أن يسمحَ له بالخروج ببني إسرائيل فرفض بل وحاول قتل موسى فخرج ببني إسرائيل من مصر بعد أن نجّاه الله وأغرق فرعون وقومه، ثم ذهب لمناجاة ربه وتلقّى من ربه الألواح وفيها الوصايا الإلهية، وعاد إلى قومه فوجدهم قد عبدوا العجل الذي اتخذه لهم السامريّ فأحرقه وألقاه في اليم ، ثم طلب من بني إسرائيل أن يدخلوا الأرض المقدسة مجاهدين في سبيل الله بعدما أراهم المعجزات الباهرات في قوله تعالى:(وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُوراً [3]، فرفضوا فغضب موسى ودعا عليهم والآيات التالية تتحدّث عن ذلك في قوله تعالى: (قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ* قَالَ رَجُلاَنِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَداً مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ * قَالَ رَبِّ إِنِّي لاَ أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ القَوْمِ الفَاسِقِينَ* قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلاَ تَأْسَ عَلَى القَوْمِ الفَاسِقِينَ[4]. وهكذا لبثوا في التيه أربعين سنة، "يتَرَدَّدُون في بريّة سيناء صحراء الحجاز ويترددون حوالي جبال السَّرَاة وأرض ساعير وبلاد الكرك والشوبك".[5] فمن الأحداث التي جرت لموسى عليه السلام لقاؤه بالعبد الصالح - الذي ورد أنه الخضر عليه السلام - وقصة لقائه به وردت كاملة ومفردة في سورة الكهف، ومن الأحداث التي جرت له أيضاً قصة قارون وافتراؤه على الله تعالى، فخسف الله به وبداره الأرض عظةً وعبرةً وكان قارون رجلاً غنياً قد بلغ من غناه أنه كان عنده من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة، فلم تغنِ عنه من الله شيئاً. وقصّة البقرة وهي مفردة في سورة البقرة، وقصة أهل السبت." ثم أوحى الله إلى موسى أني متوفٍ هارونَ فأتِ به إلى جبل كذا وكذا فانطلقا نحوه، فإذا هما بسرير

---

[1] - سورة القصص الآية (33-35).

[2] - سعيد محمد اللحام، قصص القرآن الكريم، ط 1، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1987م، ص 147.

[3] - سورة الإسراء ، الآية 101.

[4] - سورة المائدة الآية (22-26).

[5] - سعيد محمد اللحام ، قصص القرآن الكريم، مرجع سابق، ص 149.

فناما عليه، وأخذ هارونَ الموتُ ورُفع إلى السماء ورجع موسى إلى بني إسرائيل فقالوا له: أنت قتلت هارون لحبِّنا له، قال موسى: ويحكم أفترَوْنَني أقتل أخي؟ فلما أكثروا عليه سأل اللهَ فأنزل السرير وعليه هارون وقال لهم: إني مت ولم يقتلْني موسى وكان ذلك في التيه وكان عمر هارون حين تُوفي مائة واثنتان وعشرون سنةً، ثم توفي موسى بعد أخيه هارون بأحد عشر شهراً في التيه، قالوا: وقد بلغ عمره مائة وعشرون سنة "[1]. جاء في قصة موسى "عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: جاء ملك الموت إلى موسى عليه السلام فقال له: أجب ربك، قال: فلطم موسى عينَ ملك الموت ففقأها، قال: فرجع الملك إلى الله فقال: إنك أرسلتني إلى عبدٍ لك لا يريد الموت وقد فقأ عيني، قال: فردّ إليه عينه، وقال: ارجع إلى عبدي فقل: آلحياةُ تريد؟ فإن كنت تريد الحياة فضع يدك على متنِ ثورٍ فما وارت يدُك من شعره فإنك تعيش بها سنةً لكل شعرةٍ منه، قال: ثم مَهْ ؟ قال: ثم تموت، قال: فالآن من قريب، ولمّا علم أن الموت لا بدّ منه قال: (ربِّ أدنُنِي من الأرض المقدسة رميةً بحجر)، فأَدْنِي من الأرض المقدسة ودفن هناك، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (والله لو أني عنده لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر) رواه البخاري ومسلم"[2]. وقد بسط القرآن الكريم في ثلاثين ونَيِّفٍ سورةً حياةَ موسى من ولادته ونشأته وفراره من مصر ودخوله أرض مدين وزواجه ابنة شيخ مدين وعودته إلى مصر وتكليم الله له في جانب الطور وتحميله الرسالة ودعوته إلى فرعون وملئه والمعجزات التي جرت في حياته وخروجه من مصر ببني إسرائيل ونجاتهم بالمعجزة وغرق فرعون وجنوده في البحر ونزول التوراة عليه والصحف عبادة قومه العجل وسائر الأحداث المهمة التي جرت في حياته وما بسطه القرآن الكريم من ذلك في غاية الروعة والإعجاز، ويحمل من العبر والأخبار ما يمكن أن نسميه بالقصة الكاملة.

أهداف قصة سيدنا موسى عليه السلام

قصة سيدنا موسى لا تخرج عن الإطار العام لأهداف القرآن الكريم ألا وهو كونه هداية للناس أجمعين ووسيلة من وسائل التبليغ وتصحيح عقائد الناس وإصلاح أخلاقهم وهدايتهم بالبشارة والإنذار، ونفي الخرافات والأفكار القديمة وتحقيق الدعوة إلى الله تعالى، فقصة موسى تمثل جزءاً كبيراً من القرآن الكريم وهي غاية من غايات المعرفة . تتحد مع سواها من القصص مصدراً وموضوعاً وغايةً وأهدافاً ساميةً ومقاصدَ عاليةً وحِكَماً متعددةً من أهمها إخلاص العبادة لله الواحد القهار ونهيهم عن عبادة أحد سواه، " وكان من أثر القصة للغرض الديني أن تمزج التوجيهات الدينية بسياق القصّة قبلها وبعدها وفي ثناياها"[3] وقد أجملَت أهدافَ قصة

---

[1] - ابن كثير الدمشقي، صحيح قصص الأنبياء، مرجع سابق،ج 2، ص 275

[2] - سعيد محمد اللحام ، قصص القرآن الكريم ، ص 156.

[3] - سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، مرجع سابق، ص 139.

موسى عليه السلام في عدة نقاط من خلال ما أشارت إليه آيات القرآن الكريم متفرقة في معرِض حديثها عن قـَصص متعددة وردت في القرآن الكريم:[1]

"منها استخدامها برهاناً على صدق نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك بالتصريح بأنّ بعض هذه القصص مما لم يكن للنبي صلى الله عليه وسلم ولا لقومه علم بها، فقد خصّه لسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم رغم آلاف السنين التي تفصل بينه وبين ما حدث مع سيدنا موسى عليه السلام من شأن مولده وهروبه ونجاته من فرعون وهذه التفاصيل الدقيقة التي لا تتسنى إلاّ لمن له علاقة عن قُرب بهذه الأحداث، ويقول عزّ جلّ : (تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ العَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ[2] وقوله تعالى : (وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً[3]. وقال سبحانه وتعالى مخاطباً نبيه صلّى الله عليه وسلم، بعد عرض شائق وطويل لنبأ موسى وفرعون .وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ * وَلَكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُوناً فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنتَ ثَاوِياً فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ* وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْماً مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ [4].

منها" ترسيخ الإيمان وبيان أثره في حياة الفرد والمجتمع فلا تكون شخصيات قصة موسى عليه السلام وأحداثها بمعزل عن سنن الله في خلقه أو مخالفة للتصور الإسلامي وما كان للإيمان من اثار خيرة في تكوينها وسلوكها"[5].

ومن أهداف قصة موسى عليه السلام بيان وحدة الرسالة منذ أول رسول بعثه الله سبحانه وتعالى إلى محمد صلى الله عليه وسلم وذلك من خلال عرض التشابه في الخطوط الرئيسة بين الرسل جميعا وتذكير كل رسول قومه بمصارع السابقين ومن ذلك قوله تعالى : (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُو يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ* وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ* وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطاً أُمَماً وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ المَنَّ

---

[1] - ينظر مأمون فريز جرار، خصائص القصة الإسلامية، مرجع سابق، ص 271 وما بعدها.

[2] - سورة هود الآية 49.

[3] - سورة النساء الآية 164.

[4] - سورة القصص الآية 46.

[5] - مأمون فريز جرار ، خصائص القصة الإسلامية ، ص 265.

وَالسَّلْوَى كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ[1].

ومن هذه الأهداف أيضا بيان اتحاد موقف الكفار عبر العصور في معاداة رسلهم واتهامهم باتهامات متشابهة وكما أُتهِم النبي صلى الله عليه وسلم بالسحر والجنون والشعر فقصة موسى عليه السلام تخبر عن معاداة فرعون وملئه واتهامه بالسحر، فقد كادوا أن يفتكوا به في قوله تعالى: (قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلافٍ وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَاباً وَأَبْقَى[2].

ومن هذه أهداف القصة تثبيت فؤاد النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وكل من يتأسّى بالنبي صلى الله عليه وسلم على لزوم الدعوة إلى الحق والصبر على مشاقها والصمود أمام الحوادث والكوارث والابتلاءات وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوْسَى فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِيْنَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيْرِ[3] وفي هذا تثبيت للنبي صلى الله عليه وسلم فيما كُذِّب وأوذي. وبيان عاقبة الإيمان والكفر وإن الله ينصر أنبياءه في النهاية ويهلك المكذبين ويظهر أنعمه على رسله وعباده. وبيان قدرة الله تعالى في نجاة أنبيائه وتثبيت قلب النبي وللمؤمنين والدعاة من بعده وتسليتهم وتصبيـرهم على ما يلقوه من أذى المشركين وتكذيبهم، وذلك إنّ الرسول صلى الله عليه وسلم حين يخبره الله بما جرى للأنبياء ـ عليهم السلام ـ من قبله مع أقوامهم يسلو قلبه ويتجدد عزمه فيصبر كما صبر أولو العزم من الرسل، والنصر في النهاية للمرسلين والمؤمنين.

ومن هذه الأهداف تصوير الصراع بين الخير والشر، حيث يكشف موكب الإيمان عبر التاريخ كما يكشف مصارع الكافرين والمنحرفين، وقد ذلك خلال صراع سيدنا موسى عليه السلام مع فرعون وملئه وقارون وبني إسرائيل.

ومنها " تنبيه أبناء آدم عليه السلام إلى غواية الشيطان وإبراز مدى عداوة الشيطان للبشر منذ بدء الخلق، وإبراز هذه العداوة عن طريق القصص أقوى وأروع وأدعى للحذر من كل هاجس في النفس تدعو إلى الشر وإسنادها إلى هذا العدو الذي لا يريد بالناس الخير"[4] بل الضلال، كما يقول ربّ العزة على لسان موسى عليه السلام: (وَدَخَلَ المَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِ هَذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ

---

[1] - سورة الأعراف الآية (158- 160).
[2] - سورة طه الآية 71.
[3] - سورة الحج الآية 44.
[4] - سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، مرجع سابق، ص 127.

قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ* قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ [1].

ومن هذه الأهداف تقويم الخُلُق والسلوك الفردي والجماعي وتصحيح ميزان القيم العقدية الاجتماعية والخُلُقيَّة التي تصلح من شأن الفرد والمجتمع. فقصة موسى عليه السلام تصوِّرُ ـ مثلاً ـ شناعة ما كان عليه الطغاة أمثال فرعون وهامان وقارون والمفسدين من ذبح واستغلال ظلم وجور ومنع للفقراء في قوله تعالى :(وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاَءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ [2]، فقد عالجت قصّة موسى عليه السلام طغيان الساسة وظلمهم وبيان أنّ دولة الباطل ستزول مهما كانت متينة وقوية ما لم تخضع لدعوة الله سبحانه وتعالى وتأييد الأنبياء عليهم السلام في دعوتهم التي اصطفاهم الله تعالى لها والإعجاز بمعرفة تفاصيل لا يطلع عليها إلاّ علاّم الغيوب يوحي بها لمن اصطفاه من عباده. ومنها أهداف تتصل بالتوحيد الخالص لله تعالى والتوكل عليه والاعتزاز به لاسيما بالنسبة للدعاة والمصلحين وانتهاج نهج الأسوة الحسنة والتحمل بمكارم الأخلاق وتعلم آداب الحوار والمناقشة والجدال بالحسنى وأساليب الدعوة إلى الله تعالى وكيف يدخل الداعية إلى قلوب المدعوين ومعرفة طبائع الناس عامةً عند كفرهم وإيمانهم وطبائع أقوام بعينهم مثل بني إسرائيل وكيفية التعامل معها وتشخيص أمراض المنحرفين والمعاندين وكيفية معالجتها، فإنَّ المتدبّر لقصة سيدنا موسى عليه السلام في القرآن الكريم يجد في كل قصة بل في كل آية وفي كل كلمة وفي كل التـفاتة من الأهداف والعبر والإشارات واللطائف ما تعجز عنه الألسن ولا تبلغ مداه الأفهام.وهذه دعوة الرسل وتلك آدابهم وما نجده في قصصهم من التوجيه إلى الأخلاق والقصد في القول وغض الصوت وخفض الإشارة واللين في السلوك والدعوة إلى كل برّ.

منهج المفسرين في تناول قصة سيدنا موسى عليه السلام

سبق القول إنّ قصة سيدنا موسى عليه السلام وردت في القرآن الكريم في أكثر من ثلاثين سورةً مجملة أحياناً ومفصلة أحياناً أخرى وأحياناً تكتفي بالإشارة في آية واحدة في قوله تعالى:(وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً [3]. هذه الآية الكريمة تشير إلى قصة موسى كاملةً، وقال صلى الله عليه وسلم في الآية السابقة: (لمّا كلّم الله موسى كان يُبصر دبيب النمل على الصفا في الليلة الظلماء)[4].

---

[1] - سورة القصص الآية (15-16).

[2] - سورة البقرة الآية 49.

[3] - سورة النساء الآية 164.

[4] - ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم، ج 1، مرجع سابق، ص 601.

"وقد قُسّم منهج المفسرين في تناول قصّة موسى عليه السلام إلى قسمين, الأول على أساس ترتيب المصحف الشريف والثاني على أساس النزول، فقد أولى العلماء هذا التقسيم اهتماماً وعنايةً، وزادت قيمته عندما ظهر الاتجاه الحديث في الدراسات القرآنية تتناول السور مستقلة بناءاً على الوحدة الموضوعية وإنّ كل سورة ذات هدف معين وغرض أساس أنزلت من أجله لفهم معانيها وكشف أسرارها وحكمها, ثم بنوا على ذلك الوحدة العضوية في القرآن الكريم وبيان المناسبات بين الآيات والسور"[1].

أولاً : الترتيب حسب المصحف الشريف

إنّ معظم المفسرين والعلماء اتفقوا على منهج تفسير سور القرآن الكريم حسب ورودها في المصحف الشريف بالطريقة المتبعة التي تبدأ بسورة البقرة تنتهي بسورة الناس كتفسير ابن كثير واعتمدوا الطريقة نفسها في دراسة علوم القرآن الكريم ككتاب الجامع لأحكام القرآن الكريم للقرطبي وفي ظلال القرآن لسيد قطب، مما يسهل الوصول إلى تفسر أي سورة أو آية دون عناء أو مشقة بتحديد السورة والآية، وكذا الحال في متابعة قصة موسى في القرآن الكريم، فلا يمكن إنكار ذلك المنهج الحكيم الذي قام على أسس ثابتة ومبررات صحيحة لأنّ الباحث فيها يصل إلى مبتغاه بمجرد تحديد الآية ، ففي سورة البقرة أوّل سورة تتحدث عن قصة موسى عليه السلام وقد بُدِئت بقوله تعالى: (وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ العِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ[2]، فهذه الآيات وما بعدها تتحدّث عن هروب موسى عليه السلام من فرعون وسنوات التيه وقصة أهل السبت وقصة البقرة في حين كان حال بني إسرائيل قبل ميلاد موسى عليه السلام في سورة القصص." وهذا الترتيب يشكل السياق القرآني ويؤثر تأثيراً بالغاً في المعنى ووجه من أوجه الإعجاز فيه"[3].

وبإشارة مقتضبة سورة النساء في قوله تعالى :(يَسْئَلُكَ أَهْلُ الكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَاباً مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِن ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا العِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ البَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَاناً مُّبِيناً وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا البَابَ سُجَّداً وَقُلْنَا لَهُمْ لاَ تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقاً غَلِيظاً[4]، ثم نجد في سورة المائدة قوله تعالى :(وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكاً وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَداً مِّنَ العَالَمِينَ* يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ المُقَدَّسَةَ الَتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلاَ تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا

---

[1] - فهد عبد الرحمن سلمان الرومي, دراسات في علوم القرآن الكريم, مرجع سابق, ص 114.

[2] - سورة البقرة الآية 51.

[3] - فهد عبد الرحمن سلمان الرومي, دراسات في علوم القرآن الكريم, مرجع سابق،ص 117.

[4] - سورة النساء الآية 153.

خَاسِرِينَ* قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ[1].

وهكذا منهج المفسرين في كتبهم والباحثين في بحوثهم قائم على هذا الأساس ومبني على هذا المنطق، فكانت النتيجة كشف كثير من الأسرار القرآنية ووجوه إعجازه، إلا أن هذا كله لا يمنع من تناول مواضيع القرآن انطلاقا من منهجية جديدة قائمة على أسس مختلفة ومقبولة باعتبار أن القرآن الكريم كل وجه فيه جائز وكل فهم صحيح فيه محتمل ولا يتعارض معه، فهو مقصود منه لأنه كلام رب العزة الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فلا يمكن لأحد أن يدعي أن فهمه وتفسيره لآياته هو الصحيح قطعا وغيره قد جانب الصواب إلا ما بيّنه الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم فإنه لا ينطق عن الهوى. فكان علماؤنا رحمهم الله يتركون مجالا واسعا للرأي الآخر ويختمون كلامهم بإرجاع العلم لله ، فمتابعة الآيات والسور كما هي مرتبة في المصحف أمر عظيم الفائدة شريف الغاية، لكن اعتماده في مجال القصة ربما يكون الأمر مختلفا قليلا من حيث ترتيب أحداث القصة مما يؤدي إلى القول بالتكرار الذي قال به كثير من المفسرين، بيد أن الأمر ليس كذلك إنما هو تصريف وتنويع في الأساليب والخطاب وضروب المواعظ والاعتبار، فالتصريف والتنويع يكونان في الكلام لتزيينه والزيادة فيه لأنه إذا زين صرف الأسماع إليه وهذا شأن القرآن الكريم في صرف الوعيد والأمثال وتنويع معارض القصة وكل الآيات التي تتعلق بألوهيته سبحانه وتعالى وبيان قدرته بينما التكرار معناه إعادة الشيء مرة بعد مرة.

الترتيب حسب النزول :

ففي قصة موسى عليه السلام وفرعون وملئه فكان أول ما نزل في شأنها ما ورد في قوله عزّ وجلّ في سورة الأعراف: (ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَإِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ)[2]،إلى قوله تعالى:(وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرائيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ)[3]، وهذا ملخص لقصة موسى عليه السلام تروي أسباب بعثه لفرعون ملئه بعد أن أفسدوا في الأرض، ثم تروي نتائجها وتدمير أعمالهم، وفي سورة الشعراء من قوله تعالى .وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ القَوْمَ الظَّالِمِينَ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلا يَتَّقُونَ[4]. حتى قوله تعالى وَأَنجَيْنَا مُوسَى وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ* ثُمَّ أَغْرَقْنَا الآخَرِينَ[5].حيث تروي هذه الآيات تلقّي سيدنا موسى

---

[1] - سورة المائدة الآية 20-22.
[2] - سورة الأعراف الآية 103.
[3] - سورة الأعراف الآية 137.
[4] - سورة الشعراء الآية 11.
[5] - سورة الشعراء الآية 66.

التكليف من ربّ العالمين وطلب منه أن يشدّ عضده بأخيه هارون إلى فرعون وقومه فينتقل الحوار فجأة بينه وبين فرعون في قوله تعالى :(فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ العَالَمِينَ* أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ* قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ* وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الكَافِرِينَ* قَالَ فَعَلْتُهَا إِذاً وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ* فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْماً وَجَعَلَنِي مِنَ المُرْسَلِينَ[1]، ثم توالى الحديث عن قصة سيدنا موسى عليه السلام في القرآن الكريم في سوره وآياته تطول مرةً وتقصر أحياناً وتشير أحياناً أخرى في سورة النمل القصص والإسراء وهود والأنعام والكهف والأنبياء.

وكان آخر ما نزل من قصة موسى عليه السلام هو ما ورد في سورة النازعات مختصرة في قوله تعالى : (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى * إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوىً * اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى * وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى * فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى * فَكَذَّبَ وَعَصَى * ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى* فَحَشَرَ فَنَادَى * فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى * فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى)[2]، وقد جاء عرضها هنا في سياق تأكيد وقوع الحدث وعرض أسبابه ومقدماته من أول السورة، فبدأت القصة بالاستفهام (هل) وليس من أجل الاستفهام، بل كما هو شأن الاستفهام في القرآن الكريم خرج إلى التوكيد والتقرير بمعنى (قد) فيكون هذا المعرض يشير إلى كل ما تقدم من معارض الأخرى وهنا إشارة إلى مختلف تلك الأحداث والمراحل بإيجاز لأنه قد ذكر بتفصيل في سور أخرى وسياقات تناسبه فجاءت هذه الآيات من سورة النازعات تؤذن بنهايتها وتلخصها تلخيصا تاما وشاملا.

غير أن العلماء قد أولوا اهتمامهم وعنايتهم بترتيب سور القرآن الكريم لأجل الوصول إلى حقائق جديدة وكشف وجوه الإعجاز القرآني في القصة حيث تبنّي بعض الباحثين والمتخصصين – ولا سيما الدراسات الحديثة – " تناول سور القرآن الكريم مستقلة بناءً على الوحدة الموضوعية وأنّ كل سورة ذات هدف معين وغرض أساس أُنزلت من أجله وأكّدوا على هذا المعنى باعتباره مدخلاً لفهم معانيها وكشف أسرارها وحكمها، ثم بنوا على ذلك الوحدة العضوية في القرآن الكريم وبيان المناسبات بين الآيات والسور "[3].

أهمية دارسة قصة سيدنا موسى عليه السلام

إنّ أسلوبَ القَصص أقرب الوسائل التربوية إلى فطرة الإنسان وأكثر العوامل النفسية تأثيرًا فيه، وهو من أنجح الأساليب لتقديم الهداية وذلك لما في هذا الأسلوب من المحاكاة لحال الإنسان نفسه، فتراه يعيش بكل

---

[1] - سورة الشعراء الآيات 16-21.

[2] - سورة النازعات الآية 15 – 26.

[3] - فهد بن عبد الرحمن بن سلمان الرومي، دراسات في علوم القرآن الكريم، ذكر سابقاً ص 93.

كيانه في أحداث القصة وكأنه أحد أفرادها، فالمستعرض لقصّة موسى عليه السلام في القرآن الكريم يجد العبر والعظات في التقدير الألهي لسيدنا موسى عليه السلام أن يكون حفظه من فرعون برميِهِ في البحر بدلا عن الابتعاد عنه، ويقتل نفسا ويفرّ هارباً فيتلقّى التكليف، وهذا ما يجعل التالي لكتاب الله أن يستخدم كل أحاسيسه وهو يتابع قصة موسى عليه السلام ، وإذا انتقلنا إلى المساحة التي شغلتها القصة القرآنية من كتاب الله وجدناها مساحة واسعة، ما نظن أن موضوعاً آخر كان له ما كان للقصة من نصيب،" فالحيزُ الذي يشغله القَصص القرآني في كتاب الله تعالى لايقلُّ عن الربع إن لم يزد قليلاً "[1]، وكان لقصة موسى عليه السلام النصيب الأكبر بين قصص القرآن الكريم، وتكمن أهمية دراسة قصّة موسى عليه السلام في أنها أداة لتعميق العقيدة في النفوس وتوحيد الله عزّ وجلّ، وتبصير العقول، وحياة القلوب، وسلك أحسن الطرق إمتاعاً للعاطفة وإقناعاً للعقل، فقد ركزت في مقام الألوهية ووحدانية الله وعدله وحكمته وقدرته على حفظ عباده ونبذ الظلم عنهم وتحريرهم من العبودية التي كانوا يقاسونها من فرعون وملئه ، وفي مجال الرسالة ركزت على الصفات الخيّرة للأنبياء والمرسلين منها الصدق القوة والشهامة والكرم والأمانة ليكونوا للناس أسوة وقدوة، فهم وإن كانوا بشراً إلا أنهم أكرموا بالوحي والرسالة والتكليم. " كما ركزت على الرقي المادي وأسباب القوّة لأنّه عنصر أساسي رئيس في مقومات هذا الإنسان"[2]. كما كان لهذا القصص عناية خاصة ببيان أسباب الهلاك التي يمكن أن تصيب الأمم والجماعات والأفراد بسبب ظلمهم وطغيانهم وقد فصّل ذلك تفصيلاً عجيباً بغرق فرعون وخسف قارون، وهو يتحدث عن الترف والطغيان والبطر والظلم والاستعباد الفكري والإرهاب والسخرية والرضا بالذل إلى غير ذلك من الأسباب الكثيرة المبثوثة في هذا قصّة موسى عليه السلام.

وأيضاً التركيز على أن التديّن الحق الذي لا ينفصل عن الحياة العملية في عبادة الله وترك ما سواه .وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ العِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ[3].ولا ينفصم عن واقع هذا الإنسان وإنما هو مرتبط به ارتباطاً وثيقاً، بل هو جزء منه، كما فصل في أسباب السعادة الروحية فصل كذلك أسباب الرقي المادي حتى تتم السعادة للمؤمنين بهذا القصص العاملين بتوجيهاته وإرشاداته في قوله تعالى: (وَلَقَدْ جَاءَكُم مُّوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ العِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ* وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ العِجْلَ

---

[1] - محمد بن إسحاق، المبتدأ في قصص الأنبياء، مرجع سابق، ص 45.

[2] - إدريس وهنا، مجلة منار الإسلام، مرجع، ص 43.

[3] - سورة البقرة، الآية 54.

بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ* قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا المَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ[1].

في قصة موسى عليه السلام كثير من الحقائق العلمية المتعلقة بالكون والإنسان والأحياء في السماوات والأرض، والتي تزيدها الأيام وضوحاً وظهوراً فقد قال الله تعالى:(وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطاً أُمَماً وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ المَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ[2].وفي ذلك أن باطن الأرض يحتوي على الماء العذب وسطحها على كثير من نعم الله الطيبة التي لا تحصى ولا تُعدّ وغير ذلك مما في الأرض من أطعمة وغيرها.

بالإضافة إلى ما في قصة موسى عليه السلام من رونق الأسلوب وبديع النظم وجمال الصورة مما تهفو له قلوب الأدباء ، وفيها كذلك من المواقف والتحاليل والاستنتاجات الكامنة وراء الأحداث " ثم إنه لا يمكن وان يوصف الرسل بما يوصف به أبطال القصة الأدبية في القديم والحديث كالكذب والسكر والزنا"[3]، فبعضها يقوم على الخيال الذي لا حقيقة له، وبعضها يقوم على تشويه الحقائق وثالث ينحرف به كاتبه عن القيم والمثل والمبادئ، فحياة الأنبياء هي محور القصص وتربية نوع الإنسان تربية تضمن له خير المسالك ليتبوأ أفضل المدن والممالك، وتحول بينه وبين المنزلقات والمهالك ، وهم موضوع القدوة والأسوة أولئك الذين هداهم الله فبهداهم اقتده[4].

المبحث الثاني: عناصر قصة سيدنا موسى عليه السلام

تتنوّع عناصر القصة في قصة سيدنا موسى عليه السلام وتتوزّع توزيعا يتطلبه الفن القصصي، "ويجعل لكل عنصر منها دوراً يختلّ بانعدامه توازن القصة"[5] وفيها تتعدّد الشخصيات وتتلوّن الأحداث ويجري الحوار على مستويات مختلفة في أماكنَ وأزمانٍ مختلفة وقد بُنيتْ بناءً محكماً من حيث وحدة الموضوع واتساق المعاني واشتراك الفن بالإحساس فجاءت مُنْرعةً بالألوان والسمات لأنها جمعت من عناصر القصة ما تجعلها في مصاف القصص التامة، وجاء ترتيبها للأحداث ما تجعل المتلقي يتنقّل من صورة إلى صورة ومن حركة إلى حركة حتى يأتيَ عليها جميعا لترتسمَ في مخيلته حقيقةً حيّةً بفضل ما فيها من قِيَمٍ خُلُقيّة عُرِضَتْ بأسلوبٍ فنيٍّ

---

[1] - سورة البقرة، الآية 92-94.
[2] - سورة الأعراف، الآية 160.
[3] - سيف الدين الكاتب ، قصص الأنبياء، مرجع سابق ، ص 143.
[4] - سورة الأنعام، الآية 90.
[5] - التهامي النقرة، سيكولوجية القصة القرآنية،الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1971م، ص 261.

مؤثر، وإذا استعرضنا العناصر التي قامت عليها قصة موسى عليه السلام نجد أهمها الأحداث التي مرّت على موسى عليه السلام منذ ميلاده، "فالقرآن الكريم يهتمّ بالأحداث أكثر من اهتمامه ببقية العناصر بما فيها الأشخاص"[1]، وإنْ كانا عنصرين لا ينفصلان لأنهما مكملان لبعضهما البعض وسيأتي تفصيلهما كل في موضعه.

الأحداث في قصّة سيدنا موسى عليه السلام

كل الأحداث التي وقعت لسيدنا موسى عليه السلام منذ ولادته والمنعرجات التي مرّ بها لتكوّن مسيرة حياة سيدنا موسى عليه السلام " إنّ الأحداث في قصة موسى عليه السلام شأنها شأن الأحداث في القصّة في القرآن الكريم تُذكرُ دائما مجردة من الزمان والمكان اللذَين وقعت فيهما، ولكن قد يكون لهما أو لأحدهما أثرٌ في مجال سير الأحداث فيُطلق الغرض بذكره"[2] إنّ للأحداث في قصة موسى عليه السلام دوراً فعّالاً في التربية وتقويم الخُلُق الإنساني والغرائز والعواطف وانعكاساتٍ نفسيةً أثرّت على مواقف الأشخاص وسلوكهم وهي ليست كالأحداث المبالغ فيها أو المفتعلة التي كثيرا ما نجدها في القصة الفنية. والحدث هنا عنصر يخدم الفكرة لذلك نال عناية القرآن الكريم في طريقة العرض حتى يثير في النفوس عامل الاستجابة للغرض الديني الذي تحمله الفكرة، والحدث والشخصية يمثلان العنصرين الرئيسين في القصة وغالباً ما يكونان متلازمين إذ لا يعقل وجود حدث بدون شخصية، ولمّا كان القرآن الكريم قد سما بالحدث لأنّه خادماً للفكرة فقد طغى على الشخصية مما جعله بارزاً، لذلك نجد الارتباط الوثيق بين الأحداث وبقية العناصر.

أُرسِل موسى وهارون عليهما السلام لأشدّ الشعوب كرهاً للحق وابتعاداً عنه، لذلك كانت حياتهما مليئة بالأحداث والمواقف المتلاحقة والمتنامية التي تمتزج بالحركة وانفعالات الخوف الترقّب والقلق. ولنقف هنا وقفة تدبّر، إن القدرة الإلهية حفظت موسى عليه السلام - الذي هو محور هذه الأحداث - منذ أن كان جنيناً حيثُ توفرت علامات الأمن والسلامة بالمحيطة بولادته، ثم رضيعا في المهد حتى اللحظة التي أُلقيَ في اليم ليلتقطه آل فرعون، وألقى الله تعالى عليه محبة من عنده في قلب زوج فرعون، ولكن القرآن الكريم أعرض عن ذكر الملابسات التي أحاطت بميلاده واكتفى بمجرد الإشارة إلى الظروف التي كان يعيشها بنو إسرائيل إبّان حكم فرعون لينشأ في كنف عدوّه، وهنا تظهر منطقية الأحداث التي تجري وفق قانون السببية فإنّ محبة امرأة فرعون لموسى عليه السلام كان سبباً في إعفائه من الذبح، وحادثة رميه في اليم كان سبباً آخرَ في إنقاذه وهذه معجزة خصّها رب العزة لنبينا موسى عليه السلام. ولمّا بلغ أشدّه آتاه الله القوّة الحكمة ورجاحة العقل ودخل المدينة على حين غفلة

---

[1] **- التهامي النقرة، سيكولوجية القصة القرآنية،مرجع سابق، ص 360.**

[2] **- أحمد نوفل، سورة يوسف دراسة وتحليل، ط 2، دار القلم للتوزيع، عمان، الأردن، 1999م، ص 55.**

من أهلها ليقتل نفسا بوكزة بسيطة، ثم جاءه الرجل المؤمن من آل فرعون يحذره وينصحه بالخروج من مصر " ليسير في الطريق الصحراوي من مصر إلى مدين وحيداً مطارداً من غير زاد ولا استعداد كان طعامه ورق الشجر"[1]، ثم اجتماعه بالشيخ الكبير ليأجره هذه السنوات العشر مهراً لإحدى ابنتيه ثم يعود بعدها فيتلقّى التكليف، هنا تتسارع الأحداث في تنام مطّرد مما يجعلها تنبض بالحياة وتتفاعل مع سياق القصة وتبرز الصراع منسجماً مع المغزى العام "وبدون هذه الحركة يفقد الحدث القصصي حيويته"[2]. هذا خط طويل من الرعاية والتوجيه قبل النداء والتكليف، وتجربة الرعاية والحب والتدليل، وتجربة الاندفاع تحت ضغط الغيظ الحبيس، وتجربة الندم والاستغفار، وتجربة الخوف والمطاردة، وتجربة الغربة والوحدة والجوع، وتجربة الخدمة ورعي الغنم، كل ذلك بعد حياة القصور، وما يتخلل هذه التجارب الضخمة من تجارب صغيرة ومشاعر وخواطر وإدراك ومعرفة إلى جانب ما آتاه الله من العلم والحكمة حين بلغ أشده. إن الرسالة تكليف ضخم شاق يحتاج صاحبها إلى زاد ضخم من التجارب والإدراك والمعرفة إلى جانب وحي الله وتوجيهه. ورسالة موسى تكليف عظيم فهو مرسل إلى فرعون الطاغية المتكبّر أعتى ملوك الأرض في زمانه وأشدّهم استعلاءً في الأرض وهو مرسل لاستنقاذ قوم قد شربوا من كؤوس الذل حتى استمرؤوا مذاقه فإنقاذ قوم كهؤلاء عمل شاق عسير.

إنَّ تجربة السنوات العشر في مدين جاءت لتفصل بين حياة القصور التي نشأ فيها موسى وحياة الجهد الشاق في الدعوة وتكاليفها العسيرة التي تنتظره فلحياة القصور جوٌّ وتقاليدٌ خاصة أما الرسالة فهي معاناةٌ لجماهير من الناس فيهم المؤمن والكافر والغني والفقير المهذب والخشن القوي والضعيف، وللرسالة تكاليفها من المشقة والتجرد، وقلوب أهل القصور في الغالب لا تصبر طويلا على الخشونة والحرمان والمشقة. وهذا الانتقال الحركي منطقي لسير الأحداث بعد ذلك. " فلما استكملت نفس موسى تجاربَها وأكملت مِرانها بهذه التجربة الأخيرة في دار العزّة قادت القدرة الإلهية خطاه مرة أخرى عائدةً به إلى مهبط رأسه ومقر أهله وقومه ومجال عمله. وهكذا صُنِعَ موسى على عين الله وقد تمّ إعداده لتلقي التكليف، تُرى أي خاطر راود موسى فعاد به إلى مصر بعد انقضاء الأجل وقد خرج منها خائفا يترقب وأنساه الخطر الذي ينتظره فيها وقد قتل نفسا، وهناك فرعون الذي كان يتآمر مع الملأ من قومه ليقتلوه، إنها قدرة الله التي تنقل خطاه كلها "لعلها قادته هذه المرة بالميل الفطري إلى الأهل والعشيرة والوطن وأنسته الخطر الذي خرج هاربا منه وحيدا طريدا ليؤدي المهمة التي خلقه الله تعالى لها"[3].

---

[1] - محمد ناجي مشرّح ، الآفاق الفنية في القصة القرآنية ، ص 51.

[2] - التهامي النقرة، سيكولوجية القصة في القرآن، مرجع سابق، ص 349.

[3] - فضل حسن عباس، قصص القرآن الكريم،مرجع سابق، ص 137.

"سار حتى اختفى القمر وراء السحاب الكثيف وساد الظلام اشتد البرق والرعد وأمطرت السماء وزادت حدة البرد والظلام وتاه موسى أثناء سيره ووقف حائرا يرتعش من البرد وسط أهله ثم رفع رأسه فشاهد نارا عظيمة تشتعل عن بعد امتلأ قلبه بالفرح فجأة، فقال لأهله إني رأيت نارا هناك وأمرهم أن يجلسوا مكانهم حتى يذهب إليها لعله يأتيهم منها بخبر أو يجد أحدا يسأله عن الطريق فيهتدي إليه أو يحضر إليهم بعض أخشابها المشتعلة لتدفئتهم، فسار موسى نحو النار مسرعا ليدفئ نفسه، يده تمسك عصاه وجسده مبلل من المطر ظل يسير حتى وصل إلى واد طوى، لاحظ شيئا غريبا في هذا الوادي لم يكن هناك برد ولا رياح ثمة صمت عظيم ساكن"[1]. واقترب موسى من النار لم يكد يقترب منها حتى نودي فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ* يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ* وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لاَ تَخَفْ إِنِّي لاَ يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ[2].

" نظر موسى في النار فوجد شجرة خضراء كلما زاد تأجج النار زادت خضرة الشجرة وهي تحترق لكن النار تزيد واللون الأخضر يزيد كانت الشجرة في جبل غربي عن يمينه وكان الوادي الذي يقف فيه هو وادي طوى ثم ارتجت الأرض بالخشوع والرهبة"[3] والله عز وجل ينادي يَا مُوسَى: (إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى * وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى* إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي* إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى * فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى[4]. زاد انتفاض جسد موسى وهو يتلقى الوحي الإلهي ويستمع إلى ربه وهو يخاطبه: (وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى * قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى .قال الله عز وجل: (أَلْقِهَا يَا مُوسَى رمى موسى العصا من يده وفوجئ بأن العصا تتحول فجأة إلى ثعبان عظيم الحجم هائل الجسم وراح الثعبان يتحرك بسرعة ولم يستطع موسى أن يقاوم خوفه فاستدار ليهربَ ناداه ربُّ العزّة : يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ .عاد موسى ولم تزل العصا حيَّةً تتحرك، قال الله سبحانه وتعالى:(خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى .

" مد موسى يده للحيّة وهو يرتعش لم يكد يلمسها حتى تحولت في يده إلى عصا وعادت إلى سيرتها الأولى، ثم صدر الأمر الإلهي:(اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ .وضع

---

[1] - محمد ناجي مشرّح ، الآفاق الفنية في القصة القرآنية مرجع سابق ، ص 56.
[2] - سورة الممل ، الآية 8-10.
[3] - ابن كثير، صحيح قصص الأنبياء، مرجع سابق، ص 216.
[4] - سورة طه الآيات (13 – 16) .

موسى يده في جيبه وأخرجها فإذا هي بيضاء من غير سوء زاد انفعال موسى بما يحدث، وضع يده على قلبه كما أمره الله فذهب خوفه تماما واطمأنَّ وسكت وأصدر الله إليه أمرا بعد هاتين المعجزتين - معجزة العصا التي أصبحت الآن رمزاً لصنع المستحيلات، واليد البيضاء من غير سوء - أن يذهب إلى فرعون ليدعوه إلى الله برفق ولين ويأمره أن يُخرجَ بني إسرائيل من مصر، وأبدى موسى خوفه من فرعون، قال إنه قتل منهم نفسا ويخاف أن يقتلوه توسل إلى الله أن يرسل معه أخاه هارون طمأن الله موسى أنه سيكون معهما يسمع ويرى وأن فرعون رغم قسوته وتجبره لن يمسهما بسوء. أفهم الله تعالى موسى عليه السلام أنه هو الغالب ودعا موسى وابتهل إلى الله أن يشرح له صدره وييسر أمره ويمنحه القدرة على الدعوة إليه ثم قفل موسى راجعا لأهله بعد أن اصطفاه الله واختاره رسولا إلى فرعون، كل هذه أحداث منطقية تقود خطى موسى عليه السلام إلى الوادي المقدّس طوى لتلقّي التكليف الربّاني وما يصاحبها من خوارق ومعجزات كالثعبان واليد البيضاء وهما وسيلتان من وسائل الإقناع التي يمتلكها موسى عليه السلام ليماشي حالات السحر التي كانت تسود في قوم فرعون، " ووقوع هذه الحوادث أمر حتمي في سياق العلاقة بين الأنبياء وأقوامهم "[1].

انحدر موسى عليه السلام بأهله وهو يحثّ خطاه قاصدا مصر، يعلم الله وحده أي أفكار عبرت ذهن موسى انتهى زمان التأمل وانطوت أيام الراحة وجاءت الأوقات الصعبة أخيرا وها هو يحمل أمانة الحق ويمضي ليواجه بها بطش أعظم جبابرة عصره وأعتاهم يعلم موسى أن فرعون مصر طاغية يعلم أنه لن يسلمه بني إسرائيل بغير صراع يعلم أنه سيقف من دعوته موقف الإنكار والكبرياء والتجاهل لقد أمره الله تعالى أن يذهب إلى فرعون أن يدعوه بلين ورفق، يقول تعالى: (فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى* قَالا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَى* قَالَ لاَ تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى[2]. ، فأوحى الله لموسى إن فرعون لن يؤمن ليدعه موسى عليه السلام وشأنه وليركز على إطلاق سراح بني إسرائيل والكف عن تعذيبهم قال تعالى لموسى وهارون: (فَأْتِيَاهُ فَقُولا إِنَّا رَسُولا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلاَ تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى[3]. هذه هي المهمة المحددة وهي مهمة سوف تصطدم بآلاف العقبات، "إن فرعون يعذب بني إسرائيل ويستعبدهم ويكلفهم من الأعمال ما لا طاقة لهم به، ويذبح أبناءهم ويستحيي نسائهم، ويتصرف فيهم كما لو كانوا ملكا خاصا ورثه مع ملك مصر، يعلم موسى عليه السلام أن النظام المصري يقوم في بنيانه الأساسي على استعباد بني إسرائيل

---

[1] - مأمون فريز جرّار ، خصائص القصة الإسلامية، مرجع سابق، ص 81.
[2] - سورة طه ، الآية 44-46.
[3] - سورة طه ، الآية 47.

واستغلال عملهم وجهدهم وطاقاتهم في الدولة فهل يفرّط فرعون في بناء الدولة الأساسي ببساطة ويسر، ذهبت الأفكار وجاءت، فاختصرت مشقّة الطريق ورفع الستار عن مشهد المواجهة "[1].

انتقل الحدث مباشرةً إلى ساحة فرعون وقصره طاوياً بعض المسافات، فللقارئ إعمال خياله في سدّ الفجوات وتخيّل الأحداث في لقاء أخيه هارون ودخول القصر ووصول النبأ إلى فرعون. ويمكن القول أن هذه التفصيلات تفسد عنصر التشويق في القصة، واجه موسى عليه السلام فرعونَ بلينٍ ورفقٍ كما أمره الله تبارك وتعالى، ودار حوار طويل بين سيدنا موسى عليه السلام وفرعون مصر وحدّثه عن الله تعالى وعن رحمته وجنّته عن وجوب توحيده وعبادته وحاول إيقاظ جوانبه الإنسانية, وكل ما عليه هو أن يتّقيَ الله في شعبه وقومه، لم يقتنع لأنه لا يريد أن يقتنع، ثم استخدم معجزاته العصا ويده البيضاء، لم تكد العصا تلمس الأرض حتى تحولت إلى ثعبان هائل يتحرك بسرعة ثم أدخل يده في جيبه وأخرجها فإذا هي بيضاء كالقمر تحدي بهما السحرة.

تبدأ الجولة الثانية بين الحق والباطل حيث شاور فرعون الملأ من حوله فيما يجب فعله، والملأ لهم مصلحة في أن تبقى الأمور على ما هي عليه، فهم مقربون من فرعون ولهم نفوذ وسلطان،" فأشاروا أن يرد على سحر موسى بسحر مثله، فيجمع السحرة لتحدي موسى وأخيه، حدد الميقات المكاني والزماني وهو يوم الزينة الذي هو يوم وفاء النيل، وأن يحشر الناس ضحى، وبدأت حركة إعداد الجماهير وتحميسهم فدعوهم للتجمع وعدم التخلف عن الموعد، ليراقبوا فوز السحرة وغلبتهم على موسى الإسرائيلي، أما السحرة فقد ذهبوا لفرعون ليطمئنوا على الأجر والمكافأة إن غلبوا موسى، فهم جماعة مأجورة تبذل مهارتها مقابل الأجر الذي تنتظره ولا علاقة لها بعقيدة ولا صلة لها بقضية سوى الأجر والمصلحة"[2].

وها هو ذا فرعون يعدهم بما هو أكثر من الأجر، يعدهم أن يكونوا من المقربين إليه وهو بزعمه الملك والإله في قوله تعالى:(وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْراً إِن كُنَّا نَحْنُ الغَالِبِينَ* قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ المُقَرَّبِينَ [3]، وفي ساحة المواجهة والناس مجتمعون حضر موسى وأخاه هارون عليهما السلام وحضر السحرة وفي أيديهم كل ما أتقنوه من ألعاب وحيل وكلهم ثقة بفوزهم في هذا التحدي لذا بدؤوا بتخيير موسى في قوله تعالى:(قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ نَحْنُ المُلْقِينَ * قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوَهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ* وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ* فَوَقَعَ الحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُون* فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانقَلَبُوا صَاغِرِينَ* وَأُلْقِيَ

[1] - سيف الدين الكاتب ، قصص الأنبياء، مرجع سابق، ص 54.
[2] - محمد ناجي مشرّح ، الآفاق الفنية في القصة القرآنية ، مرجع سابق، ص 61.
[3] - سورة الأعراف الآية 113-114.

السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ* قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ العَالَمِينَ* رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ* قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي المَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ[1].

هذه الأحداث عمود قصة سيدنا موسى عليه السلام وهي البداية لنهاية المعاناة وحياة الذل التي عاشها بنو إسرائيل وهم يرزحون تحت وطأة فرعون وإهانته، وحسبنا أن يقرر القرآن الكريم أنه سحر عظيم لندرك أي سحر كان، فنظر موسى عليه السلام إلى حبال السحرة وعصيهم وشعر بالخوف، فيذكّره ربّه بأن معه القوة الكبرى فهو الأعلى ومعه الحق أما هم فمعهم الباطل، ومعه العقيدة ومعهم الحرفة، معه الإيمان بصدق الذي دفعه لما هو فيه ومعهم الأجر المادي على المباراة ومغانم الحياة، وسيدنا موسى عليه السلام متصل بالقوة الكبرى، والسحرة يخدمون مخلوقا بشريّا فانيا مهما يكن طاغية جباراً والساحر لا يفلح أنى ذهب وفي أي طريق سار، لأنه يعتمد على الخيال والإيهام والخداع، ولا يعتمد على حقيقة ثابتة باقية.

اطمأنّ موسى عليه السلام ورفع عصاه وألقاها، لم تكد عصا موسى تلامس الأرض حتى وقعت المعجزة الكبرى وضخامة المعجزة حولت مشاعر ووجدان السحرة الذين جاؤوا للمباراة وهم أحرص الناس على الفوز لنيل الأجر الذي بلغت براعتهم لِحدِّ أن يشعر موسى بالخوف، وطمأنه رب العزة ألا يخاف وتحولت مشاعرهم بحيث لم يسعفهم الكلام للتعبير. وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ* قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ العَالَمِينَ* رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ[2]." إنه فعل الحق في الضمائر ونور الحق في المشاعر ولمسة الحق في القلوب المهيأة لتلقي الحق والنور واليقين، إن السحرة هم أعلم الناس بحقيقة فنهم ومدى ما يمكن أن يبلغ إليه وهم أعرف الناس بالذي جاء به موسى فهم أعلم إن كان هذا من عمل بشر أو ساحر أو أنه من القدرة التي تفوق قدرة البشر والسحر. والعالم في فنه هو أكثر الناس استعدادا للتسليم بالحقيقة حين تتكشف له، لأنه أقرب إدراكا لهذه الحقيقة، ممن لا يعرفون في هذا الفن إلا القشور، ومن هنا تحول السحرة من التحدي السافر إلى التسليم المطلق الذي يجددون برهانه في أنفسهم عن يقين هزّت مفاجأة استسلام السحرة العرشَ تحت فرعون وهم من كهنة المعابد واستسلموا لرب العالمين"[3].

ألقى السحرة عصيهم وحبالهم التي يخيّل إلى الناس أنها ثعابين، ومن ثمّ ألقى سيدنا موسى عليه السلام عصاه فتتحوّل إلى ثعبان حقيقي يأكل هذه الحبال، فاقتنع السحرة بأنها ثعبان حقيقي وإلاّ لما ألقى السحرة ساجدين، أما إذا ألقى سيدنا موسى عليه السلام أولاً لما تجرّأ السحرة

---

[1] - سورة الأعراف ، الآية 114- 123.

[2] - سورة الأعراف ، الآية 122.

[3] - محمد ناجي مشرّح ، الآفاق الفنية في القصة القرآنية ، مرجع سابق ، ص 63.

برمي عصيهم ولتحوّلت مجـرى الأحـداث ولكـن الإرادة الإلهيـة فـي ترتيـب الأحداث ترتيبا منطقياً.

بعد أن تم الإعداد لإبطال دعوة موسى وهارون - عليهما السلام - ولأن العرش والسلطان أهم شيء في حيـات الطـواغيت، فهـم مسـتعدون لارتكاب أي جريمة في سبيل المحافظة عليهما، تسـاءل فرعـون مسـتغربا في قول ربِّ العزّة تبارك وتعالى: (قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم بِـهِ قَبْـلَ أَنْ آذَنَ لَكُـمْ إِنَّ هَــذَا لَمَكْــرٌ مَّكَرْتُمُــوهُ فِــي المَدِينَــةِ لِتُخْرِجُــوا مِنْهَــا أَهْلَهَــا فَسَــوْفَ تَعْلَمُونَ* لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلافٍ ثُمَّ لأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِيـنَ* قَـالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ* وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ[1].

كأنما كان عليهم أن يستأذنوه في أن يعودوا للحق لكنه طاغية أعمى السلطان عينيه عن الحق ويقول بأن ما حدث إنما كان عـن اتفـاق وتشـاور بين موسى عليه السلام والسحرة، وهو يعلم أنّه الحق ويظل الطاغية يتهدد ويتوعد إنها النفس الخبيثة حينما تستيقن حقيقة الإيمان.

تتلاحق الأحداث لتثبيت الإيمان واللحظة التي تنتصر فيها العقيدة وتختار الخلود الدائم على الحياة الفانية. إنـه الإيمـان الـذي لا يـتزعزع ولا يخضـع، ويعلن السحرة حقيقة المعركة فلا يطلبون الصفح والعفو من عدوّهم، إنمـا يطلبون الثبات والصبر من ربهم. فيقف الطغيـان عـاجزا أمـام هـذا الـوعي وهذا الاطمئنـان، عـن رد هـؤلاء المـؤمنين لطريـق الباطـل، فينفـذ تهديـده ويصلبهم على جذوع النخل ، ويتم التآمر علـى موسـى عليـه السـلام ومـن آمن معه.

تبدأ جولة جديدة بين الحق والباطل" فهاهم علية القوم من المصريين يتآمرون ويحرضون فرعون ويهيجونه على موسى عليه السـلام ومـن آمـن معه ويخوّفونه من عاقبة التهاون معهم وهم يرون الدعوة إلـى ربوبيـة اللـه وحده إفسادا في الأرض حيـث يـترتب عليهـا بطلان شـرعية حكـم فرعـون ونظامه كله، وقد كان فرعون يستمد قوته من ديانتهم الباطلـة حيـث كـانوا مقتنعين بأنّ فرعون ابن الآلهة فله الحق في العبادة، فإن عبَدَ موسى عليه السلام ومن معه اللهَ ربَّ العالمين فلن تكون لفرعـون أي سـطوة عليهـم، فاستثارت هذه الكلمات فرعون وأشـعرته بـالخطر الحقيقـي علـى نظـامه كله ففكر بوحشيته المعتادة"[2] وقرر فرعون أن ينفذ تهديـده ونلمـس ذلـك فـي قـوله تعـالى: (وَقَـالَ المَلأُ مِـن قَـوْمِ فِرْعَـوْنَ أَتَـذَرُ مُوسَـى وَقَـوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْـتَحْيِي نِسَـاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ* قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِـاللّهِ وَاصْـبِرُوا إِنَّ الأَرْضَ لِلّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ* قَـالُوا أُوذِينَـا مِـن قَبْـلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُهْلِـكَ عَـدُوَّكُمْ وَيَسْـتَخْلِفَكُمْ فِـي

---

[1] - سورة الأعراف، الآية 123 - 126 .

[2] - أحمد نوفل، سلسلة القصص القرآني، مرجع سابق، ص 123.

الأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ[1] . لم يكن هذا التنكيل الوحشي جديدا على بني إسرائيَل فقد نُفِّذ عليهم هذا الحكم في إبـان مولـد موسـى عليـه السـلام ، فبدأ موسى عليه السلام يوصي قومه باحتمـال الفتنـة والصـبر علـى البليـة والاستعانة بالله عليها، وأن الأرض لله يورثها من يشاء مـن عبـاده والعاقبـة لمن يتقـي اللـه ولا يخشـى أحـدا سـواه، إلا أن قـومه بـدؤوا يشـتكون مـن العذاب الذي حلّ بهم إنها كلمات تخفيف، أي أوذينا قبـل مجيئـك ومـا تغيـر شيء بمجيئك.

طال هذا الأذى حتى ما تبدو له نهاية فيمضي النبي الكريم على نهجه. يذكرهم بـالله، ويعلـق رجـاءهم بـه، ويلـوح لهـم بالأمـل فـي هلاك عـدوهم واستخلافهم في الأرض مع التحذير من فتنـة الاسـتخلاف، فاسـتخلاف اللـه لهم إنما هو ابتلاء لهم، فهو استخلاف للامتحان. قَالَ عَسَـى رَبُّكُـمْ أَن يُهْلِـكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُون.

ينقلنا القرآن الكريم إلى فصل آخر من قصة موسى عليه السلام ومشهد آخر من مشاهد المواجهة بين الحق والباطل حيث يحكي لما قصــة تشاور فرعون مع الملأ في قتل موسى، أما موسى عليه السلام فالتجأ إلى الركن الركين والحصن الحصين ولاذ بحامي اللائذين، ومجير المستجيرين . ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَـدِّلَ دِينَكُـمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الفَسَادَ* وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّـن كُـلِّ مُتَكَبِّرٍ لاَّ يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الحِسَاب [2] .

تدخل في الأحداث بعض الأمور التي هي من تدبير الخالق عزّ وجلّ منها موقف الرجل المؤمن فقد كادت فكرة فرعون أن تنفـذ لـولا رجـل مـن آل فرعون ومن رجال الدولة الكبار لا يذكر القرآن الكريم اسمه لأن اســمه لا يهم، إنما رجل مؤمن ذكره بالصفة التي لا قيمة لأي صفة بعدها، وكان يَكْتُمُ إِيمَانَهُ،" تحدث في الاجتماع الذي طرحـت فيـه فكـرة قتـل موسـى وأثبـت عقم الفكرة وسطحيتها، قـال إن موسـى لـم يقـل أكـثر مـن أن اللـه ربـه، وهناك احتمالان لا ثالث لهما: أن يكون موسى كاذبا، أو يكـون صـادقا، فـإذا كان كاذبا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ، وهو لم يقل ولم يفعـل مـا يسـتوجب قتلـه، وإذا كـان صادقا وقتلناه، فما هو الضمان من نجاتنا من العذاب الذي يعدنا بـه، وبـدت كلماته مقنعة، إنه رجل ليس متهمـا فـي ولائـه لفرعـون، وليـس مـن أتبـاع موسـى عليـه السـلام والمفـروض أنـه يتكلـم بـدافع الحـرص علـى عـرش الفرعون، وليس شيء يسقط العروش كالكذب والإسراف وقتـل الأبريـاء، "[3] لكن فرعون وجد فكرته في قتل موسى رغـم تخويـف الرجـل المـؤمن. وقال كلمته التاريخية التي ذهبت مثلا بعده لكل الطغـاة: فـي قـوله تعـالى: (قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَاد .[4] هـذه كلمـة

---

[1] - سورة الأعراف، الآية 129.

[2] - سورة غافر ، الآية 26-27.

[3] - سيف الدين الكاتب ، قصص الأنبياء،مرجع سابق، ص 34.

[4] - سورة غافر الآية 29.

الطغاة دائما حين يواجهون شعوبهم هذا رأينا الخاص وكل رأي غيره خاطئ وينبغي الوقوف ضده واستئصاله، " لم تتوقف المناقشة عند هذا الحد فقد عاد الرجل المؤمن يتحدث وأحضر لهم أدلة من التاريخ، أدلة كافية على صدق موسى، وحذّرهم من المساس به، وذكّرهم بالأمم التي كفرت برسلها فأهلكها الله كقوم نوح وقوم عاد وقوم ثمود ثم ذكّرهم بتاريخ مصر نفسه وذكّرهم بيوسف عليه السلام حين جاء بالبيّنات فشكّ فيه الناس، ثم آمنوا به بعد أن كادت النجاة تفلت منهم، ويبدو أنه أقنع الحاضرين بأن فكرة قتل موسى فكرة غير مأمونة العواقب، وبالتالي فلا داعي لها إلا أن الطاغية فرعون حاول المحاورة والتمويه مرة أخرى كي لا يواجه الحق جهرة ولا يعترف بدعوة الوحدانية التي تهز عرشه"[1].

فطلب أن يُبنَى له بناءٌ عظيمٌ يصعد عليه ليرى إله موسى الذي يدّعيه، " ربما لا يكون جادا في البحث عن إله موسى على هذا النحو المادي الساذج وقد بلغ فراعنة مصر من الثقافة حدا يبعد معه هذا التصور وإنما هو الاستهتار والسخرية من جهة والتظاهر بالإنصاف والتثبت من جهة أخرى"[2]، ألقى الرجل المؤمن كلمته الأخيرة مدوية صريحة: (وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ * يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ * مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ *وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ * تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ * لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ* فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ[3] ." أنهى الرجل المؤمن حديثه بهذه الكلمات الشجاعة وانصرف، وحاول فرعون وملئه أن يمكروا بموسى ومن آمن معه، لقد مضى فرعون في تهديده، فقتل الرجال واستحيا النساء وظل موسى وقومه يحتملون العذاب، ويرجون فرج الله ويصبرون على الابتلاء، وظل فرعون في ضلاله وتحدّيه. فتدخلت عناية الله تعالى وأنجته من فرعون وجنوده وابتلى الله تعالى أهل مصر: (فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ[4]، وشاء الله تعالى أن "يشدد على آل فرعون ابتلاء لهم وتخويفا، ولكي يصرفهم عن الكيد لموسى ومن آمن معه وتثبيتاً لنبوة موسى وصدقه، "وهكذا سلط على المصريين أعوام الجدب أجدبت الأرض وشح النيل ونقصت الثمار وجاع الناس، واشتد القحط لكن آل فرعون لم يدركوا العلاقة بين كفرهم وفسقهم وبين بغيهم وظلمهم

---

[1] - محمد قطب عبد العال ، نظرات في قصص القرآن الكريم، مرجع سابق، ص 56.

[2] - عبد المرضي زكريا، الحوار ورسم الشخصيات في القصص القرآني. مرجع سابق، ص 105.

[3] - سورة غافر الآيات 38- 41.

[4] - سورة غافر الآية 45.

لعباد الله. فأخذوا يعللون الأسباب فعندما تصيبهم حسنة، يقولون إنها من حسن حظهم وأنهم يستحقونها وإن أصابتهم سيئة قالوا هي من شؤم موسى ومن معه، فأخذتهم العزة بالإثم فاعتقدوا أن سحر موسى هو المسؤول عما أصابهم من قحط وصور لهم حمقهم أن هذا الجدب الذي أصاب أرضهم آية جاء بها موسى ليسحرهم بها، فشدد الله عليهم لعلهم يرجعون، ويطلقون بني إسرائيل ويرسلونهم معه فأرسل عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم"[1]. طلب آل فرعون من موسى أن يدعو لهم ربه لينقذهم من هذا البلاء ويعدونه في كل مرة أن يرسلوا بني إسرائيل إذا أنجاهم ورفع عنهم هذا البلاء .وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ* فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُم بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ* فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ [2]. فكان موسى عليه السلام يدعو الله بأن يكشف عنهم العذاب وما أن ينكشف البلاء حتى ينقُضُوا عهدهم ويعودوا إلى ما كانوا فيه. خرج فرعون لقومه وأعلن أنه إله أليس له ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحته. وأعلن أن موسى عليه السلام ساحر كذاب ورجل فقير فاستخف قومه فأطاعوه. هنا دعا موسى وهارون على فرعون، َقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُواْ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ * قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلاَ تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ [3]. لم يكن قد آمن مع موسى فريق من قومه، وأوحي إلى موسى أن يخرج من مصر ببني إسرائيل ونبأه أن فرعون سيتبعهم بجنده وأمره أن يقوم قومه إلى ساحل البحر، وبلغت الأخبار فرعون أن موسى قد صحب قومه وخرج، فأرسل أوامره في مدن المملكة لحشد جيش عظيم ليدرك موسى وقومه ويفسد عليهم تدبيرهم، أعلن فرعون التعبئة العامة. وهذا من شأنه أن يشكل صورة في الأذهان، أن موسى وقومه يشكلون خطراً على فرعون وملكه، فيكف يكون إلها من يخشى فئة صغيرةً يعبدون إله آخر. وقف موسى أمام البحر وبدأ جيش الفرعون يقترب، وظهرت أعلامه وامتلأ قوم موسى بالرعب كان الموقف حرجاً وخطيراً إن البحر أمامهم والعدو وراءهم وفي اللحظة الأخيرة، فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فضربه، فوقعت المعجزة فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ .
ووصل فرعون إلى البحر شاهد في البحر طريقا يابسا يشقه نصفين فأمر جيشه بالتقدم وحين انتهى موسى من عبور البحر وأوحى الله إلى موسى أن يترك البحر على حاله وَاتْرُكْ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ. وكان الله تعالى قد شاء إغراق الفرعون فما أن صار فرعون وجنوده في منتصف

---

[1] - ابن كثير قصص الأنبياء ، مرجع سابق، ص 369 .
[2] - سورة الأعراف ، الآية 134-136.
[3] - سورة يونس، الآية 88-89.

البحر، حتى أصدر الله أمره، فانطبقت الأمواج على فرعون وجيشه غرق العناد ونجا الإيمان بالله، ولم يعد يملك فرعون النجاة قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ سقطت عنه كل الأقنعة الزائفة وتضائل، فلم يكتف بأن يعلن إيمانه، بل قوله بأنه من المسلمين، ونجد ذلك في قوله تعالى: (وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لكن بلا فائدة فليس الآن وقت اختيار، بعد أن سبق العصيان والاستكبار آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ *فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ أسدل الستار على طغيان الفرعون ولفظت الأمواج جثته إلى الشاطئ بعد ذلك نزل الستار تماما عن المصريين لقد خرجوا يتبعون خطا موسى وقومه ويقفون أثرهم فكان خروجهم هذا هو الأخير وكان إخراجا لهم من كل ما هم فيه من جنات وعيون وكنوز فلم يعودوا بعدها لهذا النعيم لا يحدثنا القرآن الكريم عما فعله من بقى من المصريين في مصر بعد سقوط نظام الفرعون وغرقه مع جيشه لا يحدثنا عن ردود فعلهم بعد أن دمر الله ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يشيدون. يسكت السياق القرآني عنهم وأخبر عن عاقبتهم في وه تعالى: (كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ العِقَابِ[1].

الشخصيات في قصّة سيدنا موسى عليه السلام

"إنَّ تصويرَ الشخصيات في القَصص القرآني لم يكن بالأمر الذي يُعنى به القرآن الكريم بقدر عنايته بالحدث"[2]. أما الشخصيات - إذا استثنينا الأنبياء عليهم السلام - فهي الأدوات التي تدور حولها الأحداث والنماذج التي تمثلها، وبالنظر في قصة سيدنا موسى عليه السلام نجد أنّنا أمام عدد كبير من الشخصيات منها ما تنتمي إلى عالم الغيب مثل الملائكة رضوان الله عليهم فقد تمثّل لسيدنا موسى ملك الموت الذي حاور سيدنا موسى "بعد أن ضربه وفقأ عينه"[3]، ومنها المنتمي إلى عالم الشهادة فإنّ منها المؤمنَ والصالح ومنها الكافر ومنهم الرجال والنساء ومنهم شخصيات جماعية كبني إسرائيل والملأ من قوم فرعون والقوم من آل قارون، ولم تهتم قصة موسى عليه السلام بالشخصية من الناحية الشكلية وملامحها الخارجية بل يعمل على التعريف عليها عن طريق الحوار أو الوصف أو حكاية الأقوال والأحداث بصورة عرضية لم تُقصد لذاتها"[4]. "بالإضافة إلى الحضور الإلهي الذي يتجلى في حوار الله عزّ وجلّ وتكليمه موسى عليه السلام."[5]

---

[1] - سورة آل عمران ، الآية 11.
[2] - أحمد نوفل، سلسلة القصص القرآني، ص 204.
[3] - ابن كثير ، قصص القرآن، مرجع سابق، ص 381.
[4] - التهامي النقرة ، سيكولوجية القصة في القرآن، مرجع سابق، ص 360.
[5] - أحمد نوفل، سلسلة القصص القرآني، ص 76.

إن تنوع شخصيات القصة القرآنية وامتدادها بين عالمي الغيب والشهادة يجعلنا نقول: إن الله عزّ وجلّ قد جعل القصة القرآنية مجلى لهذا الكون بما فيه من مخلوقات خفية وظاهرة مؤمنة وكافرة، مما يجعل متدبِّرَها يستشرف آفاق الوجود كله. ومن خلال استعراض قصة موسى عليه السلام في القرآن الكريم يمكن القول إنّ الأسماء لم تكن مقصودة لذاتها في القصة - عدا اسم سيدنا موسى عليه السلام - "إلاّ إذا كان في الذكر زيادة عبرة كذكر أسماء الأقوام الذين حل بهم العذاب وبخاصة من كان للعرب بهم قرب عهد كعادٍ وثمودَ وأصحابِ الأخدود، أو قرب ديار كمدين"[1]. والجانب الأهم في الشخصيات هو الموقف الذي تتخذه والمصير الذي تؤول إليه.

ومما يُلحظ في قصة سيدنا موسى ذلك التنوع الواضح في الشخصيات التي يمكن اعتبار كل واحدة منها نموذجا في مجاله الفردي أو الجماعي، ففي المجال السياسي نجد فرعون نموذجا للحاكم المتسلّط المستعلي المستعبد لشعبه المتألّه عليهم، وفي مجال المال والأعمال نجد قارون نموذجا لمن آتاه الله المال فجعله فتنة للناس، وفي بني إسرائيل نجد نموذجا للشعب المستعصي على القيادة، الذي يأبى الهداية، فقد أثّر طول الاستعباد في نفسه فلم يستطع التخلص من آثار العبودية، ولا ننسى الحضور المتميّز للمرأة المتمثلة في الأم الحنون التي تعمل المستحيل في سبيل إنقاذ ابنها، والأخت الذكية الواعية، والمرأة المؤمنة التي يترعُ قلبها بالحنان وتتلهف أن يكون لها ولد، والفتاة المصون التي توازن بين أنوثتها والعمل خارج المنزل، وهي تمثّل عنصر العاطفة ولكن ليست التي تكسو القصص ألواناً زاهية ولا يصف شكلها الخارجي، وبدورها الفعّال استحقت أن تكون مثلاً للعقل الحر والإرادة المتحررة. وبالإضافة إلى أشياء غير الإنسانية وهي أدوات تعبيرية مكملة للشخصية كعصا موسى والحوت.

وبالنظر في أدوار الشخصيات في قصة موسى عليه السلام نجدها منتقاة من الواقع الإنساني وموزعة بين شخصيات رئيسة وشخصيات ثانوية وأخرى هامشية، أما الشخصيات الرئيسة فهي التي تسهم في صنع الحدث أو تدور الأحداث حولها كشخصية موسى عليه السلام وشخصية فرعون وبني إسرائيل في قصّتهم مع فرعون وسحرته وقصتهم مع موسى في التيه، أما الشخصيات الثانوية فإنها ذات دور محدّد في القصة ولا يتكرر ظهورها فيها ولكنها مؤثرة كشخصية أم موسى عليه السلام وأخته والرجل الصالح وقارون وامرأة فرعون، تنتهي بانتهاء القصة ولا يُرى لها أثرٌ بعد ذلك، أمّا الشخصيات الهامشية فهي التي تظهر للحظةٍ وتزول بزوال الحدث كشخصية القبطيين والإسرائيلي والرجل الذي جاء من أقصى المدينة والرجلين المؤمنين عند دخول الأرض المقدّسة والسامري، أما الفتاتان وأبوهما وفتى موسى في رحلة البحر، وكل هذه الشخصيات تدور

---

[1] - المصدر نفسه، ص 64.

حول الشخصية الرئيسة والـتي تخـدم تلـك الأحـداث، ممـا تعضّـد الأحـداث وتجعلها رافداً من روافدها.

ولم يذكر القرآن الكريم الأسماء صراحة غير أسماء موسـى وهـارون وفرعون وقارون واكتفى بصفات الأسماء الأخرى فقط كأم موسـى وأختـه وامرأة فرعون والرجل الصالح والفتى والفتاتين والأب والرجـل الـذي جـاء من أقصى المدينة.

الشخصيات الرئيسة في قصة موسى عليه السلام:

سيدنا موسى عليه السلام

" موسى بن عمران بن قاهث بن عازر بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم (عليهم السلام)، يعتبر نموذجا للزعيم صاحب الشخصية القوية المتصف بحدّة الطبع والمزاج وسرعة الانفعال والإحساس المرهف"[1].

والقوة العقلية والبدنية والكرامة العفة والشجاعة والشفقة وسمو النفس والتواضع، هذه الصفات جعلته قياديا من الدرجة الأولى لشعب صُلْب معاند ومراوغ شديد المراس كشعب بني إسرائيل وفي نفس الوقت مجادلا قويَّ الشكيمة لملك متسلط ومتجبّر كشخصية فرعون، وبوصفه شهماً قوياً عندما سقى الأغنام للفتاتين، الشفقة الحنان عندما أظلم الليل واشتد البرد فذهب ليجلب ناراً لتدفئة أهله، وبالمقابل يفقد أعصابه وهدوءه ويلقي الألواح التي تحمل كلمات الله عندما علم أن قومه اتخذوا عجلا إلها يعبدونه ويثور" ولم يلقها أمام ربّه عزّ وجلّ"[2]، فيأخذ بلحية أخيه هارون وشعر رأسه ويجذبه لأنه لم يمنعهم من عبادة العجل، ولكن سرعان ما يسكن غضبه فيأخذ الألواح، فلقد ظهرت هذه الطبيعة الانفعالية على موسى وقوّته في عدة أدوار وذلك عندما وكز الرجل القبطي فقضى عليه ونراه يعنّف القبطي الآخر، ولا ينفعل إلاّ لغيرته على الدين وفي مواضع أخرى تظهر شخصية موسى الجَدلِ قوي الشكيمة مع فرعون وسحرته، وتظهر بشرية موسى في خوفه وهروبه أمام معجزة العصا وإغمائه وصعقه وعجلته والتسرع في اتخاذ الأحكام كما ورد في قصته مع العبد الصالح، "كانت له لثغة في كلامه فلا يكاد يبين بسبب حرق الجمرة وهو صغير[3]".

شخصية فرعون

الملك المتسلط والمتجبّر والمستعبد لقومه يخشى زوال ملكه يأمر بقتل كل من يُحتمَل أن يقف أمام جبروته وفي نفس الوقت الجبان الذي يرف قلبه لرؤية رآها فيستنجد بالمنجمين والكهنة ويعتمد على حاشيته من الكهنة والسحرة في درء كل خطر مُحتمل وتكون نهايته غرقاً وهو يطارد سيدنا موسى عليه السلام ، وهي صفات ظهرت في عدّة مواقف منذ أنْ

---

[1] - التهامي نقرة، سيكولوجية القصة القرآنية، مرجع سابق، ص 366.

[2] - سيد قطب ، التصوير الفني في القرآن، مرجع سابق، ص 164.

[3] - سعيد محمد اللحام ، قصص القرآن الكريم، مرجع سابق، ص 142.

الرؤية الأولى حتى قدوم موسى عليه السلام وذلل انطلاقا من حبّه لذاته التي سيطر عليها الزهو والغرور فلم يكترث لما حوله ومال إلى احتقار الغير ورفض الإذعان للحق، ومع نمو الأحداث تزداد شخصية فرعون تكبّراً وعناداً .

إنّ شخصية موسى عليه السلام وشخصية فرعون تمثلان قيماً ومبادئَ أظهرتها الأحداث التي صاحبتهما غير أن شخصية موسى عليه السلام اتصفت بالبطولة لكونها صانعة الأحداث - كما مرّ بنا وشخصية فرعون صانعة القهر والقتال من أجل البقاء .

الشخصيات الثانوية :

سيدنا هارون عليه السلام

فهو شقيق موسى عليه السلام الأصغر وقد بعثه الله رسولاً مع موسى ووزيراً له في رسالته ومعيناً له في دعوته، قال الله تعالى في شأنهما:(وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءاً يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ* قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَاناً فَلاَ يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الغَالِبُونَ.[1]وكان فصيحاً وقوياً كما ذكره القرآن الكريم في الآية السابقة بالإضافة إلى أنه كان ليّن الجانب وذلك لأنه لم يستطع أن يعترض قومه عندما اتخذوا العجل ثم رجع موسى عليه السلام فأخذ بلحيته ورأسه يجره في قوله تعالى:(قَالَ يَا بْنَؤُمَّ لاَ تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلاَ بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي.[2]

أم سيدنا موسى عليه السلام

واسمها " ياوخ وقيل أياذخت، اتخذها عمران زوجةً له فولدت له موسى وهارون ومريم، وقيل يوكابد كانت عمة عمران الذي يصل نسبه إلى النبي يعقوب عليه السلام ، ولم يكن زواج الأقارب محرماً في ذلك العهد، أنجبت يوكابد هارون ومريم في ظروف عادية، أما موسى فقد ولد بعد نبوءة الفرعون والتي فسرها له المنجمون بولادة صبي يسلبه الملك ويخرجه وأهله من مصر ويبدل دين القوم"[3] . ومثال للأم الموحدة الصابرة التي تنصاع إلى أوامر الله تعالى عندما أمرها بأن ترمي فلذة كبدها في اليم ولكنها كانت موقنة بأنَّ الله تعالى سوف يردّه لها.

أخت موسى عليه السلام الكبرى:

وهي الفتاة الملهوفة على أخيها تراقبه بكل ذكاء " وتنظر إليه كأنها لا تريده ولهذا قال رب العزة : (وَقَالَتْ لأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ."[4] وتتدخّل في الوقت المناسب لإنقاذ أخيها

---

[1] - سورة القصص الآية 34-35.
[2] - سورة طه الآية 94.
[3] - ابن كثير، قصص الأنبياء، ص 270.
[4] - سورة القصص الآية 11.

وتدلهم على أهل بيت طيبين وأم حنون عليه، فما كان أهل البيت إلا أهلها وأهل موسى وما كانت الأم إلا أمها وأمّ موسى.

امرأة فرعون:

"آسيا بنت مزاحم بن عبيد بن ريّان بن الوليد وكان أبوها فرعون مصر في زمن سيدنا يوسف عليه السلام وقيل إنها كانت من بني إسرائيل من سبط موسى عليه السلام وقيل كانت عمته، ولمّا رأت وجهه يتلألأ بنور النبوة أحبته حبّاً شديداً"[1]. امرأة قوية الشخصية استطاعت أن تخلّص موسى من براثن فرعون فتعلن موقفها في ثبات وإيمان بعد أن اتضح لها ضلال زوجها فرعون، ورغم ضغوط المجتمع فقد اتبعت موسى عليه السلام في دعوته وبهذا استحقت إن تكون مثلاً للإرادة الحرة فقال تعالى : (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتاً فِي الجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ القَوْمِ الظَّالِمِينَ[2].

قارون:

كان من قوم موسى وأهله يعتبر مثالاً للإقطاعي الثري الفاحش الثراء فقد وصفه ربُّ العزّة بأن مفاتيح خزائنه فقط تثقل بالعصبة الأقوياء في قوله : (إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُوْلِي القُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لاَ تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الفَرِحِينَ* وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلاَ تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلاَ تَبْغِ الفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ المُفْسِدِينَ[3].

والد الفتاتين (شيخ مدين):

شيخ كبير في السنّ من مدين " قيل إن هذا الشيخ هو النبي شعيب عمّر طويلا بعد موت قومه وقيل إنه ابن أخي شعيب وقيل ابن عمه وقيل رجل مؤمن من قوم شعيب الذين آمنوا به"[4] لا يُعرف أكثر من كونه شيخاً صالحاً ولم يكشف القرآن الكريم عن شخصيته ولكنه عاش في مدين وهي المنطقة التي بُعِث فيها نبيُّ الله شعيب عليه السلام ، والأرجحُ إنه ليس نبيَّ الله شعيب وإلاّ لأشار القرآن إلى ذلك في قصة سيدنا شعيب.

الفتاتان :

ابنتا شيخ مدين، لم يتعرّض القرآن الكريم إلى اسميهما، ولكنهما تمثلان نموذجاً للمرأة العاملة التي توازن بين أنوثتها والعمل خارج البيت في الزراعة أو الرعي أو غيرها، كما وصفتهما القصة بالمرأة التي تتجنّب

---

[1] - ابن كثير، قصص الأنبياء، ص 272.
[2] - سورة التحريم، الآية 11.
[3] - سورة القصص الآية 76.
[4] - سيف الدين الكاتب ، قصص الأنبياء، مرجع سابق، ص 20.

الاختلاط،" كما جاء وصفهما بالذكاء والعفة والحياء، فضلاً عن كرم الضيافة وحسن الخلق"[1].

العبد الصالح :

شخصية العبد الصالح صاحب العلم الذي تلقّاه من ربّ العالمين،" يقال إنه نبي الله الخضر عليه السلام ، فقد أرسله الله تعالى لسيدنا موسى عليه السلام لتثبت له أنه ليس أعلم الناس"[2] . فقد أثبت لموسى عليه السلام أشياء لم يكن يعرفها وهي أشياء تختلف ظاهرها عمّا في باطنها.

العبد المؤمن:

من الذين آمنوا من قوم فرعون وكتم إيمانه ولا يمثّل شخصية معينة وإنما نموذج لمن يكتم السر ويراقب تحركات الأعداء فيقدّم النصح والإرشاد في الوقت المناسب، ويمكن وصفه بأنه شديد الولاء.

الشخصيات الهامشية :

فتى موسى عليه السلام:

ويقال اسمه (يشوع بن نون)[3] اصطحب سيدنا موسى عليه السلام في رحلته البحرية، لم تظهر شخصيته بعد لقاء العبد الصالح، كان من تقدير الله تعالى أن ينسى الحوت فيرتدا راجعَين حتى يلتقيا بالعبد الصالح في قوله تعالى : (قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي البَحْرِ عَجَباً[4].

السامري :

من قوم موسى في سنوات التيه، ضعيف الإيمان مثال للمتذبذب الذي لا يثبت على حال، انتهز فرصة غياب موسى عليه السلام فألّب القوم ضدّه وأقنعهم بعبادة العجل، عندما رجع سيدنا موسى عليه السلام عنّفه في قوله تعالى: (قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ * قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي[5]. .

الشخصية الجماعية

ليسوا أفرادا معيّنين وإنما يمثلون البيئة التي نشأ فيها موسى وهم بنو إسرائيل، "الذين كانوا يرزحون تحت وطأة الملك الجبّار فرعون يذبّح أبناءهم ويستحي نساءهم، وهم الذين اختارهم الله تعالى ليدخلوا الأرض المقدسة ويُتَصفون بالمعاندة والمكابرة وصعوبة الانقياد"[6]، بالإضافة إلى قوم قارون الذين تمنوا مكانه قبل أن يُخسف به وبداره.

المغزى في قصّة سيدنا موسى عليه السلام

---

[1] - محمد الخضيري ، مجلة الأسرة، العدد الأول، مكتبة الرياض، 1993م. ص 20.
[2] - ابن كثير ، قصص الأنبياء، ص 134.
[3] - عدلي علي حماد، مجلة البيان ، العدد 112، السنة 11 ابريل 1997م.ص 48.
[4] - سورة الكهف ، الآية 63.
[5] - سورة طه الآية 95-96.
[6] - ابن كثير، قصص الأنبياء, مرجع سابق، 378 .

أما مغزى هذه القصة يبدأ بالحديث عن الأمم السابقة إنما هو من أجل أن تأخذ الأمم اللاحقة درساً مدى الحياة حتى لا تيأس من روح الله من ناحية، ومن ناحية أخرى حتى تأخذ بأسباب القوة والتقدم بالتقرّب إلى الله عزّ وجلّ فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربّه : (إِذَا تَقَرَّبَ الْعَبْدُ اِلَىَّ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ اِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِذَا تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَإِذَا اَتَانِي مَشْيًا اَتَيْتُهُ هَرْوَلَة)، هذا هو حكم الله عز وجل في هذه البرية.

"بالنظر في قصة موسى عليه السلام وأحداثها فإنها تشبه أحداثاً من حياة النبي صلى الله عليه وسلم ومن أبرز ذلك خروج موسى من المدينة خائفاً يترقب ثم توجه صوب مدين حيث وجد المأوى والأمن ثم عودته منها وتكليفه بالرسالة إلى فرعون مؤيداً بالمعجزات الظاهرة هذه الأحداث تذكرنا تآمر الكفار على الرسول صلى الله عليه وسلم وهجرته إلى المدينة حيث نصره أهلهاثم يسّر الله له بعد ذلك العزّ والتمكين ما قاده إلى مكّة فاتحاً مظفّراً"[1]

إن القصة عجيبة، تبدأ من طفل تكفّله ربّ العزة بعنايته يلقى في النهر، يقول الله عز وجل: (فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ)، غير أنّ الإنسان إذا خاف على ابنه أدخله في الحجرة وأغلق عليه بل وأسدل الأستار حتى لا يعرف. لكن التحدي كبير وهذا اليم هو نهر النيل الذي ينتهي بقصر فرعون، قال تعالى: (فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا) هذا أول مغزى وهو أن الإنسان مهما احتاط وحذر إنْ لم يتوكلْ على الله لما حفظه حيطته وحذره، ويتجلى ذلك في جزئية رمي موسى عليه السلام وحذر فرعون من الطفل الذي سيولد ويكون هلاكه على يده.

عمر الإنسان ورزقه مقدّر منذ ولادته، فلما وكز موسى عليه السلام القبطي فقضى عليه كان سيقضي وإن لم يكزه موسى، بمعنى إن صبر القاتل لمات المقتول، وإنما على المرء أن يأخذ بالأسباب، ثم عليه أن يسيطر على نفسه إن آتاه الله بسطة في الجسم، فسيدنا موسى عليه السلام ندم على ما فعله وإن كان من غير قصد ففرّ إلى مدين متوكلا على الله لا زاد له ولا ماء وليس معه إلاّ التقوى وعندما ورد ماء مدين قدّم مساعدة للفتاتين ولا يريد منهما أجراً، ولكن الله كافأه بعمل وزواج، ممتثلين قول الله تعالى: (فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً* وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً[2].

---

[1] - مأمون فريز جرّار ، خصائص القصة الإسلامية ، مرجع سابق، ص 222 .

[2] - سورة الطلاق الآية (2-3) .

وكذلك كل خطوة يخطوها الإنسان في سبيل الخير لا بدّ أن يكافأ عليه، فقد حمل سيدنا موسى عليه السلام الشفقة على أهله من البرد فآنس ناراً لتدفئتهم بها، وجد عندها الله تعالى فكلّفه بأثقلَ من البرد الذي آثر أن يلوذ منه بالنار.

ومن مغزى قصة موسى عليه السلام أن القوة ليست بالصرعة والبطش والقهر والمال، فربما يضع الله سره في أضعف خلقه، فلذلك قوّض موسى عليه السلام ملك الطاغية فرعون الذي دام لقرون يذبّح أبناء بني إسرائيل ويستحي نساءهم ويستعبدهم ويذلهم أيّما ذل يسوق أتباعه كأنما الأنعام ويحملهم على فعل ما يطيقون قوّضه بقوة خفية عقلية لا ترتبط بقوة جسدية وفي لحظات حاد هؤلاء القوم الذين استعبدهم عن صفّه، كما انهار ملك قارون وكنوزه وخُسفت بها الأرض فلم يغن عنه ماله شيئاً.

إنّ علم الله تعالى لا تحدّه حدود وليس له أبعاد، يلقيه حيث يشاء، فقد أعطى الله تعالى سيدنا موسى من العلم ما جعله يسأل إن كان هناك أعلم منه، فأرسل الله تعالى العبد الصالح ليثبت له أنّ من هو أعلم منه فقال تعالى: (وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ[1].

من يقرأ القرآن لا يجد سورة طويلة إلا وفيها قصة موسى مع فرعون وقصة بني إسرائيل، لعل السر في ذلك هو أن بني إسرائيل هم آخر الأمم قبل أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وقد بُعث عيسى عليه الصلاة والسلام وأنبياء آخرون بعد موسى إلى بني إسرائيل، آمن به من آمن من بني إسرائيل، وسموا أنفسهم نصارى، ثم انعزل النصارى عن بني إسرائيل، وهم في الحقيقة فرع من فروع بني إسرائيل، وإن في بني إسرائيل من العبر والآيات ما على مثله يؤمن البشر، أعطى الله عز وجل موسى آيات كونية إضافة إلى التوراة والصحف، تسع آيات كل واحدة تكفي لإيمان البشر عامة إلى يوم القيامة، ما نفعتهم وما زادتهم إلا عتواً ، فكانت نهايتهم الغرق والدمار، والسبب في ذلك هو الاستكبار الذي يصيب الأمم، فكان طغيانهم سبباً في نهايتهم.

الحوار في قصّة سيدنا موسى عليه السلام

إنّ الحركةَ مبعثُ الحياة ومنشأ التطوّر، والحوارُ لونٌ من ألوان الصراع والتنازع من أجل الإقناع ، فالحركة في قصة سيدنا موسى عليه السلام ليست مقصورة على الأشخاص وتنامي الأحداث وترتيب الزمن فحسب إنما تعدّت هذا إلى حركات الذهن والنفس وما يجول في الخاطر ويدور في خَلَد صاحب الشخصيّة ويخرج إلى الأسماع، وهذا ما تتسم به قصة موسى عليه السلام حيث"تتراوح بين السرد والحوار المنطقي، جمع هذا الأسلوب من الدعوة الإلهية بين الترغيب والاستمالة وبين التهديد والتحذير"[2] في قصة موسى عليه السلام مساحةٌ زمنيةٌ تسهم في تصوير الجوّ العام للقصة وتكمل الدور الفعّال للشخصيات المتعددة وتطوّر الصراع المحتدم

[1]- سورة يوسف ، من الآية 76.

[2] - التهامي النقرة، سيكولوجية القصة القرآنية ، مرجع سابق، ص 417.

لرفع الأحداث وإحياء القصة وبث الروح بين ثناياها في الوقائع التي مرّت عليها دهور وتطاولت عليها أزمنة." ولم يلتزم القرآن الكريم منهجا واحداً في إقامة البناء الحواري، فالكلمات في الجمل الحوارية موحية مناسبة للحال داعية للمقام مما يجعله ذا مغزى عميق واثر بعيد تغني عن التشخيص والتمثيل"[1].

ومن أهم مقومات الحوار امتلاك القوة والإعداد الكامل قبل الدخول في أي عملية تأسياً بموسى عليه السلام إذ تمثلت عناصر القوة بأخيه هارون وكذلك معجزة العصا واليد البيضاء.

كما يجب على الداعية المحاور أن لا ينتصر لذاته بقدر ما يجب عليه أن يحرص على انتصار الدعوة وتفوق الرسالة فموسى عليه السلام عندما طلب من الله عزّ وجلّ أن يرسل معه أخاه هارون رداءاً يقنع به فرعون بسبب اللثغة في اللسان منذ الصغر.

استشعار معونة الله ومعيته حتى يقوى على مواجهة المواقف الحرجة ويتمكن من تجاوز كل العراقيل والصعاب التي قد تعترضه في طريق تبليغ دعوة الحق، وهذا واضح في قوله تعالى لموسى عليه السلام :(قَالَ كَلاَّ فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ[2].

يظهر من خلال النص الحواري أنّ موسى يمتلك الجرأة في قول الحق بلا حذر ولا تدرج منذ الوهلة الأولى للحوار وهذا من حقه لأن الله تعالى طمأنه وعهد إليه بألاّ يمسه سوء من فرعون، ولم يثنه استهزاء فرعون وسخريته وتهديده ليبعده عن هدفه .

"من أهمّ ما تقنيات المحاوِر كان يمتلك نواصي المحاوَر ونفسيته، فموسى عليه السلام أول ما بدأ حواره مع فرعون أصاب عقدة فرعون عندما ادّعى الربوبية،" [3] فقال له في قوله تعالى : (فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ العَالَمِينَ[4].

ومن أهم تقنيات الحوار التدرج في إقامة الدليل والحجة وعدم إدراجها دفعة واحدة بل الاقتصار على الضروري حسبما يتطلبه الموقف وتقتضيه الحاجة إلى البيان والإقناع، كما في قصة موسى عليه السلام حيث أخّر أمر معجزاته ولم يظهرها إلاّ في الوقت المناسب عندهما هدده فرعون بالسجن والقتل.

استمع فرعون إلى حديث موسى ضَجِراً شبه هازئ وقد تصوره مجنوناً تجرّأ على مقامه السامي، ثم سأل فرعون موسى عليه السلام : ماذا يريد؟ فأجاب موسى: إنّه يريد أن يرسل معه بني إسرائيل، ويعجب فرعون وهو يرى موسى يواجهه بهذه الدعوى العظيمة، ويطلب إليه ذلك الطلب الكبير فآخر عهد فرعون بموسى إنهم ربوه في قصره بعد أن

---

[1] - عبد المرضي زكريا، الحوار ورسم الشخصيات في القصص القرآني، ص 52 .
[2] - سورة الشعراء، الآية 15 .
[3] - إدريس وهنا، مجلة منار الإسلام، العدد 24، المدينة المنورة، 1424هـ. ص 14.
[4] - سورة الشعراء، الآية 16.

التقطوا تابوته وأنه هرب بعد قتله للقبطي الذي وجده يتعارك مع الإسرائيلي فما أبعد المسافة بين آخر عهد فرعون بموسى إذن وهذه الدعوى العظيمة التي يواجهه بها بعد عشر سنين ومن ثم بدأ فرعون يذكره بماضيه يذكره بتربيته له فهل هذا جزاء التربية والكرامة التي لقيَها عندهم وهو وليد، ليأتي الآن ويخالف ديانتهم ويخرج على الملك الذي تربّى في قصره ويدعو إلى إله غيره، فيذكره فرعون بحادث مقتل القبطي في تهويل وتجسيم. فلا يتحدث عنها بصريح العبارة في قوله تعالى: (وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ. ظن فرعون أنه ردّ على موسى رداً لن يملك معه جوابا. إلاّ أن الله استجاب لدعاء موسى من قبل فانطلق لسانه:(قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ فعل تلك الفعلة وهو جاهل، اندفع اندفاع العصبية لقومه لا اندفاع العقيدة التي عرفها اليوم بما أعطانه ربه من الحنكة فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ. فقسم الله له الخير فوهب له الحكمة وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ. ويكمل موسى حواره مع فرعون بنفس القوة: (وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ عند هذا الحد تدخل الفرعون في الحديث قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ قال موسى رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إن كُنتُم مُّوقِنِينَ التفت فرعون لمن حوله وقال هازئا أَلَا تَسْتَمِعُونَ قال موسى متجاوزا سخرية الفرعون:رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ قال فرعون مخاطبا من جاءوا مع موسى من بني إسرائيل: (إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُون عاد موسى يتجاوز اتهام الفرعون وسخريته ويكمل:(رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ نلاحظ أن فرعون لم يكن يسأل موسى عن رب العالمين أو رب موسى وهارون بقصد السؤال البريء والمعرفة إنما كان يهزأ، ولقد أجابه موسى إجابة جامعة مانعة محكمة قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى . لم تؤثر هذه العبارة الرائعة والموجزة في فرعون وها هو ذا يسأل: (فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى. لم يزل فرعون ماضيا في استكباره واستهزائه، ويرد موسى رداً يستلفته إلى أن القرون الأولى التي لم تعبد الله، وإنها لن تُتركَ بغير مساءلة وجزاء، كل شيء معلوم عند الله تعالى هذه القرون الأولى عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ أحصى الله ما عملوه في كتاب. (لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ". أي لا يغيب عنه شيء، ليطمئن الفرعون بالاً من ناحية القرون الأولى والأخيرة وما بينهما، إن الله يعرف كل شيء ويسجل عليها ما عملته ولا يضيع شيئا من أجورهم، ثم استلفت موسى نظر فرعون إلى آيات الله في الكون ودار به مع حركة الرياح والمطر والنبات وأوصله مرة ثانية إلى الأرض، وهناك أفهمه أن الله خلق الإنسان من الأرض وسيعيده إليها بالموت، ويخرجه منها بالبعث، إن هناك بعثاً وسيقف كل إنسان يوم القيامة أمام الله تعالى لا استثناء لأحد بما في ذلك الفرعون"[1] بهذا جاء موسى

[1] - أحمد حمزة ، مجلة لواء الإسلام ، العدد السادس، السنة الثانية والعشرين، القاهرة، 1968م، ص 12.

مبشرا ومنذراً، لم يعجب فرعون هذا النذير، وتصاعد الحوار بينه وبين موسى فالطغيان لا يخشى شيئا كخشيته يقظة الشعوب، وصحوة القلوب ولا يكره أحدا كما يكره الداعين إلى الوعي واليقظة، ولا ينقم على أحد كما ينقم على من يهزّون الضمائر الغافلة، لذلك هاج فرعون على موسى وثار وأنهى الحوار معه بالتهديد الصريح وهذا هو سلاح الطغاة عندما يفتقرون للحج والبراهين والمنطق: (قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ).إلا أن موسى -عليه السلام- لم يفقد رباطة جأشه، وبدأ الإقناع بأسلوب جديد، وهو إظهار المعجزة (قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ) فهو يتحدى فرعون، ويحرجه أمام ملأه، فلو رفض فرعون الإصغاء، سيظهر واضحا أنه خائف من حجة موسى قَالَ فَأْتِ بِهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِين ألقى موسى عصاه في ردهة القصر العظيمة فكانت الحجة الدامغة لفرعون ولسحرته.

الحوار في قصة موسى عليه السلام يقوم على المنطق والحجة الدامغة التي ترتكز على الإيمان المطلق بأن الله تعالى سينصره لأنه على الحق، والهدف من إبلاغ الدعوة إلى فرعون وملئه كما أمره الله تعالى.

الزمان والمكان في قصّة سيدنا موسى عليه السلام

يرى بعض الباحثين أنّ قصة موسى عليه السلام لا يعنيها ذكر المكان والزمان إلاّ بقدر ما يخدم الأحداث المهمة " لأنّ الأحداث فيها والأشخاص لا يرتبطان بزمان ومكان معينين كالقصة الفنية الحديثة التي يلبسانها صورة الواقع وتشخيص الأحداث في جو البيئة التي جرت فيها وكل ما يتصل بهذه من ظروف وعادات لها تأثير في أخلاق الأشخاص وتصرفاتهم"[1]. ولكن قصة موسى عليه السلام قصة تاريخية واقعية حدثت في مكان ما وزمان ما ساقها ربّ العزّة لأهداف سبقت، فنرى الزمان والمكان واضحين فيها وأنّ لهما مكانهما الملحوظ في قصة موسى عليه السلام يعملان على تقدم سير الأحداث ونمّوها ولكن ليس لاستخدامهما قاعدة محددة إنما هو أداة طيّعة تُسخَر لضبط حركة الحدث وانتظام سيره "والقصص القرآني ينظر إلى الزمن على أنه اليد الحاملة للأحداث والمحركة لها وبغيره تهوى الأحداث و تتساقط ميتة بلا حراك"[2].

والزمن في قصة موسى عليه السلام يأتي على صورة الماضي دائما، لأن أحداثه هي مما وقع في الأزمان الماضية مع ذلك فإن لكل قصة زمنها الخاص بها، يبدأ من نقطة محددة من الزمان الماضي ثم يسير للأمام محدثا التقدم و النمو في سير الأحداث كما كانت في واقع الحال. وبالنظر إلى الزمن الأساسي الذي بدأت به قصّة موسى عليه السلام هو الرؤية التي رآها فرعون لا ندري كم الزمن استغرق حتى وُلِد سيدنا موسى عليه السلام ومن ثمّ دخوله القصر إلى أن بلغ أشدّه، فنرى البطل هنا شاباً بعد أن كان طفلاً، ومن هنا بدأت الأحداث تتقدّم زمنياً بتحديد مقتل القبطي

---

[1] - أحمد نوفل، سورة يوسف دراسة تحليلية، ص 54.

[2] - عبد الكريم الخطيب ، القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه ، ص 86.

والعراك مع القبطي الآخر في اليوم التالي مباشرة ثم هروبه إلى مدين وقضاء عشر سنوات، "مع ملاحظة الأثر الواضح في طي بعض المراحل التي لا حاجة إلى ذكرها أو الخوض في تفصيلاتها "[1]، ومن ثمّ خروجه ليلا وشتاءً كما تدلّ الآية الكريمة :(فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَاراً قَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ[2]. فيتقدّم الزمن ويتسارع حتى لقائه فرعون، وحشر الناس في وقت الضحى، ثم قفز على الزمن ولا كم الزمن قضى موسى عليه السلام في مصر قبل أن يهدده فرعون بالقتل وكم من الزمن قضى فرعون وقومه والابتلاءات التي حلّت بهم حتى غرق فرعون، وخروج موسى من مصر إلى سيناء، وقد اتفق زمن ذهاب موسى عليه السلام للقاء ربه والتيه في صحراء سيناء في العدد مع اختلاف المعدود أربعين ليلةً في اللقاء وأربعين سنةً في التيه.

من التقنيات الزمنية الخاصة التي تعني القفز عن زمن معين أو استحضار أزمنة أخرى ونجد هذا في قصة موسى عليه السلام بشكل واضح حيث يتم القفز من زمن القصة إلى الخاتمة كما في سورة النازعات والعنكبوت اللتان لم تفصّلا القصة كما فصّلت سورة طه أو يونس وتظهر خاصية القطع أيضا في استحضار مفردات زمنية غائبة تخدم القصة ليست على ترتيب القصة، مثلا في سورة الأعراف ذكرت السورة زمنين معاصرين في وقت واحد هما قصة هارون مع قوم موسى عليه السلام إثناء ذهاب موسى عليه السلام للقاء ربه وما دار بينهم من جدال حول العجل وهو نفس الجدال الذي فصّلته سورة طه تداخلا مع قصة السامري في نفس الوقت قصة موسى عليه السلام مع ربه وأخذه الألواح وطلبه رؤيته الله وما يمكن أن نطلق عليه عبارة (وفي تلك الأثناء) لتعاصر الحدثان، فتقوم القصة باستحضارهما معا.

ومع ذلك فإن ترتيب الوقائع زمنيا بحسب الوقوع في القصة إنما يترتب على الطريقة التي يكون فيها التذكير أبلغ أو الغرض الديني مقدم، أو الهدف منها العبرة التي تتجسّد في صورة حية عبر أحداث الماضي، ففي واقعة قصة البقرة توزع الزمن وتتحرك أجزاؤه ولم تجرِ في القرآن الكريم على ما وردت عليه في الواقع من حيث الزمن حيث تقدم الأمر بذبح البقرة على ذكر القتيل، وضربه بعضها ببعض وقد رتبها القران الكريم كذلك ليتم تقريعهم على الاستهزاء الذي ظهر منهم عندما أمروا بذبح البقرة، وكذلك تقريعهم على قتل النفس المحرمة فيتم الغرض من وراء عكس الترتيب الزمني حتى تتم التثنية في التقريع والسر في بنائها هكذا يعمل على إثارة عنصر التشويق في القصة للبحث عن معرفة السبب في ذبح البقرة ، و كذلك لإعادة التوبيخ وتكريره.

---

[1] - مأمون فريز جرّار ، خصائص القصة الإسلامية، ص 88 .

[2] - سورة القصص ، الآية 29.

كما أن أجزاء الزمن في القصة تظهر حين يستدعيها المقام فها هو موسى عليه السلام يختار موعداً لمبارزة السحرة، إنه يوم الزينة، وفي جزء منه .قال موعدكم يوم الزينة وأنْ يُحشرَ الناسُ ضحى ذلك لأن هذه المهم من الزمن لها يد في سير أحداث القصة فقد كان ظرف الضحى الذي اختاره موسى عليه السلام من اجل أوقات النهار وفيه يكون الناس على أتم الاستعداد الذهني والاستحضار العقلي للتلقي ومن هنا يضمن موسى تأييد الحضور لمعجزته وتأكيدها، كما سينكشف لهم معارضة السحرة وزيف سحرهم في ذلك الوقت المبكر من النهار ولو كان موسى ساحرا كما يدعون لاختار أواخر النهار أو أواخر الليل حيث الإعياء الذهني و التعب وعدم القدرة على التمييز لأن العقول ستكون بحاجة إلى الراحة والاستجمام " ويوم الزينة هو يوم عيد وموسم فرح لقدماء المصريين يحتفلون فيه ابتهاجا بأن النيل قد وفي بما عليه من التزام بماء الفيضان إلى منسوب معين فتزرع الأرض وتورق الأشجار وتحصد الزرع لهذا يقام في هذا اليوم من كل عام مهرجان ديني كبير يحضره الفرعون والأمراء ورجال الدين وحكام المقاطعات وكبار رجال الجيش وجميع طوائف الشعوب"[1] لذلك حدّده موسى لتعمَّ الرسالة للدعوة بأقرب طريق.

" كما أن هذه الجزئيات من دلالات الزمن لا تنتهي في القصة من التصريح بها كيوم و ليلة وساعة، ولكن هناك دلالات أخرى تعمل على دفع الحدث حيث تطل عليه فتبدو واضحة في سماته "[2]

فنحسُّ بالزمن يطلّ على حادثة الطور بعد قضاء الأجل (عشر سنين) في مدين، فكل هذه عناصر زمنية تدفع بالأحداث وتحركها ويلاحظ في هذه الدلالات الضمنية أن محتوى أغلبها مما لا يحفلُ القران الكريم بتفصيلها بل يكتفي بالإشارة الضمنية إليها، فالقرآن يقبض من الزمان ما فيه العظة وما يحمل في جوفه الحكمة من ذكره، الزمن طويل خلال بطش فرعون لبني إسرائيل منذ رؤيته حيث بدأ قتل المواليد الذكور حتى شح العمالة بسبب قتل الأولاد حتى كبر موسى. الفجوات بين الجمل ملحوظ فيها عامل الزمن كالقفزة بين مولد سيدنا موسى عليه السلام وبلوغه أشدّه والعشر السنوات التي قضاها في خدمة الشيخ،

وهناك زمان داخلي يدل على المدة التي استغرقها وقوع الحدث، وهو ما يظهر حين يكون له دور في إلقاء الضوء على الأحداث و يختفي حين لا يكون له ذلك الدور.

وهناك زمن تبينه دلالات الأفعال وظروف الزمان ويذكر ليتضامن مع الأحداث والأفكار فيزيد من تأثير القصة وذلك حينما يكشف القرآن الكريم عن المدة التي غابها موسى فمكّنت السامري من صنع العجل وفتنة بني إسرائيل، فالزمن هنا يوحي بما بعده ويمهّد له في قوله تعالى: (على حين

---

[1] - عبد المرضي زكريا، الحوار ورسم الشخصيات في القصص القرآني، مرجع سابق ، ص 29.

[2] - محمد صفوت، كتاب القصص في القرآن الكريم ، مرجع سابق، ص 41.

غفلة) فيوحي بأن الدخول كان غير معتاد وبالتالي فإن ما بعده من الأحداث كان غير معتاد ثم بعد مقتل المصري و مرور الوقت العصيب يأتي الزمن ليكون إطارا للحالة النفسية .

"أما المكان فهو للأحداث أشبه بالوعاء الحامل لها، على حين يكون الزمن هو اليد الحاملة لهذا الوعاء، يأتي في المنزلة بعد الزمن، لان الزمن يؤثر في الحدث بصورة مباشرة سواء كان ظاهراً أم مضمراً. فكل تطور يحدث للحدث ،أو كل انتقال يتم لا يتم إلا في الزمن"[1] .

فالمكان ليس له تأثير مباشر في الحدث وتطوره فهو قد يتطور وينمو في مكان واحد، وقد لا تكون هناك ضرورة أصلا لذكر المكان إلا إذا كان ذا طبيعة خاصة تشخّص الحدث أو البيئة التي يجري فيها الحدث، أو تؤثر على أخلاق الأشخاص وتصرفاتهم ويضفي انطباعا على أشخاصها، مثل (مصر) التي أضفت انطباع الغرور، والطغيان في شخص فرعون الذي ورث ملكها من آبائه فاستولى على كل خيراتها حتى شعبها،مما أدى إلى رفض الإذعان للحق، يقول ربّ العزّة : (وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلاَ تُبْصِرُونَ [2]،

أما المدينة هي المكان الذي يعيش فيه فرعون وبه يوجد قصره، وكذلك هي المكان الذي يوجد به السحر والضلال كما يوجد به الصالح والطالح والكفر والإيمان، فذكرها رب العزة لارتباطه بغاية القصة وحقيقة المعجزة التي تلتزم صدق نبوة موسى عليه السلام مع ملاحظة عدم ذكر اسمها لعدم فائدته.

أما مدْيَن فقد أضفت الشعور بالمسؤولية وقوة الاحتمال التي تزوّد بها موسى عليه السلام قبل التكليف، وطور سيناء ذلك المكان المقدّس الذي بدأ سيدنا موسى عليه السلام رسالته من وادي طوى، في الوادي الأيمن من البقعة المباركة، مع ملاحظة تحديد المكان بدقة متناهية، فلا بدّ من ذكر هذه الأماكن بصفتها التامة التي يمكن أن تحدد، فقال تعالى : (فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الوَادِ الأَيْمَنِ فِي البُقْعَةِ المُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ العَالَمِينَ[3].

ويلاحظ أيضاً ذكر المكان مجرداً كالمكان الذي وُضع فيه موسى وهو رضيع والمكان الذي قابل فيه القبطي والإسرائيلي وكذلك مجمع البحرين الذي التقى فيه العبد الصالح " فقد اختلف العلماء والمفسرون حول مكان مجمع البحرين في غرب سيناء وقال آخرون إنه موضع التقاء خليج العقبة وخليج السويس وقال فريق ثالث إنه التقاء النيل بالبحر الأبيض المتوسط "[4]

---

[1] - محمد صفوت، كتاب القصص في القرآن الكريم، ص 43.
[2] - سورة الزخرف ، الآية 51.
[3] - سورة القصص ، الآية 30.
[4] - أحمد حمزة ، مجلة لواء الإسلام ، مرجع سابق، ص 33.

ومن هنا يمكن القول إنّ للمكان حضوراً في القصة، فإن قصّة موسى عليه السلام يذكره ذكراً جغرافياً محدداً كمصر والمدينة، أو غير محدد وإنما باعتباره مسرحاً للحدث كمدين، أو يذكر صفة المكان مثل الأرض المقدّسة " لبيان قداسة تلك الأرض من جهة وتحفيز بني إسرائيل على استرخاص ما يبذلونه في سبيل دخوله من جهة أخرى "[1]، أو يذكره مرتبطاً ببعض الظواهر الطبيعية كمجمع البحرين.

وإنّ المكان والزمان وسيلتان لإزالة الإبهام وليستا غاية في حدّ ذاتها، أمّا القدر الذي تشتملان عليه فإنه محسوب بحيث لا يطغى على الأحداث وفي الوقت نفسه هما رهن لها وما تحمله في جوفها من عظات.

الحبكة الفنية في قصّة سيدنا موسى عليه السلام

الحبكة الفنية في قصة موسى عليه السلام عنصر من عناصر التشويق والخيوط التي يُنسج منها جسد القصة فلا بدّ من إحكامها من بدايتها كما سبق إنّ قصة موسى عليه السلام بدأت خيوطها بذكر المسرح الذي تدور فيه الأحداث وهي مدينة فرعون مصر وذلك قبل ميلاد موسى عليه السلام وتهيئة لاستقبال المولود الذي حكم عليه بالموت قبل أن يرى النور والظروف التي تحيط بالمنطقة أي أن العقدة بدأت منذ اليوم الأول، ومن ثم تشهد القصة تنامياً ملحوظا ومطرداً وبمجرد دخوله القصر تهدأ الأحوال حتى لا نرى له حسّاً إلاّ وهو شاب قوي، ثم تبدأ مشوار المعاناة من جديد الذي يتكلّف بها فقد حملوها عنه وهو صغير وها هو يحمل تجربته ويتكفل بها، ثم تهدأ الأمور بعد أن هرب من مصر إلى مدين لتبدأ رحلة المشقة من جديد بعد قرار رحيله وأهله وسار في ظلمات الليل وقسوة الظروف البرد والمطر.

فالعقدة الحقيقية بدأت خيوطها تحكم بعد الدعوة التي أُلقيت على عاتق سيدنا موسى عليه السلام وهي دعوة جاءت في وقتها بعد أن استفحل الفساد وانتشرت الفوضى وعاث الفرعون في البلاد لا أحد يستطيع اعتراضه أو الوقوف أمام صلفه وجبروته. فبدأ الخوف يدبّ في أوصال سيدنا موسى عليه السلام فثبتّ الله قلبه بالمعجزات التي كانت أيضا مصدر خوف جديد، وبعد أن هدأت نفسه وأخذ عصاه التي رجعت إلى سيرتها الأولى وذهب إلى فرعون وفي طريقه أخذ معه أخاه هارون ليشدّ عضده، وقوفه أمام الطاغية لم يكن بالأمر الهيّن، ولكنه جمع قواه وواجهه بكل قوة.

من الملاحظ تنامي الأحداث بصورة سلسة ومنطقية مع الإحساس بخوف موسى وأخيه أثناء المجادلة حتى لا يبطش بهم وبالفعل هدد بسجنهم، ومن ثم إظهار المعجزات ثم الابتلاءات، لم ينثني فرعون من موقفه مع اقتناعه بنبوة موسى عليه السلام .

ذروة القصة وعقدتها في إحكام الخناق حول موسى حتى حاول الهرب من فرعون وهو أمام البحر أدرك قومه أنهم هالكون لا محالة، فقال كلمة

[1] - مأمن فريز جرار ، خصائص القصة الإسلامية ، ص 91.

الواثق من أن الله سينجيه في قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ* قَالَ كَلاَّ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ* فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ البَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ العَظِيمِ* وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الآخَرِينَ* وَأَنجَيْنَا مُوسَى وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ* ثُمَّ أَغْرَقْنَا الآخَرِينَ﴾[1].

وبغرق فرعون وقومه انحلّت العقدة فجأة وزال الخطر الذي كان يحدق به ويقف أمام دعوته الله ، ثم بدأت مرحلة جديدة حيث تظهر له جزء من أخلاق قومه والفتن التي واجهها منهم والمحن التي مرّت عليه في اتخاذ العجل والتيه وأصحاب البقرة وطلبهم أن يروا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة ، كل هذه الأمور كانت سبباً في الانفعال الذي يصيب موسى عليه السلام ولكن سرعان ما يعود إلى دعوته ثانيةً

قصة موسى عليه السلام ذات حبكة متماسكة لأنها تروي مسيرة بطل من قبل ميلاده حتى وفاته مرورا بمنعطفات خطيرة وبعقبات صعبة ويخرج منها من موت محقق وبمعجزات إلهية وعناية ربانية ، تنال حظها من عناصر التشويق والإثارة والمفاجآت والمعجزات والخوارق التي لعبت دوراً بارزاً في رسم الأحداث وانفراج الأزمات ووجود الصراع الذي منح القصة الحركة ودفع بأحداثها إلى النمو والتطور مكا أحدث التفاعل بين الأشخاص، كل ذلك عملت على شدّ القارئ وجذبه.

أما النهاية فكانت طبيعية حيث أنزل الستار بحرمان القوم من دخول الأرض المقدسة يتيهون في الأرض أربعين سنة عقاباً لهم وفي هذه الأثناء يختار موسى عليه السلام جوار ربه ويسبقه هارون عليه السلام .

---

[1]- سورة الشعراء ، الآية 66.

المبحث الثالث: خصائص قصة سيدنا موسى عليه السلام
التكرار في قصة موسى عليه السلام

من أكثر قصص القرآن الكريم تكرارا قصة سيدنا موسى عليه السلام فقد تكرر أغلب حلقاتها المكوّنة لجسمها في كلٍّ من سورة طه والأعراف والقصص والشعراء ويونس والنمل والزخرف وجاء ذكر بعضها في سورة غافر والذاريات والكهف والبقرة وترتبط بها عدد من المواضع منها قصة سيدنا هارون عليه السلام نطّلع من خلالها على قصة بني إسرائيل وصراعهما مع الطاغية فرعون، " ولكن هذا التكرار لا يتناول القصّة كلّها – غالباً – إنما هو تكرار لبعض حلقاتها ومعظمه إشارات سريعة لموضع العبر فيها أمّا جسم القصّة فلا يكرر إلاّ نادرا ولمناسبات خاصة في السياق"[1]، فقد اتسمت قصة موسى عليه السلام بالتكرار لدواعي تربوية ودعوية والنفس البشرية تحتاج إلى تذكير وتأكيد لتحقيق التنبيه والتخويف. فكلُّ نصٍّ ورد في سورة من السور موافق وملائم للروح العامة للسورة ففي سور طه فيها امتداد وبيان للتذكرة وما أنعم به على موسى ليطمئنّ قلب النبي صلى الله عليه وسلم.

ويمكن تقسيم جسم قصّة موسى عليه السلام من حيث تكرارها إلى حلقات أهمّها:

1- المناجاة بين موسى وربّه والتي تكررت في سورة طه .إِذْ رَأَى نَاراً فَقَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى* فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى* إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى* وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى* إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي* إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى[2]. والقصص فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ[3]. والشعراء والنمل.

2- المواجهة بين موسى وفرعون والتي تكررت في سورة طه والأعراف. وَقَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ* قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ وإبراهيم وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاءٌ مِّن

---

[1] - سيد قطب، التصوير الفني في القرآن ، ج 7 ، ص 128 .
[2] - سورة طه الآية 10- 15.
[3] - سورة الأعراف الآية 128.

رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ[1]. والبقرة .وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ العَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاَءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ[2]. والقصص إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ المُفْسِدِينَ[3].

3- خروج موسى عليه السلام بقومه وهلاك فرعون وجنده وقد تكررت في طه والقصصوَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لاَ يُرْجَعُونَ* فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي اليَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ[4]. والأعراف .فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي اليَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بَآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ[5].

4- فتنة عبادة العجل وما تفرع منها من محاكمة السامري وعودة موسى من الميعاد والرجفة فقد تكررت في سورتي طه وقَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَاراً مِّن زِينَةِ القَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ[6]. والأعراف .إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا العِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي المُفْتَرِينَ[7].

بينما اكتفى التفصيل الوارد في سورة البقرة بتذكير بني إسرائيل نعم الله عليهم وتوزع الخطاب بين بني إسرائيل واليهود.

أمّا حلقة الميلاد والنشأة وقتله القبطي وهروبه إلى مدين فقد فُصِّلَت في سورة القصص وأشير إليها بإشارة في سورة الشعراء :(قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ* وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الكَافِرِينَ[8].

أما لقاؤه مع فرعون وحواره بوجود السحرة فقد وردت في قوله تعالى: (فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الغَالِبُونَ* فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ* فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ* قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ العَالَمِينَ* رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ* قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لأَقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلافٍ وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ[9].

وفي مشهد مشابه، لننظر الاختلاف في قوله تعالى : (قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ* وَأَوْحَيْنَا إِلَى

---

[1] - سورة إبراهيم الآية 6.
[2] - سورة البقرة الآية 49.
[3] - سورة القصص 4.
[4] - سورة القصص الآية 40.
[5] - سورة القصص الآية 136.
[6] - سورة طه الآية 87 .
[7] - سورة الأعراف الآية 152.
[8] - سورة الشعراء الآية 18-19 .
[9] - سورة الشعراء، الآية 49 .

مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ* فَوَقَعَ الحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُون* فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانقَلَبُوا صَاغِرِينَ* وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ* قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ العَالَمِينَ* رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ* قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي المَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ[1].

وإذا قارنّا بين المشهدين في تهديد فرعون للسحرة الذين آمنوا لموسى عليه السلام ، في قوله تعالى قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلافٍ وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَاباً وَأَبْقَى* قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ البَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الحَيَاةَ الدُّنْيَا* إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى[2].

والآيات التالية في قوله تعالى : (قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلافٍ وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ* قَالُوا لاَ ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ* إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَن كُنَّا أَوَّلَ المُؤْمِنِينَ* وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ[3].

ومن خلال ما تقدم يتضح أنّ قصة موسى عليه السلام يمكن أن تدرس موضوعا قائما بذاته بإعادة ترتيب أحداثها كما هي منزلة على الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم لأجل كشف جزء من أسرار القرآن وإعجازه الذي لا يبلى ولا تنقضي عجائبه ولا تنتهي حقائقه ومظاهر إعجازه لأنه من خالق الكون العليم الخبير.

تنوع طريقة عرض قصة موسى عليه السلام

سبق القول إنّ قصة موسى عليه السلام تناثرت أحداثه في أكثر من عشرين سورة من سور القرآن الكريم ولم تلتزم في عرض الأحداث على نهج واحد، ولمّا كانت القصة في القرآن تهدف إلى مقاصد دينية وإيمانية ودعوية وتربوية فقد كانت طريقة القص في القرآن الكريم متميزةً عن المألوف في هذا الفن ، لكي يتلاءم أسلوب عرض القصة مع الوفاء بحق الغرض الذي سيقت لأجله، ومن أبرز سمات منهج القصص في القرآن ما يلي:

أن قصة سيدنا موسى عليه السلام لم ترد في القرآن بتمامها دفعة واحدة بل تقتصر على الجزء الذي يناسب الغرض الذي تساق من أجله كما يكتفي بالجملة من الآية للاستشهاد به، فقصة موسى عليه السلام مع فرعون في سورة القصص وردت في جو كأنه جو معركة لأن فيها بيان الصراع بين الحق والباطل، فتذكر السورة من القصة ما يلائم ذلك، منها

---

[1] - سورة الأعراف ،الآية 123.

[2] - سورة طه ، الآية 73.

[3] - سورة الشعراء الآية 52.

محاولة قتل موسى وهو رضيع، والتفكير في قتل أبناء الذين آمنوا معه واستحياء نسائهم، وفي سورة غافر أيضاً وصفٌ للجوّ الكئيب الذي عاش فيه سيدنا موسى في بداية حياته ثم ظهور الرجل المؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه ينصر موسى ويدافع عنه واحتيال فرعون للتهرب من دلائل الحق و براهينه إلى أن تأتي نهايته بالهلاك والعذاب الأليم وبحفظ الله لهذا المؤمن الحكيم فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب.

سبق القول إن قصة موسى عليه السلام فيها من التوجيهات والعظات والإعلان بها في ثنايا القصة وفي ختامها مما توحي به القصة من العبر والدروس والبيان القرآني، و لذلك تتنوعت طرق عرض قصة موسى عليه السلام، وفيها من البيان ما يجعلنا نقف أمام الإعجاز الرباني.

تنوع عرض المفاجأة

1- إخفاء المفاجآت عن البطل والمشاهدين إلى وقت متأخر ثم يكشف لهم السر في وقت واحد، وذلك بأن يستمر أبطال القصة في ممارسة أعمالهم دون أن يتبينوا المفاجآت كقصة موسى عليه السلام مع العبد الصالح ، وقصة انفلاق البحر بعصا موسى.

2- ومرة تذكر القصة مباشرة بلا مقدمة ولا تلخيص، ويكون في مفاجآتها الخاصة ما يغني مثال ذلك بداية قصة موسى عليه السلام :(طسم* تِلْكَ آيَاتُ الكِتَابِ المُبِينِ* نَتْلُو عَلَيْكَ مِن نَّبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ[1].وتقوم معظم أحداث قصة موسى عليه السلام على هذه الطريقة.

3- ومرة يحيل القصة تمثيلية فيذكر فقط من الألفاظ ما ينبه إلى ابتداء العرض ثم يدع القصة تتحدث عن نفسها بواسطة أبطاله كما في قصة موسى مع فرعون .

4- ومرة تذكر عاقبة القصة ومغزاها، ثم تبدأ القصة من أولها وتسير بتفصيل خطواتها، ومن ذلك في قصة موسى عليه السلام التي تبدأ برميه في البحر.

5- قد لا يكون هناك سر بل تواجه المفاجأة البطل والقارئ في آن واحد مثل قصة انفلاق البحر أمام موسى.

6- فمرة يكتم سر المفاجأة عن البطل وعن النظارة ، حتى يكشف لهم معا في آن واحد مثال ذلك قصة موسى مع العبد الصالح العالم في سورة الكهف.

7- ومرة يكتم السر عن النظارة ويكشفها للبطل، ثم يفاجأ بها النظارة كمعجزة عصا موسى عليه السلام وتحويلها إلى ثعبان مبين.

الواقعية التاريخية

[1]- سورة القصص، الآية 4 .

قصة موسى عليه السلام حقيقة تاريخية صادقة لا يرفضها عقل ولا يخالفها نقل لا تجافي المصداقية المطلقة، فهو كلام الله عزّ وجلّ أوحى به إلى النبي صلى الله علسه وسلم ما كان من أخبار سيدنا موسى عليه السلام مع فرعون وبني إسرائيل والعبد الصالح حدثت في زمن ما، يتخللها من معجزات وخوارق للعادات ومن الثوابت التاريخية أنّ سيدنا موسى عليه السلام ولد في بني إسرائيل في مصر إبّان حكم الطاغية فرعون الذي نشأ في قصره، كان قومه مسلمين أحفاد سيدنا إبراهيم وهو الذي سماهم المسلمين، لكن حكمَ الطاغوت كان مسيطرا عليهم، وكان يَسْتَذِلُهم ويؤذِيهم ، وموسى كان من جملة بني إسرائيل الذين يسكنون مصر ، هؤلاء كانوا من ذرية يعقوب ، من ذرية يوسف الصديق عليه السلام وعلى جميع الأنبياء غيره ، إخوة يوسف جاءتهم ذرية كثيرة "وبين يوسف وموسى أربعمائة عام" [1]، موسى عليه السلام نزل عليه الوحي بأن يذهب إلى فرعون ويدْعُوَه إلى الإسلام ، إلى الإيمان بالله ، وبموسى وهارون أخيه ، موسى وهارون الله تعالى أنزل عليهما الوحي ، جعلهما نبيين رسولين وهما أخوان ، ذهبا فكلماه فطغى وتجبر لكن الله تعالى نصر موسى ومن آمن به ، فخرجوا بعد أن أظهر موسى المعجزات ، أظهر فيهم المعجزات ، خرجوا من أرض مصر فجاوز موسى بهم البحر ، البحر انفلق له اثني عشر فرقا كل فريق كالجبل العظيم ، جعل الله لهم الأرض التي بين هذه الأمواج التي قامت بقدرة الله تعالى كالجبال ، كل واحدة منفصلة عن الأخرى ، جعل الله لهم يَبَسا فجاوز بهم موسى فنَجَوْا من فرعون ، "كانوا ستمائة ألف"[2]، وفرعون أراد أن يلحقهم بجيشه الجرار، كان جيشه مليونا وستمائة ألف ، ليبيدوهم على زعمهم ، فجاء فرعون ليدركهم فوجد البحر على هذه الحال التي صار إليها معجزة لموسى ، ثم هلك أمر الله البحر بأن يلتطم عليهم فهلكوا فرعون وجماعته ، ثم بعد ذلك توجه بهؤلاء الذين معه نحو بر الشام ، دخل بهم أراضي الأردن ، ثم أمر هؤلاء الذين معه بأن يتوجهوا إلى بيت المقدس ليقاتلوا الجبارين الكفار الذين كانوا مسيطرين على بيت المقدس فلم يطيعوه مع أنهم رأوا هذه المعجزة الكبيرة ،" ثم توفاه الله وتوفى أخاه هارون قبله ثم أيضا في هذه الحادثة أي حادثة وفاة أخيه فرعون، أخوه هارون " صعد هو وإياه إلى جبل فقبضه الله تعالى في ذلك الجبل (أي هارون) فلما نزل موسى قالوا له أنت قتلت أخاك، كان أرأف بنا منك هو كان أرحم بنا منك فقتلته ، افْتَرَوْا عليه ، ما كلهم (افتروا عليه) لكن بعضهم ، فأظهر الله تعالى هارون وهو ميت، حملته الملائكة ومرت به أمام هؤلاء الذين افتروا على موسى بأنه هو قتله فلما رأَوْا ذلك سكتوا ، ثم ردته الملائكة إلى حيث أُمِروا ، أَبَوْا هؤلاء أن يقاتلوا معه فتوفى الله تعالى موسى قبل دخوله بيت المقدس"[3]، قبل

---

[1] - ابن كثير، قصص الأنبياء، ص 210.
[2] - ابن كثير، قصص القرآن العظيم ص 243.
[3]- ابن كثير، قصص القرآن العظيم، ص 253.

الأرض المقدسة بمسافة قصيرة ، فهذا دليل على أن موسى أمر قومه بالجهاد ، فلو أطاعوه كانوا قاتلوا أولئك الجبابرة ، لكن النبي الذي جاء بعده وهو يوشع ، هذا كان خادمه ، فتاه الذي يسافر معه للقاء الخضر ، هذا بعدما تُوُفِّيَ موسى أنزل الله عليه الوحي فجعله نبيا ، هذا توجه ومن معه من المؤمنين إلى بيت المقدس فقاتل أولئك الكفار فانتصر عليهم ففتح بيت المقدس وطهر بيت المقدس من أولئك الجبابرة الكفار.

الإعجاز القصصي

ويظهر واضحا في رسم الشخصيات فشخصية موسى تظهر بصورة ذلك النبي الواثق بقضيته فهو يواجه تهديد فرعون باللجوء إلى الله تعالى وشخصية الرجل المؤمن تظهر من خلال الحوار شخصية الرجل الحكيم الذي يتبع المنطق المعقول مع إثارة عواطف قومه بالنداء المتكرر وشخصية فرعون تبدو بجبروتها وخبثها و إصرارها على الباطل حذف الثغرات بين الوقائع مما لا حاجة إليه لفهم القصة وذلك بطريقة فنية عجيبة اخترق بها القرآن أستار القرون ليأتي متلائما مع العرض التمثيلي الذي نما في هذا العصر إلى أبدع أسلوب وصل إليه الأدب ومن تأمل سائر قصص القرآن تبين له ما عرضناه هنا وتذوق إعجاز أسلوب القرآن في القصة وزاد إحساسه بذلك إذا لاحظ البون الهائل بين القصة في الأدب العربي و آداب العالم في عصر نزول القرآن وما تطور إليه فهمنا في العصر الحديث لما كانت القصة في القرآن تهدف إلى مقاصد دينية وإيمانية كانت طريقة القص في القرآن متميزة عن المألوف في هذا الفن ، لكي يتلاءم وأسلوب عرض القصة مع الوفاء بحق الغرض الذي سيقت لأجله ، ومن أبرز سمات منهج القصص في القرآن ما يلي:

أن القصة لا ترد في القرآن بتمامها دفعة واحدة ، بل يقتصر على الجزء الذي يناسب الغرض الذي تساق القصة لأجله ، كما يكتفى بالجملة من الآية أو شطر البيت من الشعر للاستشهاد به فقصة موسى مع فرعون في سورة غافر وردت في جو كأنه جو معركة، لأن فيها بيان الصراع بين الحق و الباطل فتذكر السورة من القصة ما يلائم ذلك: محاولة قتل موسى و التفكير في قتل أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم ثم ظهور الرجل المؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه ينصر موسى ويدافع عنه واحتيال فرعون للتهرب من دلائل الحق وبراهينه إلى أن تأتي نهايته بالهلاك والعذاب الأليم وبحفظ الله لهذا المؤمن الحكيم فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب.

استخراج التوجيهات والعظات والإعلان بها في ثنايا القصة وفي ختامها مما توحي به القصة من العبر والدروس.

الخاتمة :

كانت القصة وما زالت رفيقة الإنسان في جميع مراحله التاريخية التي مرّ بها، وقد انتشرت في العصر الحديث بدرجة كبيرة وتنوعت اتجاهاتها ومذاهبها، واستخدمت لبثّ العقائد الدينية والسياسية والفلسفية والاجتماعية، فعُرِضتْ مكتوبةً ومسموعةً ومشاهدة.

والقرآن الكريم وضع القصة في إطارها الحقيقي قوامها فيه الصدق والواقعية والفن والجمال مما أظهر دورها الفعّال في التوجيه وتقديم العبر والعظات باعتبارها جزءاً من الرسالة الإسلامية.

نتائج البحث:

1- إنّ قصة سيدنا موسى عليه السلام في القرآن الكريم تعتبر قصة كاملة تامة الأركان، أدّت مهمتها الدينية في إطار جمالي محبّب، مع إنها لم تكن غاية في ذاتها بل وسيلة من وسائل نشر الدعوة الإسلامية فقد نقلت أفكار الدين الإسلامي بطريقة فيها من اللطف الخفاء وبلاغة التعريض.

2- إضافة إلى اشتمالها على نتائج تُحقّقُ تفوُّقَ القصة في القرآن الكريم عامة وقصة سيدنا موسى عليه السلام -محور الدراسة - على القصة الحديثة واكتمال عناصرها وخصائصها وتحقيقها للأهداف وفيها من العظات والدروس ما إن تمسّك به المسلم وامتثل أوامرها فلن يضلّ.

3- ثم التآلف الطبيعي بين الغرض الديني والغرض الفني في تصوير الحدث مع تناسق عرضه في السياق الملائم له، إضافة إلى وجود الخصائص التي تفردت بها قصة موسى عليه السلام من الخوارق والمعجزات وعنصري القضاء والقدر.

4- كما احتوت على عناصر فنية إبداعية لها مكانها في عالم الفن والإبداع تمثلت في الشخصية التي لا يحفل القرآن الكريم بصفاتها الخَلْقية وملامحها الخارجية بل بالجانب الذي تقدمه في إطار الحدث الذي وضع لخدمة الهدف الذي تحمله القصة، فلذلك نال الحدث عناية فائقة بالمقارنة مع عناصر القصة الأخرى كالشخصية المحورية التي ليست محور اهتمام في ذاتها بقدر ما تحمله من رسالة، فقد جاءت متنوعة. والمكان والزمان لا تخدمان الغرض الديني لأن الدين الإسلامي يصلح لأي زمان ومكان دون تحديد. والحوار الذي سُخّر لشرح مبادئ الدعوة الإسلامية. والحبكة الفنية وعنصر التشويق اللذان لعبا دوراً بارزاً في إبراز الصراع وتماسك القصة وتوضيح مسارها.

التوصيات:

5- قصة سيدنا موسى عليه السلام في القرآن الكريم وردت بكمالها وتمامها وفصّلت حياة موسى عليه السلام المفيدة وأغفلت ما لا يفيد, فهي تحتاج إلى كثير من الدراسة والتعمّق في تحليل الأحداث التي جرت وما فيها من العبر بالإضافة إلى تحليل شخصيات القصة ونماذجها المختلفة.

6- من خصائص القصة التكرار الهادف والمعجز فقد ورد في كثير من الآيات مع الاختلاف بما يلائم الموضوع، ويمكن الوقوف عند هذا الأسلوب بالرجوع إلى كتب التفسير.

ملخص البحث:
العناصر القصصية لقصة سيدنا موسى عليه السلام في القرآن الكريم
عنوان هذا البحث الذي يحتوي على مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة تشمل النتائج والتوصيات التي خرج بها.
أما المقدمة فهي المدخل وأسباب اختيار البحث وأهميته التي تكمن في أن قصة موسى عليه السلام هي من أطول القصص التي وردت في القرآن الكريم وتتميز عن قصص القرآن الكريم بأنها القصة الكاملة من حيث الأحداث والعناصر والشخصيات والحوار والحبكة الفنية، ثمّ مشكلة البحث التي تؤكد ارتباط قصة سيدنا موسى عليه السلام بالقرآن الكريم وعلومه وتفاسيره، ثم أهداف البحث التي تهدف الديني الذي قصد منه العبر والعظات وإبراز القيمة الفنية لقصة سيدنا موسى عليه السلام من حيث اكتمال عناصرها الفنية والتكرار الهادف لبعض حلقاتها، ثم أسئلة البحث هل حققت قصة سيدنا موسى عليه السلام الغاية الدينية التي رويت من أجلها وما هو ترتيب قصة سيدنا موسى عليه السلام كيف بُنيت عناصرها القصصية. ثم منهج البحث حيث التزم المنهج التاريخي الاستقرائي التحليلي وهو ما يلائم البحث في حالة التقصي والتتبع لاستنباط العناصر القصصية وتحليلها، ثم أدوات البحث التي تتمثل في المصادر والمراجع وصفحات الانترنت.
أمّا هيكل البحث فصوله فقد قُسمت إلى ثلاثة فصول، حوى الفصل الأول القصة الفنية نشأتها ومفهومها حيث تناولنا أقوال الأدباء والنقاد في ثلاثة مباحث، تحدّث المبحث الأول عن القصة معناها اللغوي والاصطلاحي،

ثم دلفنا إلى تحليل عناصرها الأولية وفصّلناها تفصيلا تمهيداً لتحليل عناصر قصة موسى عليه السلام ، أمّا المبحث الثاني فتناول القصة الفنية منذ نشأتها وتطورها وخطواتها عبر التاريخ القديم بدءاً بقصة صراع الإنسان مع قوى الطبيعة وما نتج عنها من خرافات سيطرت على عقله، مروراً بالقصة في عصر صدر الإسلام، فقد انتقلت القصة فيه نقلة نوعية من حيث الشكل والمضمون وقد انتحت منحى آخر لتنتشل الإنسانية من تلك الخرافات إلى تفعيل العقل البشري وذلك بفضل القصة القرآنية، ومن ثم توالت التطورات في القصة في عصر بني أمية وشملت قصص القصّاص والوعّاظ في المساجد، وفي العصر العباسي وشملت المقامات ما ألّفتْ على منوالها وغدت في تنامي مطرد تقوى مرة وتضعف مرة أخرى فيأخذ عصر بعنق عصر ويؤثر السابق في اللاحق حتى انتهينا إلى مشارف العصر الحديث فأفردنا للقصة فيه مبحثاً كاملاً لما فيه من ثراء حيث أخذت تتأثر بالآداب الغربية التي وفدت إلينا عن طريق الترجمة والصحافة والطباعة؛ إبّان الحملة الفرنسية على مصر مع الاحتفاظ بالتراث العربي الأصيل، وهما يمثلان اللبنة الأولى في تكوين القصة العربية الحديثة.

أما الفصل الثاني فقد قُسِّم إلى ثلاثة مباحث, تحدّثَ المبحث الأول عن مفهوم القصة القرآنية تعريفها ومعناها اللغوي والاصطلاحي وأهدافها ومنهجيتها وأثرها في النفوس وأهمية دراستها، وتناول المبحث الثاني العناصر الفنية التي تكونت منها القصة القرآنية من الحوادث والشخصيات الحوار الزمان والمكان والمعالجة الفنية لهذه الأحداث. أما المبحث الثالث فتحدّثَ عن خصائص القصة القرآنية من حيث ترتيبها في المصحف الشريف وترتيبها حسب أحداثها وتنوع طريقة عرضها، والتكرار الهادف لعرض بعض أحداثها.

أمّا الفصل الثالث فكان لدراسة قصة سيدنا موسى عليه السلام والجانب التطبيقي فيها, فقد قُسم إلى ثلاثة مباحث تحدّث المبحث الأول عن مفهوم قصة سيدنا موسى عليه السلام والتعرف عليها من خلال القرآن الكريم والسور التي وردت فيها والأهداف التي رمت إليها وأهمية دراستها، ومنهج المفسرين في تناول قصة موسى عليه السلام ، وتحدّث المبحث الثاني عن العناصر التي تكوّنت منها قصة سيدنا موسى عليه السلام من الشخصيات فيها والأحداث التي حددت جسم القصة والحوار والحبكة الفنية وعنصري الزمان والمكان، أمّا المبحث الثالث فقد تحدّث عن خصائص قصة موسى عليه السلام من حيث ترتيبها حسب الأحداث والتكرار وما أفاد في القصة، وتنوع طريقة العرض وتنوع طريقة عرض المفاجأة، ثم الواقعية التاريخية لقصة موسى عليه السلام.

وأخيراً ختمنا البحث بخاتمة تضمنت النتائج التي تثبت أنّ قصة سيدنا موسى عليه السلام في القرآن الكريم تعتبر قصة كاملة تامة الأركان أدّت مهمتها الدينية في إطار جمالي محبّب وإنها وسيلة من وسائل نشر الدعوة الإسلامية مع تفوُّقِ قصةِ سيدنا موسى عليه السلام واكتمال عناصرها

وخصائصها وتحقيقها للأهداف وما فيها من العظات والدروس، وتصوير الحدث مع تناسق عرضه في السياق الملائم له والعناصر الفنية الإبداعية التي تحتلّ مكانها في عالم الفن والإبداع إضافةً إلى وجود الخصائص التي تفردت بها قصة موسى عليه السلام من الخوارق والمعجزات وعنصري القضاء والقدر.

والتوصيات بأنّ قصة موسى عليه السلام تحتاج إلى الكثير من الدراسة والتعمّق في تحليل الأحداث التي جرت وما فيها من العبر بالإضافة إلى تحليل شخصيات القصة ونماذجها المختلفة وأسلوب التكرار الهادف والمعجز.

Abstract

Narrative elements of the story of Prophet Moses in the quran the title of this research, contains an introduction and three chapters and a conclusion include the findings and recommendations that came out.

The entrance is made and the reasons for the choice of search and its importance lies in the fact is one of the longest stories contained in the Koranυthat the story of Moses and is characterized by the stories of the Koran as the full story in terms of events and elements and characters and the dialogue and artistic plot, then the the Holy Quran andυproblem of finding a link that confirms the story of Moses its sciences and its interpretations, and objectives of the research aimed at the religious order to which the lessons and sermons and highlight the artistic complete in terms of its substantive andυvalue of the story of Moses purposeful repetition of some circles, research questions and then you got the religious purpose which has been done for them and is the orderυstory of Moses built elements of short stories. Then the researchυof the story of how Moses methodology as committed to the historical inductive analytical approach, which fits in the case of research investigation and trace elements to develop narrative and analysis, search tools that are in the sources and references and web pages.

The structure of research chapters were divided into three chapters, the first chapter story Hawa technical origins and the concept of where we dealt with the statements writers and critics in three sections, the first part, talked about the story and the meaning of idiomatic language, and then we got to analyze the elements of primary and Vsalnaha detailed analysis of , The second topic addressedυthe elements as a prelude to the story of Moses the technical story since its inception and development and moves through history from the old story of man's struggle with the forces of nature and the resulting myths took on his mind, through the story in the era of early Islam, it had moved the story in which a quantum leap in terms of form and content Antan has a different turn to lift humanity from these myths to the activation of the human mind, thanks to the Quranic story, and then rolled in the story developments in the era of the Umayyad and included stories of retribution and preachers in mosques, in the Abbasid era included the keys to draw the example of the growing and has become increasingly stronger and weaken once again takes age age of the neck and affects the former post until finished at the outskirts of the modern era of the story which Voferdna Mbgesa fully for the richness of which are influenced or affected Western morality that came to us through the press and the translation and printing; during the French campaign on Egypt while retaining the

Arabic heritage, and represent the cornerstone The first story in the formation of modern Arabic.

The second chapter was divided into three sections, the first part, talked about the concept of the story and meaning of the Quranic definition of the linguistic and terminological and objectives, methodology and impact in the spirit and importance of studying and addressing the second part, the technical elements that once made up the story from the Koran incidents and personalities dialogue time, place and technical processing of these events. The third part, talked about the characteristics of the Koranic story in terms of ranking in the Koran and by order of events and the diversity of presentation, repetition, aimed to present some events.

And the applied side, it wasυThe third chapter was to study the story of Moses divided into three sections the first part, talked about the concept of the and identified by the Koran and the wall which listed theυstory of Moses objectives that were intended to and the importance of study and the methodology , the second topic,υof the commentators in dealing with the story of Moses personalitiesυspeaking on the elements that once made up the story of Moses and events which identified the body of the story, dialogue, plot and technical elements of time and space, while the third part, talked about the arranged in terms of events andυcharacteristics of the story of Moses frequency and reported in the story, and the diversity of view and the diversity .υof view and surprise, and historical realism to the story of Moses.

Finally, we ended the search results include a seal to prove that the story of in the Holy Quran is the complete story full of Staff has performed itsυMoses task in the context of religious aesthetic likable and that it had a means of and completenessυspreading the Islamic call with more than the story of Moses of the elements, characteristics and achievement of the objectives of what they preach lessons, and photographing the event with the consistency displayed in the appropriate context and the technical elements of his creative take their place in the world of art and creativity as well as the presence of miracles and miracles andυcharacteristics that have shaped the story of Moses the components of fate and destiny.

need aυAnd recommendations that the story of Moses lot of study and in-depth analysis of events that took place and what they learned in

addition to the analysis of the story and characters of different models and style of repetition meaningful and miraculous.

قائمة المصادر والمراجع

1- **القرآن الكريم.**
2-أحمد أبو سعد **، فن القصة**، ط 1، ج 1 ، دار الشرق الجديد، عمـان، 1959م .
3- أحمد أمين ، **فجر الإسـلام** ، ط 10، دار الكتـاب العربـي ، بيـروت، 1969م.
4- أحمد بن حنبـل، **مسند الإمـام أحمـد، المجلـد الأول** ، دار الفكـر العربي، بيروت، 1998م
5- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، **الإصابة في تمييـز الصـحابة** ، تحقيق: حسان عبد المنان، 2002م.
6- أحمـد حمـزة ، مجلـة **لواء الإسـلام**، العـدد السـادس، السـنة الثانيـة والعشرين، القاهرة، 1968.

7- أحمـد نوفـل، **سـورة يوسـف دراسـة وتحليـل**، ط 2،دار القلـم للتوزيع،عمان، الأردن، 1999م.
8- إدريـس وهنـا، **مجلـة منـار الإسـلام**، العـدد 24، المدينـة المنـورة، 1424هـ.
9- إدوار الخـراط، **القصـة والحداثـة**، ط 1، مركـز الحضـارة العربيـة، القاهرة، 2002م.
10- إقبال هيكل، المدخل **لدراسة الفنون الأدبية**، ط 1، دار قطري بن الفجاءة، الدوحة، قطر، 1982م.
11- الباقلاني أبو بكر محمد بن الطيب ، **إعجاز القرآن**، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، ط 1، ج 1، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، 1406هـ.
12-التهامي النقرة، **سيكولوجية القصة القرآنية**،الشركة التونسية للتوزيع، تونس،1971م.
13- الجاحظ أبو عثمان عمر بن بحر، **الحيوان**، ج 2، تحقيق عبد السلام هارون – مكتبة البابي الحلبي ، مصر، 1357هـ .
14- الجـاحظ أبـو عثمـان عمـرو بـن بحـر، **البيـان والتـبيين**، ط 5، تحقيق:عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي ،القاهرة، 1985م.
15- جميل سلطان، **فن القصـة والمقالـة**، ط 1، دار الأنـوار، بيـروت، 1967م.
16- حسام الخطيب، **سبل المؤثرات الأجنبية وأشكالها في القصة السورية**، ط 5، مطابع الإدارة السياسية، دمشق، 1991م.
17- حسين القباني، **فن كتابة القصة**، ط 2، مكتبة المحتسب، عمـان، الأردن، 1974م.
18- زكي مبارك ، **النثر الفني فـي القـرن الرابـع الهجـري** ، ط 1، المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، مصر، 1987م.
19- السباعي بيومي ، **تاريخ القصة والنقد فـي الأدب العربـي،** ط 1، مكتبة الانجلو مصرية ، القاهرة، 1956م.
20- سعيد عبد العظيم، **عظات وعبر فـي قصـص الأنبيـاء**، ط 1، دار الإيمان الإسكندرية، 2002م.
21- سعيد محمد اللحـام، **قصص القـرآن الكريـم**، ط 1، دار ومكتبـة الهلال، بيروت، 1987م.
22- سعيد الوراقي، **اتجاهات القصة القصـيرة فـي الأدب العربـي المعاصر في مصر** ، ط 2، دار المعارف، مصر، 1984م.
23- السيد عبد الحافظ عبد ربه، **بحوث في قصص القرآن**، ط 1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1972م.
24- سيد قطب، **التصوير الفني في القرآن**، ط 1، دار الشروق, بيروت، 2004م، ص 139.
25- سـيف الـدين الكـاتب ، **قصص الأنبيـاء**، ط 1، دار ومكتبـة الهلال، بيروت، 1988م.

26- صلاح رزق، **القصة القصيرة** دراسة نصية لتطور الشكل الفني، ط 3، دار غريب، القاهرة، 2001م.
27- الطبري أبو جعفر محمد بن جرير ، **تاريخ الطـبري** تاريـخ الملـوك والرسل ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيـم، ط 4، دار المعـارف ، مصـر، 1960م.
28- عبـد البـاقي احمـد سـلامة ، **مجلة الازهر** ،ج 10 السـنة 53، مكـة المكرمة ،1981م.
29- عبــد الكريــم الخطيــب، **القصــص القرآنــي فــي مفهــومه ومنطوقه**، دار السنة المحمدية، القاهرة، 1964م.
30- عبد الله بن المقفع ، **كليلة ودمنة**، تحقيق: محمد أمين فرشوخ، ط 1، دار الفكر العربي، بيروت، 1990م.
31-عبد المحسن بدر طه ، **تطور الرواية العربية الحديثة في مصر**، ط 1، دار المعارف، مصر، 1963م.
32- عبد المرضي زكريا، **الحوار ورسم الشخصـيات فـي القصـص القرآني**، ط 1، مكتبة زهراء الشرق، بيروت،1997م.
33- عدلي علي حماد، **مجلة البيان** ، العدد 112، السنة 11، ابريل 1997م.
34- عـز الـدين إسـماعيل، **الأدب وفنـونه**، ط 8، دار الفكـر العربـي، القاهرة، 1983م.
35- عفيف حاطوم (ترجمة وتحقيـق) ، **ألف ليلـة وليلـة** ، دار صـادر، 2003م.
36- علـي عبـد الخـالق علـي، **الفن القصصـي طـبيعته وعناصـره ومصادره الأولى**، ط 1 ، دار قطري بن الفجاءة ،دولة قطر، 1987م .
37- عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بـن عمـر بـن كـثير، **صحيح قصـص الأنبياء**، ط 2، غراس للنشر والتوزيع، الكويت، 2002م.
38- عمر الدسوقي، **نشأة النـثر الحـديث وتطـوره**، ط 1، دار الفكـر العربي، القاهرة، دت.
39- عمـر فـروخ، **تاريخ الأدب العربـي**، ط 1 ، دار العلـم للملايـين ، بيروت ، 1982م.
40- عمر فروخ، **تاريخ الجاهلية** ،دار العلم للملايين، بيروت ، 1964م .
41- فـاروق خورشـيد ، **فـن الروايـة العربيـة** ، ط 2، دار الشـروق، القاهرة, 1975.
42- فضل حسن عباس، **قصص القـرآن الكريـم**، ط 1، دار الفرقـان للطباعة والنشر، عمان، الأردن، 2000م.
43- مأمون فريز جرّار ، **خصائص القصّة الإسلامية**،دار المنارة للنشـر والتوزيع، جدّة، دت.
44- محمد أحمد خلف الله، **الفن القصصي في القرآن الكريـم**، ط 3 ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة 1965م.

45- محمد بن أبي بكـر الـرازي ،**مختار الصـحاح**، دار المعـارف، مصـر، د.ت .
46- محمد بن إسحاق، **المبتدأ في قصـص الأنبيـاء**، ط 1، مؤسسـة الانتشار العربي، بيروت 2006م.
47- محمد حسن يزبك، **مجلة المعارج، المجلد الثاني، العددان الثالث عشر والرابع عشر**، 1992، بيروت، المعهد الثقافي للتخصص والدراسات القرآنية.
48- محمد الخضيري ، **مجلة الأسرة**، العدد الأول، مكتبة الرياض، 1993م.
49- محمد خير عدوي ، **العبرة من قصة سيدنا موسى في القرآن الكريـم**، رسـالة ماجسـتير، جامعـة الملـك عبـد العزيـز، مكـة المكرمـة، 1980م.
50- محمد صفوت، **كتاب القصص في القرآن الكريم**، ضمن سلسلة دليل المسلم، دار مصر للطباعة.
51- محمد طه الحاجري، **نشوء فن القصة**، مجلة الثقافة, العدد 21، مصر.
52- محمد علي الصابوني ، **صفوة التفاسير** ، ط 1، دار القرآن الكريم، بيروت، 1981م .
53- محمد غنيمي هلال ، **النقد الأدبي الحديث**- ط 3، مطابع الشعب، مصر، 1964م.
54- محمد غنيمي هلال، **الأدب المقـارن** ، ط 3، دار الثقافـة، بيـروت، 1962م.
55- محمد قطب عبد العـال ، **نظرات فـي قصـص القـرآن الكريـم**، سلسلة دعوة الحق تصدرها رابطة العالم الإسلامي بمكـة المكرمـة، العـدد 122، صفر 1992.
56- محمد محمود حجازي، **الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم**، ط 1،دار الكتب الحديثة، مصر،1970م.
57- محمد ناجي مشرّح ، **الآفاق الفنية في القصة القرآنيـة** ، مجلـة دورية، مكتبة الملك فيصل للبحوث والدراسات، ا الإعلام الإسلامي)، مكتبة الملك فيصل للبحوث والدراسات، الرياض.
58- محمد يوسف نجم، **القصة في الأدب العربي الحـديث**(1870-1914)،دار الثقافة، بيروت،د.ت.
59- محمد يوسف نجم ، **فن القصة،** دار الثقافة ، بيروت ، 1955م.
60- محمود تيمور، **فن القصـص دراسـات فـي القصـة والمسـرح**، مكتبة الآداب ومطبعتها بالحماميز، القاهرة، د.ت.
61- المسعودي أبو الحسن علي بن الحسـين ، **مروج الـذهب ومعـادن الجوهر** ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط 2، المكتبة العصرية ، بيروت، 1988م

62-المعري أبو العلاء ، **رسالة الغفران**، تحقيق: الدكتورة بنت الشاطئ، ط 8، دار المعارف، مصر، 1950م.
63- نبيلة إبراهيم، **فن القصـص فـي النظريـة والتطـبيق** ، دار قبـاء للطباعة، مصر، د.ت .
64- نبيلة إبراهيم، **قصصنا الشعبي من الرومانسية إلى الواقعية** – دار الثورة، بيروت،ط 1،1974م.
65- ابـن هشـام، **السـيرة النبويـة**، تحقيـق: مصـطفى السـقا-إبراهيـم الأبياري، ط 1، دار الكتب العلمية، مصر، 2001م.
66-الهمذاني أبـو الفضـل بـديع الزمـان ، **مقامات الهمذاني** ، شـرح: محمد عبده المصري، ط 2 ، دار المتحدة ، بيروت، 1983م.
67 يوسف الشـاروني **، دراسات فـي القصـة القصـيرة**، دار طلاس ، دمشق ، ط 1 1989م.